

تقی الدین النہانی

الدولة الإسلامية

١٩٥٢ م

١٣٧٢ هـ

American University of Beirut
University Libraries



Donated by
**Mufti Sheikh Hassan
Khaled**

A.U.B. Library

٤٥٧
١٠
٥

تقي الدين النبهاني

JK
287.617
N115dA
C.2

الدولة الإسلامية

١٣٧٢-١٩٥٢ م

مطابع النار - دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يبع الجيل الحاضر على الدولة الإسلامية التي تطبق الاسلام. والذين عاشوا في أواخر الدولة الإسلامية (الدولة العثمانية) التي أجهزت عليها الغرب ، إنما رأوا بقايا دولة فيما بقايا حكم اسلامي . ولهذا فإن من أصعب ما يجد الداعية المسلم ، تقرب صورة الحكم الاسلامي الى أذهان يسيطر عليها الواقع السيئ ، ولا تستطيع أن تتصور الحكم الا في مقياس ما ترى في هذا الواقع من اوضاع سيئة للحكم الرأسمالي الاستعماري المفروض على البلاد الإسلامية ومنها العربية . وليست الصعوبة في هذا وحده ، وإنما اصعب الصعوبة في تحويل هذه الاذهان (المضبوعة) بالثقافة الغربية . لقد كانت هذه الثقافة الغربية سلاحاً شهرة الغرب في وجه الدولة الإسلامية ، وطعننا به طعنة نجلاء اودت بحياتها ، وحمل الى ابناء هذه الدولة سلاحه هذا يقطر من دماء امهم القتل ، وقال لهم - مقتنراً - : (لقد قتلت امكم العجوز التي كانت تستحق القتل لسوء حضانتها لكم ، وقد مهدت لكم عندي حضانة تتذوقون فيها الحياة السعيدة والنعيم المقيم) . ومدوا ايديهم يضافحون القاتل ، وما يزال سلاحه مخضباً بدماء امهم . لقد فعلل معهم فعل الضبع فيما يروون - حينما نجعل فريستها تذهل الا عن اللحاق بها فلا تصحو الا بضربة يسيل لها دمها ، او تصل بها الضبع الى قعر الوادي فتأكلها .

فمن لي بأصحاب هذه الأذهان المضبوعة أن يعرفوا أن هذا السلاح المسموم الذي قضي على دولتهم الإسلامية هو نفسه الذي يقضي دائماً - ما تمسكوا به - على حياتهم وكيانهم ، وأن هذه الأفكار التي يحملونها - من القومية وفصل الدين عن الدولة ، ومن آراء تطعن في الإسلام - هي بعض السموم التي حملتها لهم هذه الثقافة . وفصل (الغزو التبشيري) من كتاب (الدولة الإسلامية) هذا - وكلام حقائق وأرقام ناطقة - يرينا القاتل المجرم ، ويقفنا على السبب الذي حملته على ارتكاب الجريمة ، ويبصرنا بالوسائل التي توسل بها للقضاء على القتل . وما كان السبب الا قصد نحو الإسلام ، وما كانت أهم الوسائل الا هذه الثقافة التي جاءت مع الغزو التبشيري .

ولا أظن انساناً فيه شيء من مشاعر إسلامية يقف على هذه الحقائق ، ويعرف كيف ، ولماذا ، نال هذا الغرب المجرم منه ومن دولته ، وكيف لفت مع ذلك نظره عن الجريمة بل صورها له بصورة من فعل الجميل ، الاثارت نفسه ؛ ونذرنا ضحية للانتقام من الغرب ووسائله .

ولنلق بالمشاعر جانباً ، فانه لا يوجد عاقل - الا المضبوعين - يرى السم ويتجرعه مختاراً . على انه قد آن لهؤلاء ان يصحوا ، فان لهم في ضربة فلسطين وفي الدماء التي اسالتها منهم : من اجسامهم واعراضهم وكرامتهم - كان لها دماء - ما يكفي كل الكفاية لان يفيقوا من - غفلتهم ويستعيدوا رشدهم . ولينظروا الان - بعد هذا التصوير ، كم يكون منظرهم متناقضاً متناقضاً مزرباً ومضحكاً معاً ، وهم يدبرون ظهورهم للاجنبي - يدعون محاربه - ويدون اليه ايديهم من خلف بكانا يديهم من ليتناولوا سمومه القاتلة يتجرعونها ، فيسقطون بين يديه هلكي ، يحسبهم الجاهل شهداء تزال ، وما هم الا صرعى غفلة وضلال .

ماذا يريدون ؟ يريدون دولة على غير اساس الاسلام ؟ لقد اعطاهم الغرب — منذ جعلوا الامر اليه — دولا كثيرة . وهو على استعداد لان يعطيهم أكثر ، ما داموا يحملون مبدأه ومفاهيمه لانهم جزء منه .

ان الامر ليس في قيام دولة أي دولة ، ولا في قيام دولة او دول تسمى اسلامية ، وتحكم بغير ما انزل الله ، بل ولا في قيام دولة تسمى اسلامية وتحكم بالقوانين الاسلامية المجردة ، دون ان تحمل الاسلام عقيدة ومبدأ وقيادة فكرية — ان الامر ليس في قيام دولة ، كذلك ، وانما هو في قيام دولة تستأنف الحياه الاسلامية عن عقيدة ومبدأ وتطبق الاسلام في المجتمع بعد ان يكون متعللا في النفوس متمكنا من العقول بايجاد الاجواء والمشاعر العامة ، وتحمل الدعوة الاسلامية وقيادتها الفكرية للعالم .

ليست الدولة الاسلامية خيالا يداعب الاحلام ، لانها قد امتلأت بها جوانب التاريخ ، وتعطرت بها انفاسه في مدى ثلاثة عشرين قرنا ، فهي حقيقة . كانت كذلك في الماضي وتكون كذلك في المستقبل القريب لان عوامل وجودها اقوى من ان ينكرها الزمن او يقوى على مضارعتها ، وقد امتلأت بها اليوم الازدهار الواعي والعقول المستنيرة من عيون الامة ، ومن الفئة المختارة من مفكرها ، وهي امنية الامة الاسلامية المتعطشة لمجد الاسلام .

وليست الدولة الاسلامية رغبة تستأثر بالقلب عن هوى ، لانها واجب يحتمه الاسلام على المسلمين ، كما يحتمه عليهم تاريخهم ، وعلمه عليهم واقعهم ، اذ كيف تنهي تبعيتهم للغير ، وكيف يضعون حدا لاستعمارهم واستغلالهم واذلالهم دون ان تكون لهم دولة تمثلهم بوصفهم مسلمين ؟ وبكلمة واحدة : كيف يكونون امة اسلامية وليس لهم دولة اسلامية تطبق الاسلام وتحمل مبدأه وقيادته الفكرية ؟

ولست الدولة الاسلامية حاجة قوم دون آخرين ، بل هي حاجة
الاقوام كلها ، لتشمل الناس كافة سعادة تطمئن بها قلوبهم ، وترضى بها نفوسهم
ولا يتحقق للناس هذا الا بالاسلام ، لانه لا يطلق لهم ان يحددوا السعادة
برغباتهم ، بل يعينها بانها ارضاء الله ، وهذا الارضاء يلزمه نفع العباد دون
تميز او تفریق ، ملازمة نور الشمس للشمس . والدولة الاسلامية حاجة
الاقوام كلها ليخلص الناس من هذا التوتر والقلق والاضطراب ، الذي انهك
اعصابهم واوجد فيهم سعار الحرب ، من جراء الفلسفة المادية ، والنظاطح في
سبيل المادة ، فانه اذا ظهر الاسلام - وهو لا يد ظاهرا بعون الله - زال
ما يسود العالم من قلق واضطراب ، لان من طبيعة الاسلام - وما بالطبع
لا يتخلف - ان لا يكون معه معسكرات عالمية ، فقد احى المعسكران :
الشرقي والغربي حين وجدت الدولة الاسلامية ، وذو قرناهما حين طواها
التاريخ ، فحين تعود شمسا للظهور مرة اخرى يحى هذان المعسكران ايضا ،
وتمسك هي بزمام المبادرة ، فلا يخشى العالم قلقا ولا اضطرابا .

ولذلك كان ضروريا للعالم ان تقوم فيه الدولة الاسلامية ، لتزيل ما فيه
من قلق واضطراب ، وتمنع قيام الحروب العالمية ، ولتحول دون انقسام
العالم الى معسكرين . ولتنقذه من هذا الشقاء الذي يتردى فيه ، ولتخلصه من
الازمات الروحية والنفسية التي يروح تحت كابوسها .

وكان لزاما على المسلمين ان يقيموا الدولة الاسلامية ، لانه لا وجود
للالسلام وجرداً مؤثرا الا بالدولة ، ولان بلادهم لا تعتبر ديار اسلام ، الا
اذا حكمتها دولة الاسلام .

ولست الدولة الاسلامية - مع هذا - من السهولة بحيث يستوزر
المستوزرون - افرادا كانوا او حزبا - فيصبحون وزراء يتربعون في دسب

الحكم . ان طريقها مفروشة بالاشواك ، مخفوفة بالمخاطر ، مملوءة بالعقبات والمصائب . وناهيك بالثقافة الاجنبية صعوبة وبالزعامات المأجورة عقبة ، وبضغطها على الحركات ، وعدها الانفاس خطورة .

ان الذين يسلكون طريق الدعوة الاسلامية ، لايجاد الدولة الاسلامية ، انما يهدفون للوصول الى الحكم ، ليجعلوه الوسيلة لاستئناف الحياة الاسلامية ، في البلاد الاسلامية ، وحمل الدعوة الاسلامية الى العالم ، وما هذا الحكم الاسلامي ، الا استمرار للدعوة ، التي هي العمل الاساسي للمسلم في الحياة . اما الحكم الذي هو وسيلة الدنيا ، والاغراض الفانية ، فانهم يرفضونه ، ويسخطون منه ، ويعتبرون قبوله مخالفا لطريقة الاسلام ، بل خروجا عليها ومعوقا لقيام الدولة الاسلامية .

وبعد فان كتاب (الدولة الاسلامية) هذا لا يقصد به ان يؤرخ للدولة الاسلامية ؛ ولا ان يبين بيانها فقها وسياسيا ما يتعلق بالدولة الاسلامية ؛ وقيامها وجهازها ؛ وانما هو وما شاكله من كتب مثل (أسس النهضة) و (رسالة العرب) و (نظام الاسلام) و (النظام الاجتماعي في الاسلام) و (النظام الاقتصادي في الاسلام) و (نظام الحكم في الاسلام) و (الشخصية الاسلامية) وغيرها .. اقول : ان هذا الكتاب وغيره من الكتب المذكورة ، انما هي كتب دعوة ثرمي الى انهاض المسلمين - ومنهم العرب - باستئناف الحياة الاسلامية ، وحمل الدعوة الاسلامية .

وهذه الكتب اذا اخذت على هذا الاعتبار ، كانت حرية بان تأخذ سبيلها الى العقل فيحسن تفهمها وادراكها ، والى المشاعر فتصبح عملا يتحرك في سبيل اقامة دولة الاسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

ظهور الاسلام

كانت جميع نواحي الحياة فاسدة عند العرب خاصة وعند العالم عامة . الاصلاح
وكان من ضلالة التفكير ان يكون الاصلاح لناحية او نواحي معينة من الانقلابي
الفساد ، بل يتحتم ان يكون الاصلاح انقلابياً شاملاً يتناول جميع النواحي ،
لان نفسية الانسان « معقدة التركيب دقيقة النسيج » كثيرة المنافذ والابواب ،
خفية النخلص والتنصل ، وانما اذا زاغت واعوجت لا يؤثر فيها اصلاح عيب
من عيوبها ، وتغيير عادة من عاداتها ، حتى يغير اتجاهها من الشر الى الخير ،
ومن الفساد الى الصلاح ، وتقتلع جرثومة الفساد من النفس البشرية » فكانت
الحاجة ماسة الى اصلاح العالم كله ، والى اصلاح نفسية الانسان من حيث هو
انسان ، اصلاحاً يتناوله جميعه ، ولهذا كانت الرسالة الاسلامية عامة شاملة في
مبادئها وتعاليمها ، وعامة شاملة للعالم كله ، وكانت طريقها انقلابية سريعة ،
ولذلك كانت ثمراتها ناضجة نضجاً تاماً سريعاً .

فان الاسلام نظر الى العالم كمجموعة انسانية واحدة ، لا بد لها من نظام النظر
يصلحها جميعها ، ونظر الى كل شعب من شعوبها باعتبار انه جزء من العالم ، الى العالم
فلا بد له من عقيدة ينبثق عنها نظام تجمع هذه الشعوب في امة واحدة
رابطتها هي هذه العقيدة المنبثق عنها النظام بحيث تنصهر كلها ، وتصبح امة
واحدة لا تعرف شعوبية ولا اقليمية ، وهو يسعى لجعل العالم كله امة

واحدة. ونظر الاسلام الى الفرد في الامة الواحدة باعتباره جزءاً منها ،
تتسق مصالحه مع مصالحها .

وهكذا كانت فلسفة الاسلام العامة وعقيدته ونظامه عالمية ، تنظر الى
الانسانية النظرة السكلية العامة ، وتنظر الى الفرد في الامة النظرة الجزئية
للجماعة والنظرة السكلية لذاته .

غير ان الاسلام مع نظرتة هذه للعالم ، فانه اتبع في ظهوره البدء بالفرد
كجزء من الجماعة ، ثم بدا بواسطة هؤلاء الافراد بالامة الواحدة ، ثم بواسطة
هذه الامة بالامم كلها . فهو ينظر الى العالم اولا ثم ينتهي بالفرد ، ولكنه
حين يعمل يبدأ بالفرد اولا ثم ينتهي بالعالم .

وعلى هذا الاساس لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام رجلاً اقليمياً
ولا زعيماً وطنياً ، ولا قائداً سياسياً ، وانما كان رسولا نبيياً ، ارسل الى
الناس كافة بشيراً ونذيراً . جاء بالاسلام دين الهدى والحق ليقوم ببناء العالم
من جديد على اسس متينة من المعرفة والعلم ومن الثقة والايمان والعدالة
والكرامة والعزة والسعادة والاطمئنان للنفس الانسانية .

محمد
رسول نبي

كيفية ظهور الاسلام

حين بعث عليه السلام دعا زوجه خديجة فأمنت به ، ثم دعا ابن عمه علياً بدء الدعوة
فآمن به ، ثم دعا صديقه ابا بكر فآمن به ، ثم دعا عشيرته الاقربين فلم يؤمنوا به ، والتكتمل
وسفهاوا قوله فصار يدعو للاسلام في مكة جهرأ ويتصل بالناس يعرض عليهم دينه ،
ويكتلمهم حوله على اساسه سرأ . واتخذ له دارأ يعلم فيها المسلمين الاسلام
ويجعلها مركزأ لهذه الكتلة المؤمنة ، ومدرسة لهذه الدعوة الجديدة ، تلك
الدار هي دار الارقم بن ابي الارقم ، فقد كان يجمع فيها المسلمين يقرئهم
القرآن ، ويبينه لهم ، ويأمرهم باستظهاره وفهمه وكلمه السلم شخص ضمه الى دار الارقم
ومكث مدة ثلاث سنوات وهو يربي هؤلاء المسلمين ويشققهم : فيبعث فيهم
السمو الروحي بالصلاة والتلاوة ، ويربي نفوسهم بالايمان بالتفكر والتأمل ،
ويثقف عقولهم بمعاني القرآن والفاظه ، ومفاهيم الاسلام وافسكاره ، وبأخذهم
بالصبر على الاذى ، وقهر النفس ، ويروضهم على الطاعة والانقياد ، حتى
سمت ارواحهم ، وصفت قلوبهم ، ودمشت اخلاقهم ، وتحرروا من سلطان
الماديات ، وخلصوا بانفسهم الى الله العلي القدير .

حتى اذا أمره الله باعلان أمر الدعوة وقال له « فاصدع بمانئو مروأعرض
عن المشركين » انتقل للمرحلة الثانية من مراحل الدعوة ، وهي اظهار امر
الاسلام والمسلمين ، والتفاعل مع الشعب ، وكفاح الآراء الخاطئة ، وهدم
العقائد الفاسدة ، والمجاهدة في سبيل نشر الدعوة . فقام بذلك خير قيسام ،

التفاعل
مع الشعب

ومكث عشر سنوات وهو يدعو الى الاسلام بكل صراحة ، لا يكتفي ولا يلوح ، ولا يلين ولا يستكين ، ولا يجاني ولا يدهن ، رغم مالاقيه من قريش من صنوف الاذى والمشقات . ومع انه فرد اعزل لامعين له ولا نصير ، ولا عدة معه ولا سلاح ، فانه جاء سافرا متحمدا ، يدعو لدين الله بقوة وايمان ، لا يتطرق اليه اى ضعف عن احتمال تكاليف الدعوة ، والقيام باعباء النضال من اجلها ، وظل كذلك حتى اذا ايقن ان المجتمع المكي غير قابل لان يجنض الدعوة جرب المجتمع الذي حول مكة من مثل الطائف والقبائل المجاورة ، فوجدها جميعها كالمجتمع المكي قسوة قلب ، وبعداً عن الهدى وامعانا في الضلال ، وجمودا على عبادة الاوثان ..

البحث
عن نقطة
الارتكاز

ولذلك فكر في مجتمع آخر يحمل الدعوة ، وانتظر هداية الله اياه ، الى ان جاءه نصر الله من يثرب فآمن به بعض اهلها ثم تتابع ايمان غيرهم خلال سنة فبعث مصعب بن عمير اليها يعلم اهلها الاسلام وينشر الدعوة هناك . وبعد مكثه مدة سنة كاملة عاد الى مكة وحدث النبي عليه السلام بانه لم يبق في المدينة دار الا وفيها ذكر الاسلام . وبين له كيف اصبح مجتمع المدينة تسيطر عليه اجواء الاسلام ، بما حملة على ان ينتقل بالدعوة الى المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة العملية ، فهيا النواة العسكرية في بيعة العقبة الثانية حتى يؤسس الدولة ، وبعد القوى المادية للدعوة حتى تقوم بجمايتها ، وتزيل الحواجز المادية التي تحول دون نشرها ، لان القوى المادية لا يزول الا بقوى مادية مثلها . وهكذا هيا في بيعة العقبة الثانية اول فئة مؤمنة بجاهدة بايعه رجالها ونسائها على السمع والطاعة في عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرهم ، وان يقولوا الحق اينما كانوا واينا كان لا يخافون في الله لومة لائم ، وتعهدوا ان يمنعوا رسول الله بما يمنعون منه نساءهم وابنائهم . وبالجمله فقد بايعوه على

حرب الاحمر والاسود . وكان في هذا التعبير البليغ اشعار بان هذه قيادة فكرية خاصة ستألب عليها الدنيا . وبعد هذه البيعة التي باع فيها هؤلاء نفوسهم لله أذن النبي لاصحابه ان يهاجروا الى المدينة . ثم هاجر اليها . وهكذا هياً خلال ثلاث سنوات مجتمع المدينة بالمسلمين والاجواء التطبيق الاسلاميه ، ثم انتقل اليها . وبدأ حينئذ في المرحلة الثالثة وهي مرحلة الحكم الانقلابي بالاسلام ، واقامة دولة الاسلام ، حتى تقوم هذه الدولة بتطبيق مبادئ الاسلام في الداخل تطبيقاً انقلابياً كاملاً شاملاً ، ثم تحمل دعوته للخارج لهداية الناس الى الصراط المستقيم .

سير الدعوة الاسلامية في مكة

دور التكتل
السري

سار الرسول عليه السلام في الدعوة الاسلامية في مكة في دورين متتاليين :
اولهما دور التعليم والتثقيف والاعداد الفكري والروحي ، وثانيهما دور
نشر الدعوة والكفاح . اما الدور الاول فهو دور التكتل السري في الدعوة ،
وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس الى الاسلام ويلقنهم
احكامه ، وكان المسلمون الاولون يستخفون من قريش لعلهم بما تضرع من
عداوة لكل خارج على اوثلها ، وكان عليه السلام يكتلمهم سرا فيجمعهم في
دار الارقم بن ابي الارقم ، يعلمهم فيها الاسلام ، ويحفظهم القرآن ، ويشرح
لهم معانيه ، ويؤمهم في الصلاة . فتشقت عقولهم ، وسمت ارواحهم ، وتهذبت
نفوسهم ، حتى كان كل فرد منهم معجزة بايمانه وعقيدته ، وخلقه وتهذيبه ،
وتركية نفسه وسمو روحه . ومكث على ذلك مدة ثلاث سنوات من حين
البعث يستخفي من قريش حتى امره الله ان يظهر ماخفي من امره ، وان
يصدع بما جاء به ، ونزل عليه الوحي ، قال تعالى في سورة الشعراء « وانذر
عشيرتك الاقويين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال في سورة
الحجر « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » .

شباب
دار الارقم

وكان عليه السلام في هذه المدة يدعو من آانس فيه الاستعداد لقبول هذه
الدعوة ، بغض النظر عن سنه ومكانته ، وبغض النظر عن جنسه واصله ،
حتى آمن به نيف واربعون شخصا بين رجل وامرأة من مختلف البيئات

والاعمار اكثرهم من صغار الشباب . وكان فيهم الضعيف والقوي ، والغني والفقير ، لانه كان يدعو من يصلح لهذه الدعوة لذاته وصفاته ، ومن يقدر على حملها ، ويستعد لوقف نفسه عليها والموت في سبيلها ، فأمن به كل من (١) علي بن ابي طالب وكان عمره ثمانى سنوات (٢) والزبير بن العوام وعمره ثمان سنوات (٣) وطلحة بن عبيد الله وكان ابن احدى عشرة سنة (٤) والارقم بن ابي الارقم وهو ابن اثنتي عشرة سنة (٥) وعبد الله بن مسعود وهو ابن اربع عشرة سنة (٦) وسعيد بن زيد وهو دون العشرين (٧) وسعد بن ابي وقاص وهو ابن سبع عشرة سنة (٨) وسعود بن ربيعة وهو ابن سبع عشرة سنة (٩) وجعفر بن ابي طالب وهو ابن ثمانى عشرة سنة (١٠) وصهيب الرومي وهو دون العشرين (١١) وزيد بن حارثة وهو في حدود العشرين (١٢) وعثمان بن عفان في حدود العشرين (١٣) وطليب بن عمير وهو في حدود العشرين (١٤) وخباب بن الارت وهو في حدود العشرين (١٥) وعامر بن فهيرة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة (١٦) ومصعب بن عمير وهو ابن اربع وعشرين سنة (١٧) والمقداد بن الاسود وهو ابن اربع وعشرين سنة (١٨) وعبد الله بن جحش وهو ابن خمس وعشرين سنة (١٩) وعمر بن الخطاب وهو ابن ست وعشرين سنة (٢٠) وابو عبيدة بن الجراح وهو ابن سبع وعشرين سنة (٢١) وعتبة بن غزوان وهو ابن سبع وعشرين سنة (٢٢) وابو حذيفة بن عتبة في حدود الثلاثين سنة (٢٣) وبلال بن رباح في حدود الثلاثين سنة (٢٤) وخالد بن سعيد (٢٥) واخوه عمر وكان عمرهما في حدود الثلاثين سنة (٢٦) وعياش بن ربيعة وهو في حدود الثلاثين (٢٧) وعامر بن ربيعة وهو في حدود الثلاثين (٢٨) ونعيم بن عبد الله وهو في حدود الثلاثين (٢٩) وعثمان (٣٠) وعبد الله (٣١) وقدامة (٣٢) والسائب

ابناء مظهون بن حبيب الجمحي وكان عمر عثمان قبي حدود الثلاثين وعبد الله سبع عشر سنة وقدامه تسع عشرة سنة والسائب في حدود العشرين (٣٣) وابوسلمه عبد الله بن عبد الاسد الخزومي وعمره في حدود الثلاثين (٣٤) عبد الرحمن بن عوف في حدود الثلاثين (٣٥) وعمار بن ياسر في اربعين والثلاثين (٣٦) وابوبكر الصديق وهو ابن سبع وثلاثين سنة (٣٧) وحزبه بن عبد المطلب وعمره اثنان واربعون سنة (٣٨) وعبيدة بن الحارث وعمره خمسون سنة. كما امن به عدد من النساء .

دور التفاعل والكفاح

ولما اتم هؤلاء المسلمون طلاب الاخرة وقادة الدنيا دورهم الدراسية في مدة ثلاث سنوات ، واطمان الرسول عليه السلام عليهم ، وايقن بنضجهم في عقولهم وارواحهم ونزوسهم وعزائمهم ، صدع بأمر الله تعالى ، وخرج فيهم صفين اثنين ، كان على رأس احدهما حمزة بن عبد المطلب وعلى رأس الصف الثاني عمر بن الخطاب ، وذهب بهم الرسول ص الى الكعبة في نظام دقيق لم تعهده العرب من قبل ، فطاف بهم الكعبة ، ثم اعلن دعوته ، ودخل في الدور الثاني وهو دور نشر الدعوة والكفاح .

ومنذ ذلك الحين اخذ عليه السلام ينشر دعوة الاسلام على الناس كافة ، جهارا انهارا ، سافرا متجديا . وكانت هذه الدعوة بذاتها تتضمن كفاح قريش والمجتمع المبكي ، لانها كانت ايجابية في دعوتها لنوحيد الله وعبادته ، وسلبية في دعوتها لتترك عبادة الاصنام والاقلاع من مفسدات الحياة ، ولذلك اصطدمت بقريش اصطداما كليا ، اذ قد سفه احلامهم ، وحقر آلهتهم ، وندد بحجياتهم الرخيصة ، ونعى على وسائل عيشهم الظالمة ، فهاجم الربا مهاجمة عنيفة من اصوله ، قال تعالى في سورة الروم « وما آتيتم من رب اليربوبي في اموال الناس فلا يربو عند الله » . وتوعد الذين يطففون الكيل والميزان « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » . وهذا

أخذوا يقفون في وجهه ، ويؤذونه واصحابه بالتعذيب نارة ، وبالتجويع
اخرى ، وبالدهاية ضده وضد دينه . وقد ظل في هذه الدعوة مدة ثلاث عشرة
سنة يكافح في سبيلها ، حتى كان من جراء هذا الاحتكاك والكفاح ، ان
انتشر ذكر الدعوة في الحجاز كلها ، وتمرکز عملها في المدينة ، ونهيات الفئة
المؤمنة المختارة ، التي تقدر ان تحمل مشمل الدعوة في مكة ، ونهيات في
المدينة التربة الصالحة ، والفئة المؤمنة ، وتركزت فيها القوة القادرة على حماية
الرسول ودعوته ، وسادها الجو الاسلامي سيادة تامة ، حتى خيم على جميع
اهلها ، وحينئذ كان لا بد ان تنتقل الدعوة من دور ايجاد الافراد المسلمين
الى دور ايجاد المجتمع الاسلامي ، ومن دور الحياة الاسلامية للفرد الى دور
الحياة الاسلامية للمجتمع ، ومن دور التعليم والكفاح الفردي الى دور الدعوة
والجهاد الجماعي . وبعبارة اخرى قد آن الاوان لانشاء الدولة الاسلامية ، التي
تطبق الاسلام دفعة واحدة في المجتمع ، وتحمله دفعة واحدة للناس كافة ، وتحمل
علم الجهاد في سبيله . فهاجر الرسول عليه السلام حينئذ الى المدينة ، وهناك
بدأ يبني المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية .

سير الاعمال في المدينة

وصل النبي عليه السلام المدينة واستقبله اهلها جميعهم ، واحاط به المسلمون ولا سيما اولئك الذين بايعوه لحرب الاحمر والاسود من الناس . وكان الجميع حريصين على استجلاء طلعتهم ، وكان المسلمون حريصين على خدمته ونوال رضاه ، ولكنه القى بخطام ناقته على غاربها ، الى ان بركت على مر بد سهل وسهيل ابني عمرو ، فابتاعه وإقام عليه مسجده وإقام حوله مساكنه . وبعد ان استقر اخذ يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتحها ، والتي نقلته ونقلت دعوته من دور الى دور واخذ يفكر في بناء المجتمع الاسلامي في المدينة ، واقامة الدولة التي تحكم المجتمع ، والقوة التي تحمي هذه الدولة ، وتسير بجانب دعوة الاسلام تزيل كل عقبة مادية في سبيلها ، حتى يقوم بتبليغها للناس كافة ، وقد كان المجتمع المدني مؤلفاً من المسلمين - مهاجرين وانصار - ومن المشتركين من الاوس والخزرج ، ومن اليهود .

معالجة

وكان هم الرسول (ص) ان يصل بهذا المجتمع الى وحدة سياسية ونظامية المجتمع المدني لم تكن معروفة من قبل لا عند العرب ولا عند غيرهم ، اي ان يصل به الى ان يكون مجتمعا اسلاميا ، وعلى هذا الاساس بدأ يعالجه معالجة ابدى فيها من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الانسان يقف دهشا وبطأطي الرأس اجلالا واكباراً له ، فقد جعله مجتمعا اسلاميا ، ونقاه من مفاهيم اليهود والمشركين ، وبعث فيه القوة والسلطان .

عمد الى صفوف المسلمين فنظمها تنظيماً قوياً دقيقاً جعلهم وحدة متماسكة

على أساس الاخوة الصادقة ، التي جعلها الأساس الذي يلين عليه المجتمع الاسلامي . فدعا المسلمين ليمتأخوا في الله اخوين اخوين ، فكان هو وعلي بن ابي طالب اخوين ، وكان عمه حمزة ومولاه زيد اخوين ، وكان ابو بكر وخارجه ابن زيد اخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي اخوين ، ثم آخى بين المهاجرين والانصار اخاء جعل له حكم المؤاخاة في الدم والنسب . وكان لهذه الاخوة الروحية والمبدئية اثر في الناحية المادية فقد اظهر الانصار من الكرم لاخوانهم المهاجرين ما يزيد هذه الاخوة قوة وتوكيدا ، فقد اعطوهم الاموال والارزاق ، وشاركوهم في حاجات الدنيا ، فانصرف التجار للتجارة والمزارعون للزراعة ، وكل الى عمله .

اطمان الرسول الى وحدة المسلمين بهذه المؤاخاة الصحيحة ، ثم عمد الى اليهود فعاهدهم معاهدة حسن جوار ليأمن شرهم وانصرف الى الاعداد العسكري للجهاد ليستكمل بناء الدولة ، وليتم سير الدعوة ، فبدأ الدور العملي في نشر الاسلام . يقول الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد عن هذه الفترة من عمل الرسول « وهذا الدور من حياة الرسول لم يسبقه اليه نبي او رسول ، فقد كان عيسى ، وكان موسى ، وكانت من سبقها من الانبياء يققون عند الدعوة الدينية ، يبلغونها للناس من طريق الجدل ، ومن طريق المعجزة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوي السلطان ان ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية ، وبالدفاع عن حرية ايمان الناس بها ولو دفاعا مسلحا فيه الحرب والقتل والقتال .

انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى ، فظلوا ومن تبعهم
يعذبون حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين ، فأواه ونشره ، وكذلك
كان امر سائر الاديان في شرق العالم وغربه ، فأما محمد فقد اراد الله ان يتم
نشر الاسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، وان يكون الرسول والسياسي
والمجاهد والفاتح كل ذلك في سبيل الله ، وفي سبيل كلمة الحق التي بعث بها
وهو قد كان في ذلك كله عظيماً ، وكان مثل الكمال الانساني على ما يجب
ان يكون .



بناء الدولة الاسلامية

قال « در منعم » في كتابه حياة محمد « استقر محمد بالمدينة فاستطاع ان ينظم شؤون العبادة بالتفصيل ، واقام في جزيرة العرب مجتمعاً على امس جديدة بعيدة عن عصبية القبائل والعشائر ، بما لم يصنع مثله مؤسسو الديانات الانادرأ فكان محمد بذلك الرسول والمشرع والسياسي والقائد في آن واحد » وقال الدكتور محمد حسين هيكال في كتابه حياة محمد (وبركت ناقة النبي عليه السلام على مر بد سهل وسهيل ابني عمرو فابتاعه ليبنيه مسجداً له ، واقام اثناء بنائه في دار ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري ، وعمل محمد في بناء المسجد بيديه ، ودأب المسلمون من المهاجرين والانصار على مشاركته في بنائه حتى اتموه ، واقاموا من حوله مساكن الرسول ... بني محمد مسجده ومساكنه وأوى من بيت ابي ايوب اليها ، ثم جعل يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتح ، والتي نقلته ونقلت دعوته خطوة جديدة واسعة ... هنا يبدأ طور جديد من اطوار حياة محمد لم يسبقه اليه احد من الانبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسي الذي ابدى محمد فيه من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الانسان يقف دهشاً ، ثم يطأطأ الرأس اجلالاً واكباراً ، كان اكبر همه ان يصل ببيثرب موطنه الجديد الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل) .

وهكذا بدأ عليه السلام في بناء الدولة الاسلامية منه اللحظة التي حل بها
المدينة المنورة ، وفي خلال الاشهر الثمانية الاولى من مقامه ركز المجتمع

البدء
في بناء الدولة

الاسلامي في المدينة تركيزاً متيناً على اساس الاخوة الصادقة بين المسلمين ، اخوة روحية تجعل الرابط بين الناس العقيدة الصحيحة والايان الراسخ ، اخوة تجعل المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، قال عليه السلام (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) وقال (وتحابوا بروح الله بينكم) وقال الله تعالى في سورة الحجرات « انما المؤمنون اخوة » وقال في سورة آل عمران « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وعلى اساس هذه الاخوة الصادقة قام المجتمع الاسلامي في المدينة .

البدء في تهيئة القوة

وبعد ان اطمأن عليه السلام الى هذا البناء القوي ، بدأ يهيئ اجواء الجهاد في المدينة ، حتى يسير في الدعوة الاسلامية سيراً آخر يتفق مع الحياة الدولية . واذا كانت مهمة المسلم الاصلية في الحياة حمل الرسالة الاسلامية والدعوة لها ، فان مهمة الدولة الاسلامية الاصلية في الحياة هي تطبيق الاسلام كاملاً في كافة البلاد التي تحكمها ، وحمل الرسالة الاسلامية ، والدعوة لها خارج حدودها ، وليس معنى حمل الدولة الاسلامية الدعوة الى الاسلام هو التبشير بها فحسب ، بل هو دعوة الناس لها ، وازالة كل حاجز مادي يقف خائلاً دون هذه الدعوة بقوة مادية قادرة على ازالته .

وقد كانت قوة قريش حاجزاً مادياً حال دون الدعوة الى الاسلام . فكان لابد من اعداد القوة لازالة هذا الحاجز المادي ، الذي يحول دون هذه الدعوة ، وهذا هو معنى الجهاد في الاسلام ، وهو ازالة كل حاجز مادي من الدول او الفئات الحاكمة ، التي تحول دون الاسلام ونشره . ولهذا بدأ عليه السلام يهيئ الجيش ويعد اجواء الحرب ، حتى ينتقل في دعوته الى حالة الجهاد في سبيلها ، فأرسل خلال اربعة اشهر ثلاث سرايا من المهاجرين ، يتحدى

بها قريشاً ، ويرهب بها المنافقين واليهود من سكان المدينة ، فقد بعث عليه السلام معه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً من المهاجرين دون الانصار فلقي ابا جهل بن هشام على شاطئ البحر من ناحية العيص في ثلاثمائة راكب وتأهب حمزة لقتاله لولا ان حيز بينهم مجدي بن عمرو الجني فانصرفوا عن بعضهم ورجع حمزة دون قتال . وبعث عليه السلام محمد بن عبيدة بن الحارث في ستين راكباً من المهاجرين دون الانصار ، فلقي ابا سفيان على رأس جمع من قريش يزيد على مئتين في وادي رابيع ، ورمى سعد بن ابي وقاص العدو بسهم ، ولكن لم يحصل قتال ، وانسحب الفريقان ، ثم بعث سعد بن ابي وقاص بعشرين راكباً من المهاجرين نحو مكة ، ثم رجعوا دون قتال ، وبهذه السرايا وجدت في المدينة اجواء القتال ، ووجدت عند قريش نفسها اجواء الحرب بما بعث فيها الرعب وجعلها تحسب لمحمد حساباً لم تكن لتحسبه من قبل ، ولم تكن لتدركه لولا هذا السرايا . ثم ان النبي عليه السلام بعد ذلك ، اي بعد اثني عشر شهراً من هجرته ، استعمل على المدينة سعد بن عباد ، وخرج بنفسه الى غزوة الابداء يريد قريشاً وبني ضمرة ، فلم يلق قريشاً ، وحالفته بنو ضمره . ثم بعد شهر خرج على رأس مئتين من المهاجرين والانصار الى بواط يريد قافلة يقودها امية بن خلف ، فلم يدركها ، ثم بعد ثلاثة اشهر من عودته استعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد ، وخرج في اكثر من مئتين من المسلمين الى العشيرة يريد قافلة قريش وعلى رأسها ابوسفيان ، واقام هناك اربعين يوماً تقريباً ، فقاتته القافلة ورجع دون قتال . ومع انه عليه السلام لم يلق حرباً في هذه الغزوات ، لكنه وصل فيها الى نتائج عظيمة ، فانه - علاوة على القائه الرعب بسببها في نفوس اليهود والمنافقين في المدينة بما يمنهم ان تحدثهم أنفسهم بالشغب عليه - كسر نفسية قريش بتجديده اياها ، وقوى

روح المسلمين ، وهياً الجيش الذي يلقي به العدو ليمتصر النصر المبين . وما ان مضى على وجوده في المدينة عام ونصف العام ، حتى بدأ في ٨ من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بخوض المعارك الكبيرة ، التي يحطم فيها كل قوة تقف في سبيل دعوتيه ، وتتابع غزوات الرسول عليه السلام ، وظل المسلمون في جهاد مستمر بينهم وبين قريش تارة ، وبينهم وبين اليهود تارة اخرى .

تركز الدولة في المدينة

والاسلام أثناء ذلك يزداد انتشاراً ، ويزداد قوة ، وآيات الاحكام تنزل تعالج مشاكل الحياة ، والمسلمون يزدادون كل يوم قوة واصالة في الحكم والدولة الاسلامية تزداد كل يوم عظمة الى عظمتها في نفوس العرب عامة ، وفي نفوس قريش خاصة ، فقد طهرت المدينة من اليهود ، وقذف الرعب في قلوب قريش ولم تعد قادرة على المقاومة ، وانقضت ست سنوات على هجرته عليه السلام فسار الى مكة للعمرة وعقد صلح الحديبية ، وعاد الى المدينة وقد اطمأن الى الدعوة الاسلامية في الحجاز كله .

السياسة الخارجية

ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل لملح الدعوة الى خارج الحجاز فأرسل رسله الى عامل كسرى في اليمن ، وإلى الحارث الغساني في الشام ، وإلى كسرى في فارس ، وإلى هرقل في بيزنطة (القسطنطينية) ، وإلى المقوقس في مصر ، وإلى النجاشي في الحبشة ، لان الاسلام دين الناس كافة ، ولان الرسول عليه السلام ارسل الى العالم كله ، قال تعالى في سورة الانبياء « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقال تعالى في سورة سبأ « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقال في سورة التوبة « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ولذلك كان علي الرسول بعد ان اطمأن الى تركيز الدولة والدعوة ان يبدأ بالاتصال الخارجي

ولاسيما بعد ان نزل من الاحكام مايكفي لمعالجة مشاكل الانسان ومشاكل الحياة ، قال الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (والحق ان الدعوة الاسلامية كانت قد بلغت يومئذ من النضج ما يجعلها دين الناس كافة ، فهي لم تقف عند التوحيد وما يقتضيه التوحيد من عبادات ، بل انفرج ميدانها وتناولت من صور النشاط الاجتماعي كلها ما يوازي بيننا وبين سمر فكرة التوحيد ، وما يجعل صاحبها ادنى الى بلوغ مراتب الكمال الانساني ، والى تحقيق المثل الاعلى في الحياة) .

وهكذا بدأ عليه السلام في الاتصال الخارجي ، او السياسة الخارجية ، ببلاغ دعوته مع السفراء ولم يبدأ عليه السلام بارسال السفراء الا بعد ان اطمأن الى تركيز السياسة الداخلية ، وهيأ القوة الكافية لسند السياسة الخارجية . فبعد ان رجع الرسل من تبليغ الدعوة اخذ يهيئ الجيش لحماية هذه الدعوة ، وازالة الحواجز المادية من طريقها بقوى مادية مثلها ، ولهذا ارسل في جمادي الاولى من السنة الثامنة للهجرة جيشاً قوياً مؤلفاً من ثلاثة آلاف من خيرة رجاله بقيادة زيد بن حارثة ، وقال (ان اصيب زيد فجعفر ابن ابي طالب على الناس ، وان اصيب جعفر فبعد الله بن رواح على الناس) وسار الجيش الاسلامي حتى وصل معان ، ثم دارت في « مؤته » بينه وبين مئتي الف من جيش الروم معركة حامية الوطيس ؛ كان من نتائجها استشهاد القواد الثلاثة للجيش الاسلامي ، وانسحابه الى المدينة بقيادة خالد بن الوليد . فكان ذلك اول اتصال بين الدولة الاسلامية والدولة الرومانية وانه وان كان المسلمون لم ينتصروا انتصاراً عسكرياً ، الا انهم انتصروا انتصاراً سياسياً ، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر في امر الدولة الفارسية والدولة الرومانية ، ولم يشغله فتح مكة وحنبذ والطائف والقضاء على

المقاومات الداخلية جميعها عن الناحية الخارجية ، وظل يرقب الانبياء الخارجية حتى بلغه - في السنة التاسعة للهجرة - ان الروم تريد غزو حدود الحجاز الشمالية ، فاستعد للقائهم بجيش عدته ثلاثون الف مقاتل ، يتقدمهم عشرة الاف فارس ، وخرج به الى حدود الشام حتى ابله (العقبة) « وكانت غزوة تبوك قال الدكتور هيكل (ولم تكن ناحية من نواحي شبه الجزيرة الا بدأت تحس سلطان محمد ، ولم تحاول طائفة او قبيلة ان تقاوم هذا السلطان الا بعث النبي اليها قوة تحملها على الاذعان بدفع الخراج (الظاهر انها الجزيرة) والبقاء على دينها ، او بالاسلام ودفع الزكاة .

وقد كانت عينه على بلاد العرب جميعاً ، حتى لا ينتقض فيها منتقض ، وحتى يستتب الامن في ربوعها من اقصاها الى اقصاها ، اذ اتصل به نبأ من بلاد الروم انها تهيم جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية ، غزواً ينس الناس انسحاب العرب الماهر في هؤلته ، وينسى الناس ذكر العرب وسلطان المسلمين الزاحف في كل ناحية ، ليتأخم سلطان الروم في الشام وسلطان فارس في الحيرة ، واتصل به هذا النبأ مجسماً ايما تجسيم ، فلم يتردد هنيهة في تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه ، والقضاء عليها قضاء يقضي في نفوس ساداتها على كل امل في غزو العرب او في التعرض لهم . . . وانطلق الجيش بعد ذلك قاصداً تبوك ، وكانت الروم قد بلغها امر هذا الجيش وقوته ، فأثرت الانسحاب بجيشها الذي كانت وجهته الى حدودها ليحتمي داخل بلاد الشام في حصونها ، فلما انتهى المسلمون الى تبوك ، وعرف محمد امر انسحاب الروم ، ونفي اليه ما اصابهم من خوف ، لم ير محلاً لتبعضهم داخل بلادهم ، واقام عند الحدود يناجزه من شاء ان ينازله او يقاومه ، ويعمل لكفالة هذه الحدود ، حتى لا يتخطى من بعد ذلك اليها احد ... لم يبق محمد في حاجة الى القتال بعد انسحاب

الروم وبعد معاهدة البلاد الواقعة على الحدود معه وبعد امنه عودة الجيوش
البيزنطية هذه الناحية) .

وهكذا ركز عليه السلام الناحية الخارجية بتأمين حدود الدولة من جهة
وبالقاء الرعب في قلوب اعدائه ، ووضع الخطة الاولى للخلفاء من بعده ،
ليحملوا دعوة الاسلام للعالم خارج جزيرة العرب ، وما ان انتهى من غزوة
تبوك حتى كان جنوب الجزيرة من اليمن وحضرموت وعمان ، قد اقبل على
اعلان اسلامه ، والانضمام للدولة الاسلامية ، وما ان جاءت السنة العاشرة
حتى كانت الوفود المتتابة تقف على النبي عليه السلام في المدينة تعلن اسلامها
واسلام قومها ، وبذلك تم تكوين الدولة الاسلامية في جميع جزيرة العرب
وتم تأمين حدودها من جهة الرومان ، ولم يبق فيها الا المشركون الذين
لا يزالون على شركهم ، والذين يستطيعون ان يحجوا الى بيت الله ويعبدوا
فيه الاصنام بسبب العهد العام الذي قطعه الرسول عليه السلام للناس ، الا
يصد عن البيت احدا جاءه ، ولا يخاف احد في الشهر الحرام .

واذا كانت الجزيرة كلها قدمت الطاعة لمحمد عليه السلام ، وخضعت لاحكام
الدولة الاسلامية ولكن بقي فيها من يعبد غير الله من المشركين ، فهل
يتركون على حالهم ؟ وهل يترك بيت الله الحرام مجتمع فيه الناس هذا
الاجتماع المتناقض ، الذي يضم الثاثرين على الوثنية والشرك من المسلمين ،
والمقيمين على الوثنية والشرك من المشركين ؟

وهل يستطيع احد ان يفهم اجتماع عبادتين متناقضتين حول بيت الله ،
احدهما تحطم فيها الاصنام ، والاخرى تعبد فيها الاصنام التي حطمت ؟
اذن لابد ان يقضي على هذا الشرك في كافة انحاء الدولة ، ولا بد ان
يحال بين المشركين وبين هذا البيت ، ولذا نزلت سورة براءة وتلاها سيدنا

تصفية
السياسة
الداخلية

علي رضي الله عنه يوم الحج على الناس كافة ، كما تلاها عليهم في منازلهم ،
واعلن لهم قائلاً : (ايها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام
مشارك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد فهو الى مدته) .

وبهذا تم امر ربك في جزيرة العرب باقامة كيان الدولة الناشئة على
الاساس الروحي الا وهو العقيدة الاسلامية ، لان الدولة لا بد ان تكون
لها عقيدة واحدة عامة يؤمن بها اهلها ، ويدافعون جميعاً عنها بكل ما اوتوا
من قوة وينزل سورة براءة ، وبوضع حد للمشركين جميعاً ، تم تكوين
الدولة الاسلامية بالقضاء على المقاومات الداخلية ، وتأمين الحدود الخارجية ،
واقام التشريع ، واكمل الدين ، فنزل قوله تعالى في سورة المائدة « اليوم
اكملت لكم دينكم واقممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

اساس الدولة الاسلامية

كانت الدولة الاسلامية قوية قوة خارقة للعادة ، وكانت قوتها تلفت النظر ، وتكاد تشبه المعجزات ، اذ بعد ان كانت في المدينة وحدها ، صارت تشمل الحجاز بأكمله ، ثم تشمل الجزيرة العربية كلها . وكل ذلك خلال مدة عشر سنوات فحسب . وقد استكملت في هذه المدة الوجيزة جميع الاسباب حتى باشرت - بعد ذلك - الانطلاق في الكرة الارضية لتحمل للعالم رسالتها الاسلامية ، حملا قويا جعلها تحمل مصباح الهدى باليد ، ووسائل القوة المادية لحماية هذا النور في اليد الاخرى ، وتهاجم المعسكرين العالميين - في ذلك الزمن - : فارس والروم ، بالقوى المادية ، وتتحداهما معا بالجيش ، وتحمل اليهما الدعوة بكل صراحة ووضوح ، وبكل جرأة واقدام . فما هي هذه القوة التي كانت لهذه الدولة الفتية ؟ هل هي الكثرة العددية ؟ وقد كانت في المدينة وحدها وعددها ضئيل بالنسبة لعدد العرب كلهم ، حين كانوا في جملتهم ضدها وليسوا معها . وقد كانت بعد ذلك في جزيرة العرب وحدها وعددها قليل بالنسبة لامبراطوريتي فارس والروم ، اللتين فتحت بلادهما وقضت على دولتهما . وهل هي قوة السلاح الذي عندها ؟ وقد كانت سلاحها في المدينة دون السلاح الذي عند العرب في النوع والعدد ، وكان السلاح عند العرب دون السلاح الذي عند الامبراطوريتين في النوع والعدد ايضا . وهل هي قوة المال والغني ؟ وقد كانوا في المدينة فقراء معوزين لايساوي ملهم شروى

نقيير بجانب مال اعدائهم ، الذين كانوا يحاربونهم من العرب واليهود ، وكانوا في الجزيرة العربية كلها فقراء مدقعين بجانب كنوز كسرى وقيصر وغنى فارس والروم .

قوة المسلمين
في عقيدتهم

اذن ليست قوة الدولة الاسلامية هي هذه القوى المادية من عدد وسلاح وغنى ، ولا شيئاً منها ، ولا شيئاً يشبهها ، وانما كانت قوتها الاساس الروحي الذي بنيت عليه ، فكانت نواتها المدينة ، المدينة المنورة فحسب ، ثم الحجاز ، ثم الجزيرة ، ثم العالم الاسلامي الذي يكون الامة الاسلامية عربا وغير عرب والدولة الاسلامية التي تعتبر مفخرة التاريخ ومفخرة الانسانية حتى تقوم الساعة . نعم ان قوة الدولة الاسلامية هي الاساس الروحي الذي بنيت عليه ، وهو العقيدة الاسلامية . التي هي روح الدولة الاسلامية ، وروح الامة الاسلامية ، وروح الجماعة المسلمة ، وروح الفرد المسلم ، والتي هي وحدة الحياة للفرد والجماعة ، وللامة والدولة . هذه العقيدة التي احدثت في العرب انفجاراً بعد احتراق في الفكر والشعور ، فأوجد التلهب المضطرم ، والحماس المتأجج ، فأثار البصائر والابصار ، وأحرق كل نزعة من نزعات الشيطان ، وصهر النفوس حتى صفاها من جميع الادران ، فكانت طاقات اسلامية مشعة متلهبة ، تنير للناس طريق الهدى ، وتحرق من امامهم عناصر الفساد والضلال .

اثر العقيدة
في الانسان

هذه العقيدة التي تأتي للانسان الذي هو ذرة صغيرة من ذرات الكون ، لاقية له بالنسبة لاجرامه ، ولا وزن له بالنسبة لافلاكه وعوالمه ، تقول هذه العقيدة للانسان : انك ايها الانسان سيد الوجود ، وانت مسؤول عن رقي الحياة ، وعن الاستفادة من هذا الكون بجميع ما خلق الله فيه ، لا والله سخره كله لك ، قال تعالى في سورة البقرة « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » وقال في سورة ابراهيم « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم

الليل والنهار» وقال في سورة لقمان « ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ». واذا كان الله سخر له هذا الكون ، وجعله في نطاق فكره ، وفي متناول يده يقضي منه حاجاته ، فهو - وان كانت ذرة بالنسبة للكون - اكبر من الكون ، وأعظم من السموات والارض ، لان الله سخر له ما فيها ، وذلل له الارض .

قال تعالى في سورة المملك « هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً » وعلى ذلك فالانسان ليس هو هذه الذرة التي في الكون ، وانما هو هذه الطاقة البشرية التي سخر لها الكون ، فهو اعظم منه . واذن فعليه ان يندفع لاداء رسالة الله ، وعليه ان يسير قدماً الى الامام في الحياة . وبذلك نقلته هذه العقيدة من انسان هو ذرة في الكون ، الى انسان اعظم من الكون كله .

هذه العقيدة التي تأتي الى الانسان ، الذي لا يساوي عمره بالنسبة لعمر الزمن ومضة من الومضات ، فتقول له : ان الحياة الاخرة حياة خالدة ، وهذه الحياة الدنيا هي الحياة الفانية ، والانسان ليس هو الفاني ، لانه حين يموت لا يفنى ، وانما ينتقل من هذه الحياة الى الحياة الاخرى نقلة سريعة ، ويخلد في الحياة الاخرى ، في حين ان الزمن يفنى ، والكون يفنى . واذا فعمرو الانسان ليس ومضة ، وانما هو اطول من عمر الزمن واكبر من عمر الكون ، واذا فليس على الانسان ان يتقدم الى الحياة والى الكون بخطى ثابتة جريئة لا يعرف الخوف ولا يتطرق اليه الوجع ، لان اقصى ما يناله من اذى في طريقه هو الموت ، وهو ليس فناء وانما هو انتقال الى دار ارحب واسعد ، والى جنات الخلد له فيها نعيم مقيم بما يقدم من عمل فيه رضوان الله .

وبهذا يصبح هذا المؤمن مندفعاً في الحياة ، يبني ما تهدم منها ، ويصحح ما اعوج من امورها ، ويقيم ما مال من شؤونها بقوة وعزم وجراة واتقان ، لانه

يطمع بنعيم الآخرة ، ولا يخاف في سبيل الله أي شيء حتى ولا الموت ، لأنه أدرك حقيقة عمره من عقيدته .

هذه العقيدة هي سر النور الذي أثار للعرب ظلمات الحياة فسيطر عليها ، وهو الأساس الذي بنيت عليه الدولة الإسلامية ، وهو القوة التي دفعتها ، والطاقة التي جعلتها تصدم الكرة الأرضية فتزها ، وهي وحدها السر الوحيد للعظمة الخارقة التي تجلت في دولة الإسلام .



مهمة الدولة الاسلامية

جاء الاسلام للعالم بمفاهيم جديدة عن الكون والانسان والحياة ، تخالف تغيير مفاهيم المفاهيم القديمة كل المخالفة . والعرب جزء من العالم وناس من بنى الانسان ، العرب وقد نزل فيها الاسلام باعتبارهم الانساني فقط ، لا باعتبارهم عرباً ولا بأي اعتبار اخر . ولذلك جاءهم بمفاهيم جديدة تخالف مفاهيمهم عن الكون والانسان والحياة ، وعن القيم بأكملها ، وعن السعادة ، وعن المثل المثل الأعلى الذي يحملونه ، وغير عندهم هذه المفاهيم تغييراً كلياً ، وحملهم مسؤولية تغييرها عند باقي الناس حين حملوا لهم دعوة الاسلام . ولذلك فانا حين ننظر الى تغيير الاسلام لمفاهيم العرب ، لا ننظر الى هذا التغيير بالنسبة للعرب ، وانما هو نفسه تغيير لمفاهيم العالم ، ولكن بدى بتغيير مفاهيم العرب بوصفهم جزءاً من الانسانية التي لا بد ان تصحح عندها هذه المفاهيم المغلوطة بالمفاهيم الصحيحة الصادقة . لقد عمد الاسلام الى قيم الاشياء المعروفة عند الناس فغيرها ، حتى ارتفعت قيمة اشياء وانخفضت قيمة اخرى ، واصبحت مقومات الحياة بعدد الاسلام غيرها قبل الاسلام ، وقيم الاخلاق بعدد الاسلام غيرها قبل الاسلام ومعنى السعادة بعدد الاسلام غيره قبل الاسلام .

فمثلاً كانت السعادة في نظر العربي اعطائه نفسه متع الحياة ونعيم الجسد ولذة الشهوة ، فصارت السعادة طمأنينة النفس ورضوان الله ، قال تعالى في سورة الفجر « يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » .

وقال في سورة التوبة « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر » وكان التفاخر بالاموال والاحساب ، فصار ميزان التفاضل التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وكانت قيمة الانسان بما يملك من عرض الدنيا ، فصارت قيمته بالفقه والعلم والتقوى ، وكانت قيمة الحياة ان يقضيها الانسان في متع الدنيا ولذائدها في معاقرة خمر ومغازلة نساء ، فصارت قيمتها ان تقضي في جهاد في سبيل الله ، وعبادة في بيت الله ، وتعلم او تعليم في كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان ولاء العربي لقبيلته ، فصار ولاؤه للاسلام ودولته وكان طمعه في ناقة او شاة عند قبيلة يسلمها ، فصار طموحه ان ينال شرف الجهاد ليحظى باحدى الحسينيين ، نصر على الاعداء ، أو استشهاد في سبيل الاسلام .

وهكذا كانت للعرب مفاهيم مغلوطة كثيرة غيرها الاسلام وصححها ، وجعل مكانها المفاهيم الصحيحة الصادقة . وقد عبر عن شيء مما غير الاسلام من هذه المفاهيم خير تعبير ، في قول منسوب الى جعفر بن ابي طالب ، قيل انه قاله لملك الحبشة (ايها الملك كتنا قوما اهل جاهلية : نعبد الاصنام ، ونأكل كل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسي الجوار ، وبأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلص ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاولثان ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وفذف المحصنات ، وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا) الخ . . . وهكذا استبدل الاسلام بجميع

المفاهيم المغلوطة مفاهيم صحيحة ، وغير لهم المثل الاعلى في الحياة ، فقد رسم الاسلام للعرب وللعالم مثلاً اعلى في الحياة ، يختلف كل الاختلاف عن المثل الاعلى الذي يضعه كل واحد لنفسه .

مهمة المسلم

الاصلية

في الحياة

فقد جعل المثل الاعلى للحياة عند المسلم رضوان الله ، ولنواله كانت مهمة المسلم هداية الانسانية الى الاسلام ، والاستعداد لتحمل الموت والاستشهاد في سبيل هذه الهداية ، ومن هنا كانت مهمة المسلم الاصلية في الحياة هي حمل الرسالة الاسلامية والدعوة لها ، ومن ثم كانت هذه هي المهمة الاصلية والاصيلة للدولة الاسلامية في الحياة ، لان الدولة الاسلامية لم توجد لمجرد الحكم والسلطان ، ولا للادارة والسياسة ، وانما كانت هذه وسائل لحمل الدعوة ، ولهذا كانت مهمة الدولة والشعب الذي من اجله وجد الحكم ، ان يقوم السلطان بتطبيق النظام الاسلامي في البلد الذي يقوم عليه وان تحمل الدولة الاسلامية الاسلام دعوة «عالمية» للعالم كله تدعوه اليه . ولهذا كانت فتوحات المسلمين من اجل الدعوة الاسلامية وفي سبيلها فيحسب .

هكذا كان شأن الدولة الاسلامية منذ تأسست في المدينة ، الى آخر دولة اسلامية ، فان الرسول عليه السلام حين اقام الدولة في المدينة هيباً الجيش لحماية الدعوة الاسلامية ، ولازالة الحواجز المادية التي تقف دونها ، ثم حمل هذه الدعوة فكانت قريش هي الحاجز المادي الذي يقف في سبيل الدعوة الاسلامية ، ولذلك صمم على ازالته ، فعمد الى اموال قريش في تجارتها ، وهي من اهم الحواجز المادية التي تسند قريشاً للوقوف في وجه الدعوة محمد الا ان الله فجاء قريش لحمايتها ، وكانت معركة بدر ثم تالت الوقائع وكلها لازالة قريش وغيرها ممن يقف في سبيل هذه الدعوة الى ان عمت الدعوة الاسلامية جميع العرب ثم بدأت الدولة الاسلامية تطرق باب الامم الاخرى لتنشر رسالتها بينهم ، فوجدت

الفئات الحاكمة لهذه الامم تحول حـاجزاً مادياً دون الدعوة ، فكان لا بد من ازالة هذه الفئات الحاكمة او الدول من وجه الدعوة والوصول الى الشعب نفسه ، ليدعى الى الاسلام بالتى هي احسن دون اكراه ولا اجبار ، قال تعالى في سورة النحل « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن » وقال في سورة البقرة « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ولا بد ان تكون الدعوة الى الشعب دعوة عملية يرى فيها نور الاسلام ، ولذلك كان لا بد ان يحكم الشعب بما أنزل الله ، ليسعد في دنياه ، ويرشد الى خير طريق للسعادة ، ويدفع عنه الظلم والاستغلال والاذية ، وان تحفظ دماء الشعب ونسائهم واموالهم ، لانهم اصبحوا في ذمة المسلمين ، قال عليه السلام « من آذى ذمياً فانا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وولى عليه السلام عبد الله بن ارقم على جزية اهل الذمة ، فلما ولى من عنده ناداه فقال « ألا من ظلم معاهدا ، او كلفه فوق طاقته ، او انتقصه ، او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه ، فانا حجيجهم » يوم القيامة ، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال :

اوصي الخليفة من بعدي باهل الذمة خيراً : ان يوفي لهم بعهدهم ، وان يقاتل من وراءهم ، وان لا يكلفوا فوق طاقتهم ، وقد جعل عمر رضى الله عنه للعجزة والمكفوفين والمقعدين من اهل الذمة رزقاً في بيت المال ، كما انه رضى الله عنه حين فتح العراق وجد بعد الفتح اناساً يملكون اراضى ولكن لا يقدرول على استغلالها ، فابقى الارض في ايديهم واعطاهم من بيت مال المسلمين مالاً كافياً ، ليستغلوا به ارضهم ؛ وبهذا الحكم المشالى للشعوب غير الاسلامية ؛ وبالدعوة الحكيمة للاسلام ، دخلت هذه الشعوب - من فارسية ورومية وقبطية وببرية - في دين الله ، ولبت دعوة الاسلام على اختلاف

قومياتها وأديانها ، وصارت مع العرب امة اسلامية واحدة . وكان دخول هذه الامم في الاسلام نتيجة لقيام الدولة الاسلامية برسالتها « وهي الدعوة » وفهمها الحقيقية هذه الرسالة ، وقيامها بها خير قيام على اكمل وجه .

وانما كانت مهمة الدولة الاسلامية حمل الرسالة الاسلامية للعالم ، لان رسالة محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم « والامة الاسلامية وارثة لهذه الدعوة ، مفروض عليها ان تم هذه الرسالة بتبليغها لمن لم تبلغه ، وحملها لمن لم تصله من الناس في كل جيل وفي كل زمان حتى تكون دين البشرية عموماً ولذلك كان لا مفر من ان تحمل هذه الدعوة ، وكان لازماً عليها ان تقوم بهذا الواجب ، قال تعالى في سورة الاحزاب « يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً » وقال في سورة الاحزاب « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً » والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصداقاً لما بين يديه ان الله بعباده خبير بصير ، ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق باخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وان الرسول صلى الله عليه وسلم قام بالخير من منى فقال : « نضر الله امرأاً سمع مقالتي فاداهما كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه » وقال عمر بن الخطاب : (اللهم اني اشهدك على امرء الامصار ، فاني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم) وهكذا كانت المهمة الشرعية والاصلية للدولة هي حمل الدعوة وتبليغها . على ان من طبيعة هذه الدعوة انها تقسر الانسان والدولة على القيام بتبليغها ، لان الرسالة الاسلامية نور

وهدي . واذا تجسد الاسلام في شخص ، لم يطق ان يبقى هذا الاسلام حبيسا في نفسه ، فيدفعه شعوره بالسعادة واحساسه بالهدى ان يقوم بدعوة الناس اليه . فالاسلام بطبعه حين تعتقه الدولة يدفعها لتبليغه للناس كافة . وحملها للمثل الاعلى بوجب عليها ان تنير للناس طريقهم بالاسلام ، وتعطيهم مما منحها الله من تعاليمه ، لتجلب لهم السعادة ، ولتتمتعهم بالهناء كما تمتعت به ، شعوراً بها للانسان من واجب على اخيه الانسان . قال ليوبولد فايس في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » (فعلى كل مسلم ان ينظر الى نفسه على انه مسؤول شخصياً عن نشر كل انواع السعادة حوله ، وان يسعى الى اقرار الحق ، وازهاق الباطل في كل زمان وفي كل ناحية ونحن نجد مصداق ذلك في اية من القران الكريم « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . هذا هو التبوير الادبي للنشاط الظالم في الاسلام ، اي تبوير الفتوح الاسلامية الاولى ، او ما يسمونه بالتوسع الاستعماري اذالم يكن بد من استعمال هذا التعبير . ولكن هذا النوع من الاستعمار لم يحث عليه حب السيطرة ، وليس فيه شيء من الانانية الاقتصادية او القومية ، ولا شيء اخر من الطمع في ان تزيد اسباب رفاهيتنا الخاصة على حساب شعب اخر ، ولم يقصد منه في يوم من الايام اكراد غير المومنين على الدخول في الاسلام) وهكذا كانت مهمة الدولة الاسلامية منذ اللحظة الاولى لانشائها ومهمتها اليوم والى ان تقوم الساعة ، هي تطبيق الاسلام ، وحمل رسالته للعالم حتى يعم الناس جميعهم . ومن هنا كان المسلمون قادة الدنيا وكانت الدولة الاسلامية قائدة العالم خيره وسعادته لما في الاسلام من مؤهلات العبادة واسباب السعادة .

مؤهلات القيادة في الاسلام

جاء الاسلام للناس كافة ، فلا بد ان يعمل في كل مكان ، وهو لا يستطيع ان يعمل الا ان تكون القيادة له ، لانه بطبيعته عقيدة استعلاء ومنهج قيادة . ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو الى الاسلام ، ويهيء المسلمين تهية خاصة تؤهلهم لقيادة الامم ، وتجعلهم قادرين على ان يضمّنوا لها سعادتنا ونجاحها في ظل هذه القيادة الاسلامية .

وقد كان الاسلام في فكرته وطريقته يهيئهم تهية طبيعية لان يكونوا الاوصياء على العالم ، المنقذين له من الضلال الذي يتخبط في دياجيده وان يكونوا القادة له المتزعمين حركاته وكانت هذه التهية كامنة في اسسه ومبادئه فمن الاشياء التي اهلتهم للقيادة مايلي :

العقيدة الاسلامية

١ - ان الاسلام قد حل العقدة الكبرى وهي الفكرة عما وراء هذا الكون والانسان والحياة ومجلها انحلت جميع العقد ، لانها هي التي يبني عليها وعلى وجهة نظرها حل جميع المشاكل وذلك ان الاسلام حين بين العقيدة الحقة بيانا شافيا بانها عقيدة التوحيد ؛ انتصر على الجاهلية العالمية بما فيها الجاهلية العربية ؛ فكان بعدها منتصرا طبيعيا في كل معركة من معارك الفكر والخلق والنظام لانها كلها قائمة على العقيدة ؛ اذ هي الاساس الذي يرتكز عليه كل شيء وهو حين وضع العقيدة عقليا ومنطقيا ؛ قد حدد وجهة نظر المسلم بما قبل الحياة (وهو الله) وبما بعد الحياة (وهو يوم القيامة) وفي الحياة

نفسها ؛ وفي علاقتها بما قبلها وما بعدها وقد حدد في الحياة نفسها معنى السعادة ؛ وبين انها رضا الله ومقاييس هذا الرضا نفع عباد الله ؛ والحرص على سعادة خلقه ورفاهتهم ؛ وهي تتمثل في طمأنينة النفس « يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » وهذه العقيدة التي حملت بها العقدة الكبرى عند الانسان قد كونت عنده تلك العقلية الكاملة الواضحة ، التي تجعله مدركا لكل الادراك ماذا يريد ان يعمل ، وكيف يقوم بالعمل ، ولماذا يعمل ؛ وبهذا صار اهلا لقيادة الانسانية الى السعادة .

الفلسفة الاسلامية

٢ - ان الفلسفة الاسلامية التي تضبط اعمال الانسان هي الجمع بين المادة والروح وعدم الفصل بينهما ، وتوجب مزجهما معاً في كل جزئية من جزئيات الحياة وتنكر فصلهما عن بعضهما كل الانكار ، ولذلك لا يعتبر الاسلام اي حياة تقوم على المادة وحدها ، ويراها حياة شر وخراب ودمار للانسان وتعجيل بقاء الحياة ، ويرى ان كل مدينة تقوم على اساس المادة وحدها ، هي مدينة مخصصة في الحديد والرصاص ، والورق والقماش ، مجدية في القلوب والارواح ، والفضيلة والاخلاق ، وما مثلها الا كجسم ضخم موزم يملأ العين بشكاه ، وهو في حقيقته عليل هزيل ؛ لانفع منه ولا خير فيه .

وكذلك لا يعتبر الاسلام اي حياة تقوم بالروح وحدها بل انه لا سبيل الى قيام اي حياة بالروح ؛ اللهم الا الحياة الحاملة الهزيلة ؛ والحياة الروحية المنفردة عن المادة تكون نتيجتها هدم الحضارة ؛ وتقويض المدنية ، وتخريب المدن ؛ وابعاد الخلل في نظام الحياة ؛ واهدار الوجود الانساني ؛ بل للحياة الانسانية الحقنة .

ولذلك يمتاز المسلمون الاولون بانهم كانوا جامعين بين المادة والروح ؛ فجمعوا بين السمو الروحي ، والطهارة الخلقية ، وبين القوة والسياسة ، حتي تمثلت فيهم الانسانية بجميع نواحيها وشعبها .

التشريع الاسلامي

٣- ان التشريع الاسلامي عميق الجذور ، متين الاساس ، قد تركزت فيه الاهداف العليا للحياة ، وثبتت فيه الخطوط العريضة لكافة الانظمة ، وتركزت فيه الخطوط الدقيقة للمسائل التفصيلية للانسان ، ليجاهد ويناضل بعقله ، ليضع هذه التفصيلات حسب تطور الحوادث والاحداث . ولذلك كان تشريعاً متسعاً في نصوصه وقواعده وأحكامه لان يشمل جميع المعالجات لكافة مشاكل الحياة . وهو فوق ذلك ؛ ليس مأخوذاً من الانسان ؛ وانما هو منزل من عند الله تعالى . فهو باعتبار نصوصه محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يداخله الخطأ والظلم كما هو الحال في التشريعات الارضية . ومثل هذا هو الذي يصلح الانسانية . ولذلك كان المسلمون الاولون يفتحون البلاد المختلفة القوميات والاديان واللغات والتشريعات والقوانين ؛ وما يلبثون فيها مدة يطبقون فيها تشريعهم ؛ حتى يجد الناس انفسهم متقادين لهذا التشريع ، سعيدين بأحكامه ، كل ذلك لان الفكرة الاسلامية كانت تحمل لهم مؤهلات القيادة . هذا في الفكرة . وأما الطريقة :

العزة للمؤمنين

١- فان الاسلام يجعل لاهله العزة ؛ ويفرض عليهم تولى الحكم والقيادة ، قال تعالى في سورة النساء « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » وقال في سورة المنافقين « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » وقال في سورة فاطر « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » ولكن الله لا يعطيهم هذه العزة ، ولا يوليهم الحكم والقيادة الا بعد اعداد ثقافي ، وتركيبية نفس ، وطهارة ؛ حتى يكون الحكم وسيلة لتطبيق الاسلام ، ليحقق للانسانية سعادتها ، وحتى يكون الاسلام مجسداً في هؤلاء الحكماء بنفوسهم وأعمالهم .

المسلمون حملة رسالة عالمية ٢ - ان هؤلاء المسلمين ليسوا خدمة جنس ؛ ولا رسل شعب ووطن ؛ وإنما هم خدمة الانسانية ، ورسل العالم ؛ قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فالأمر عندهم سواء والناس كلهم من آدم وادم من تراب .

٣ - ان المسلم يرى حقاً عليه ان يجاهد ويبذل ما في وسعه لاخذ قيادة الحياة من يد الأشرار الطغاة ؛ حتى يوجه هو الحياة حسب احكام الاسلام فعلى كل مسلم في البلد الاسلامي ان يجاهد ليأخذ قيادة الأمة الاسلامية من ايدي الفساق والفجار ؛ ليجعلها حياة سامية على ايدي المؤمنين ان يناضل في سبيل تخليص باقي الاقاليم الاسلامية من ايدي الطغاة والفساق ؛ حتى يوحدوها في دولة هي الدولة الاسلامية .

تلخيص
القيادة من يد
الأشرار

وعلى الدولة الاسلامية ان تحول القيادة في العالم من ايدي الطغاة والكفار الى ايدي المؤمنين العادلين ، ولذلك فان العالم الاسلامي يرى لزاماً عليه ان يأخذ القيادة العالمية من الايدي الاثيمة الحرقاء ، لينقذ العالم من الخطر الذي يهدد الانسانية بالدمار ، وبهذه الغيرة وهذا الطموح يستحق المسلم القيادة للانسانية جمعاء .



الدولة وتنفيذ النظام الاسلامي

الاسلام دين سماوي نزل لتنظيم علاقة الانسان بحالقه وبنفسه ، وبغيره من بني الانسان ويكون ذلك بنظام عام يشمل جميع نواحي الحياة .
وقد خاطب الله بالاسلام جميع الناس بوصف الانسانية فقط ، لا بأي وصف آخر قال تعالى « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وقد اعتبر علماء اصول الفقه ان الخطاب بالاحكام الشرعية هو كل عاقل يفهم الخطاب ، سواء اكان مسلماً او غير مسلم . وقد قال الامام الغزالي في كتاب المستصفى في الاصول : (ان المحكوم عليه هو المكلف ، وشرطه ان يكون عاقلاً يفهم الخطاب ، وان اهلية ثبوت الاحكام في الذمة تستفاد من الانسانية التي بها يستعد لقبول قوة العقل الذي به فهم التكليف) . وعلى ذلك كان الخطاب في الاسلام لجميع بني الانسان ، خطاب دعوة وخطاب تكليف ، اما خطاب الدعوة فالمقصود به دعوة الناس الى اعتناق الاسلام ، واما خطاب التكليف فالمقصود به التزام الناس بالعمل بمبادئ الاسلام . هذا بالنسبة للناس عامة .

المخاطبون
بالاسلام

اما بالنسبة للناس الذين تحكمهم الدولة الاسلامية فان الاسلام يسير معهم بوصف الانسانية ؛ فيخاطبهم جميعاً بالاسلام على شرط العقل وفهم الخطات الا ان من اسس هذا النظام في قواعد الكفاية لمعالجة مشاكل الحياة ؛ انه لا بد من

ملاحظة وجود الجزاء على العمل بالثواب أو العقاب ؛ وان يكون هذا الجزاء معجلاً ومؤجلاً . وان يلاحظ في الجزاء المعجل ان ينفذ بالتشريع من الدولة الاسلامية . وان يلاحظ في الجزاء المؤجل ان يتصور تنفيذه من قوة عليا هي الله ؛ لانه هو الذي خاطب الناس بالشرعة .

اعتبار
الاسلام
للمحكومين

اما ناحية الدولة التي تقوم بتنفيذ هذا النظام ؛ فهي ناحية تتعلق بنظام الحكم . وذلك ان الاسلام يعتبر الجماعة التي تحكم بموجب هذا النظام وحدة انسانية . بغض النظر عن طائفتها وجنسها وقوميتها . ولا يشترط فيها الا التابعة (وهي الولاء للدولة والنظام) . ولذلك لا توجد فيه الاقليات . بل جميع الناس باعتبار انساني فقط هم مواطنون في الدولة الاسلامية ماداموا يحملون التابعة .

وينظر الاسلام للنظام المطبق عليهم باعتبار تشريعي لا باعتبار ديني روحي ، اي باعتبار الاحكام الشرعية لا باعتبار ناحية الدين . وذلك لان الاسلام قد لوحظت في تشريعه الناحية التشريعية فقط ؛ لا الناحية الدينية الروحية ، وتلاحظ فيه دائماً المصلحة العامة عند التشريع ، كما يلاحظ فيه المنطق والاستدلال العقلي . والدولة هي التي تنفذ هذا التشريع بالجزاء المعجل ، وتترك الناحية الدينية الروحية لله تعالى في الآخرة وبعبارة اخرى تترك الجزاء المؤجل لله تعالى « يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء » .

وبناء على هذا التفريق بين الجزاء المعجل والجزاء المؤجل ، كان من اسس هذا النظام ان تختص الدولة بتنفيذ الجزاء المعجل وان يكون ذلك وفق التشريع بالاعتبار القانوني لا الروحي وعلى اساس هذا الاعتبار كانت واجبات الدولة في تنظيم علاقات الانسان مع هذا النظام تختلف ناحيتها الدينية (الروحية) عن

ناحيتهما الدنيوية (العقوبات والمعاملات) بالنسبة للمحكومين لها ، والخاضعين لتشريعها ، لان طبيعة التشريع ليست دينية روحية ، وانما هي دنيوية ، ولذلك فرق الاسلام بين من يعتقدون عقيدته ، وبين من لا يعتقدونها بالالتزامات في الشريعة والتشريع .

فالذين يعتقدون عقيدة الاسلام - اي المسلمين - يكون اعتناقهم له واعتقادهم به هو الذي يجعلهم ملتزمين بجميع التزاماته ، فهو لهم شريعة وتشريع وهم مجبرون على القيام بالتزاماتهم هذه ، سواء المتعلقة بعلاقتهم مع الله او بعلاقتهم مع انفسهم ، او بعلاقتهم مع غيرهم . وذلك لان اعتقاد الاسلام والايمان به ، لا بد له من ثمرة تظهر في ناحيته الروحية ، وتكون مهبدة للنفس مكملة لها ، تقوي الايمان وترتيده ، وهذه الثمرة هي العبادات ، وهي فروع لهذه العقيدة ايضا ، وهي من نوع علاقة الفرد بخالقه ، لان هذه العلاقة تتضمن الايمان بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، كما تتضمن عبادة الله ، ولذلك كانت العبادة والعقيدة من علاقة الانسان بخالقه ، ولهذا كانت واجبا على المسلم ان يقوم بشعائر العبادات وجوباً دينياً وتشريعياً ، ويعاقب على ترك القيام بهذه الشعائر وفق نظام العقوبات . وعلى الدولة ان تقوم بتنفيذ هذه الشريعة على المسلم كما تقوم بتنفيذ التشريع عليه ، لان القيام بالتزامات المسلم امر تقوم الدولة على تنفيذه والتزام القيام بحق الله كالالتزام القيام بحق العباد بالنسبة للمسلم هو من واجبات الدولة ، ولا يقال ان هذه الناحية تركت لله تعالى ، فان الذي ترك هو الثواب والعقاب المؤجل اما تنفيذ الشريعة والقيام بالتزاماتها ، فهو من قبيل الجزاء المعجل بالنسبة للمسلم الذي اعتقد الاسلام واما غير المسلمين فأنهم بعدم اعتقادهم

تنفيذ الاسلام
على
المحكومين

عقيدة الاسلام لم يلتزموا تعاليمه ، لانهم لا يكرهون على اعتناقه ، ولذلك لا يكون للدولة عليهم سلطان من هذه الناحية لانه لا توجد لها عليهم التزامات التزموها فلا يكلفون بالشريعة ، ويتروكون وما يدينون وما يعتقدون وما يعبدون ، ويسار معهم بموجب منطوق الاية « لا اكراه في الدين » وعلى هذا يكون المواطنون في الدولة الاسلامية قسمين اثنين بحسب عقائدهم ، احدهما الذين اعتنقوا الاسلام واعتقدوه ديناً لهم شاملاً لعقائدهم ونظم حياتهم ، والثاني غير المسلمين ، وهم الذين لم يعتقدوا الاسلام مهما كانت العقيدة التي يحملونها .

تنفيذه على
المسلمين

اما القسم الاول - وهم المسلمون - فانهم بحكم الاجتهاد في الاسلام مذاهب مختلفة ، ولكنهم متفقون في العقيدة الاسلامية الجوهرية ، ولا يضر اختلاف المذاهب الفقهية والفرق الاسلامية ، وذلك ان الاسلام يمتاز عن غيره بما سنه من حرية الرأي ، ولو ادى ذلك الى الخلاف ضمن حدود الاسلام . وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام ان للمجتهد اذا اخطأ اجراً واحداً ، واذا اصاب اجرين اثنين وفتح الاسلام باب الاجتهاد ، ولذلك لم يكن عجباً ان يكون هنالك اهل السنة والشيعة والمعتزلة او غيرهم من الفرق الاسلامية التي تتفق جميعها بالجوهر ، وكلها تعتق عقيدة واحدة هي عقيدة الاسلام ، وهؤلاء جميعاً يعتبرون مسلمين ، وعلى الدولة ان لاتعرض لهذه الفرق الاسلامية ولا لاتباع المذاهب الفقهية مادامت لاتخرج عن عقيدة الاسلام .

تنفيذه على
غير المسلمين

واما غير المسلمين فهم من يعتقدون عقيدة غير العقيدة الاسلامية وهم :
١ - الذين يدعون انهم مسلمون ويعتقدون عقيدة تناقض عقيدة الاسلام .
٢ - الذين هم من اهل الكتاب .

٣ - المشركون ويشمل الصابئة والمجوس والهندوك والدهريين والذين لا يعتقدون بالله ، وجميع من ليسوا من اهل الكتاب ، وهؤلاء جميعاً تترك لهم الحرية في عقائدهم وعباداتهم ويسيرون في احوالهم الشخصية حسب عقائدهم وفي الاخلاق حسب عقائدهم ايضاً ولكن ضمن النظام العام .

هذا ما يتعلق بعلاقة الانسان بخالقه وبنفسه واما مايتصل بعلاقته بغيره من الناس وهو العقوبات والمعاملات اي جميع انظمة الحياة ، فان جميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم واجناسهم وقومياتهم ، مخاطبون باحكام الشريعة الاسلامية من ناحية تشريعية لامن ناحية دينية (روحية) ، ماداموا يحملون التبعية الاسلامية . ولذلك تقام العقوبات على غير المسلمين كاتقام على المسلمين ، وتنفذ وتفسخ معاملات غير المسلمين كمعاملات المسلمين سواء بسواء من غير تفرق او تمييز بين مواطن وآخر .

هذا هو موقف الاسلام بمن يحكم من حيث الشريعة والتشريع ، وهو يتلخص فيما يلي :

١ - المسلمون على اختلاف مذاهبهم وفرقهم مطالبون من قبل الدولة بالقيام بالتزامات الاسلام جميعها ، سواء العقيدة والعبادات ، ويستحقون العقوبات على مخالفتها جميعها .

٢ - غير المسلمين على الاطلاق لهم الحرية في عقائدهم وعباداتهم ، ويسيرون في الاخلاق والاحوال الشخصية حسب عقائدهم .

٣ - جميع المواطنين ممن يحملون التبعية الاسلامية - مهما كانت مذاهبهم واديانهم واجناسهم ومياتهم - مطالبون من قبل الدولة بجميع انظمة الحياة المتعلقة بعلاقة الانسان بغيره من بني الانسان في العقوبات والمعاملات وكافة انظمة الحياة ، ويطبق في حتم جميعهم النظام الاسلامي كنظام حكم ونظام حياة بوصفهم الانساني فقط لا بآي وعنف آخر .

سر الفتوحات الاسلامية

كان العرب قبل الاسلام ضعافاً امام الفرس والروم ، وكانوا يتضاءلون امام هاتين الامبراطوريتين ، وكان لهما في نفوسهم هيبة وسلطان ، وكانت بعض مناطق بلادهم خاضعة لنفوذهما ، وبعضها مستعمر لهما . فما الذي جراً العرب على الفرس والروم ، وبعث فيهم قوة جعلتهم يتقدمون الى هاتين الدولتين وبثلون عرش قيصر ويطيحون بايوان كسرى ؟ كان العربي لا يعرف من العالم الا ما جاور بلاده ولا يهتم من العالم الا بما يلزمه في معاشه ، فما الذي رسم في ذهن العربي خريطة العالم وجعله يعمل لفتحه ؟ وما الذي اثار فيه الاهتمام بالعالم لحكمه وهدايته ؟ هل كان احد يصدق العربي وهو يراه راكباً ناقته ، متوشحاً سيفه يخرج من المدينة وهو يقول : اني ذاهب لفتح العراق وفارس في الشرق وافريقيا والاندلس في الغرب ؟ هل كان احد يصدق خياله هذا ويؤمن بقدرته على تحقيق ما يقوله ؟ اذن فما الذي جعله يحقق هذا الخيال ويملي على الناس ان يؤمنوا بقدرته ؟

ان الذي بعث في العربي قوة يستولي بها على امبراطوريتي فارس والروم ورسم في ذهنه خريطة العالم ليفتحه ويحمل له هدايته ، وجعله يحقق خياله ويملي على الكون ارادته ، ان الذي احدث به ذلك ومثله من المعجزات ، انما هو حملة القيادة الفكرية للاسلام حين اعتنق عقيدة الاسلام ، هذه العقيدة هي وحدها سر المعجزة الخارقة التي ظهر بها العرب في فتوحاتهم ، وهي وحدها سر بقاء عروبة جميع البلاد

حل الشعوب
غير العربية
للدعوة

العربية بعد ان كانت رومية وقبطية وبربرية . وسر بقاء اسلام جميع البلاد التي فتحها المسلمون بعد ان زال عنها سلطان المسلمين ودولتهم . نعم ان العقيدة الاسلامية وحدها هي سر الفتوحات الاسلامية كلها ، وهي التي جعلتهم يحملون القيادة الفكرية للعالم ، ويؤمنون بواجب هدايته حين حملوا دعوة الاسلام . ولم تقتصر هذه القوة على العرب وحدهم ، بل ان جميع الذين اخذوا في ذلك العهد بمبدأ الاسلام واعتنقوا عقيدته وحملوا دعوة الاسلام - قيادة فكرية - قد بث فيهم الاسلام هذه القوة الخارقة ، وقلب احوالهم حين قلب مفاهيمهم ، واحال فيهم الضعف قوة والانحلال تماسكا ، والهبوط ارتفاعاً . وها هي الشعوب التي فتح العرب بلادها ودخلت في دين الله من اهل فارس والشام ومصر وشمال افريقيا ، كانت قبل فتح المسلمين بلادها ايماناً منحلة متداعية ، لم تثبت امام جيوش المسلمين ، ولم تقف في وجه الفاتحين . حتى اذا اعتنقت الاسلام وانضمت الى صفوف العرب اذا هي شعوب اسلامية فاتحة ، تتحول الى صدق في الجهاد ، وتثبت بنصرة الدين ، واخلاص لراية الاسلام ، واستماتة في سبيل اعلاء كلمة الله .

توحيد
الشعوب
في امة واحدة

وهذه العقيدة الاسلامية وحمل قيادتها الفكرية ، هي التي جعلت العرب الخارجين من الجزيرة وغيرهم من عرب وعجم وروم وقبط وبربر - جعلتهم امة واحدة ، تجمعها عقيدة واحدة ، تنبثق عنها انظمة تعالج جميع مشاكل الحياة وتحمل قيادة فكرية واحدة ، وهذا ما مكنتهم من تتابع الفتوح ، واستمرار الجهاد والا فكم هو عدد العرب الذين خرجوا من الجزيرة بجانب جميع الامة المفتوحة ما هو الا عدد ضئيل بجانب عدد تلك الشعوب . ونظرة استعراض خاطفة لانشاء الدولة الاسلامية ، ترينا السر واضحاً في

جميع الفتوحات الاسلامية ، وما هو الا الايمان الراسخ الذي اوجد القوة المعنوية ، التي ادركت امامها جميع القوى ، واوجد الفكرة التي اكتسحت جميع الامبراطوريات ، واحتلت البلاد التي دخلتها احتلالاً ابدياً الى يوم الدين .

نشأة الدولة الاسلامية اما كيف نشأت هذه الدولة الاسلامية ، وكيف تكونت ، فذلك امره يرجع الى نشأة الاسلام وتأثيره في نفوس العرب .

لقد انبثق فجر الاسلام في مكة ، واشرفت شمسُه في المدينة ، فاعتنقه العرب . وباعتناقهم له اصبحوا خلقاً جديداً غير خلقهم الاول . ذلك ان الاسلام انشأهم نشأة جديدة ، وبث فيهم روحاً جديدة ، اذ احتل منهم مناطق عقائدهم ، ومحارِب عبادتهم ، وصمم وجدانهم ، بعد ان افتحم عقولهم وافكارهم فاحتلها ، وتصرف بفاهيمهم فغيرها ، وغير جميع ما في عقولهم ، وكل ما في قلوبهم ووجدانهم ، فغير ما في نفوسهم فغيروا واستحالوا خلقاً جديداً . لقد التقى في العرب بذرة التوحيد حين دعاهم الى توحيد الله تعالى ، فاعتنقوها بعد ان ادركوها بعقولهم ، واقبلوا عليها بقلوبهم ، اذ وجدوها نقيّة من كل سائبة ، بسيطة كل البساطة ، والفوها — في نفس الوقت — عميقة كل العمق ، مفعمة بالمنطق والادراك . واذا كان يكفي الانسان ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ليدخل في حظيرة الاسلام ؛ فان عليه ان يعمل عقله ومنطقه حتى يدرك بعقله كما يؤمن بقلبه ، انه جل جلاله لا اله الا هو ، حتى يقبل منه ذلك الايمان . وباقبال الانسان على هذه العقيدة — بعد نظره فيها بعقله وقلبه — يصبح انساناً مستنير الفكر ، طاهر النفس . وكذلك أصبح العرب بعد الاسلام متحرري النفس من قيود الاوهام والخرافات ،

طاهري القلب من رجس الاوثان ، يشعرون شعوراً عميقاً بأنهم متصلون بالله
وانه لاجباب بينهم وبين الله. وهذا الايمان هو الذي اخذ بمجامع القلوب ،
فجمع بينها برابطة واحدة ، وجعل العقول تصدر بتفكيرها عن شيء واحد
يظهر فيها جميعها بمظهر واحد ، وهو الذي نزع ما في صدور العرب من غل ؛
وجعلهم اخواناً في الله يحب احدهم لاخيه ما يحب لنفسه ، ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحب اليهم من انفسهم وأموالهم وولدهم ، وهو الذي جعل الجهاد في سبيل
الله أحب اليهم من ابائهم وابنائهم واخوانهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم
ومساكنهم ، وهو الذي جعلهم يبيعون انفسهم لله يطلبون الجنة ، فيقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون . من هذه النفوس الكريمة كوث عليه السلام
الدولة اسلامية ؛ وانشأها على الاساس المتين الذي لا يتطرق اليه ادنى خلل
او اقل تصدع . واقامها من هؤلاء المؤمنين على نظام للمجتمع متين ، قد انبثق
عن العقيدة ، فكان مثلها الاعلى (رضوان الله) جامعاً بين البساطة والقوة ،
وكان هو الموجه لشؤون المجتمع ، حتى كان المسلم ينفذ الاسلام بوجهي من
ضميره ، وبتشريع من دولته ، ويستعد لمثل عقيدته وتشريعه يدعو اليه
الناس ، وينفذه عليهم ، وبذا نشأت الدولة الاسلامية نشأة قوية متوكة ،
نشأة اتساع وغو ، نشأة انتشار وفتح ، فكانت بذرة انشائها بذرة انشاء
دولة عالمية لادولة محلية ، لان فكرتها عالمية اذ ان عقيدتها عقيدة عالمية ، ونظامها
نظام عالمي فكان طبيعياً ان تنتشر ، وكان طبيعياً ان تفتح البلاد ، لان
طبيعة نشأتها توجب ذلك وتحتمه .

نشر الاسلام

ولذلك كان طبيعياً ان يكون سبب فتوحاتها نشر الاسلام وحمل الدعوة الاسلامية ، وكان طبيعياً ان لا تفرق في فتحها للعالم كله بين ان تفتح مصر بخيواتها وسهولة فتحها ، وبين ان تفتح شمال افريقيا على صحراويتها وفقرها ، وصعوبة فتحها ، ومشقة نشر الاسلام فيها . لانها انما تفتح لنشر الاسلام وحمل دعوته . وذلك يقتضيها ان تدخل كل بلد - مهما كان فقره او غناه - وان تواجه كل شعب - مهما كان استسلامه او مقاومته - لان نشر الاسلام وحمل دعوته للناس لا يعرف فقر بلد او غناه ، ولا قبول اهله او رفضهم ، وانما يعرف شيئاً واحداً ، وهو حمل القيادة الفكرية الاسلامية لجميع الناس في جميع البلاد ، وعلى ذلك فالاصل في الفتوحات الاسلامية ، انها في سبيل اعلاء كلمة الله ، لان الدولة الاسلامية انشئت على هذا ، ووجدت من اجل هذا ، وهيئت لهذا وحده . فطبيعة نشأتها ان تنمو على هذا الاساس ، وان تتسع في نطاق دعوة الاسلام وفي سبيلها .

نواة الجيش الاسلامي

فما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بيعة العقبة الثانية ، بيعة عسكرية ؟ يبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ولوادى ذلك الى فناء الاموال وقتل الاشرف ، يبايعونه على السمع والطاعة في سرهم ويسرهم ، ومنشطهم ومكرهم ، وان يقولوا الحق ايما كان ، وايما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، يبايعونه على الموت وليس لهم مقابل ذلك كله الا الجنة والارضوان الله وهؤلاء هم نواة جيش الدولة الاسلامية ، التي حملت الاسلام . فكيف يكون هذا الجيش الذي يبيع هذه البيعة ؟ وما هي مهمته الحربية التي تبدو في هذه البيعة ؟ البست هي مهمة حمل دعوة الاسلام ؟ وهي وحدها التي جاؤا من اجلها ، وبايعوا عليها ؟ واستعدوا للموت في سبيلها .

ثم ها هو عليه الصلاة والسلام يضع خطة نشر الدعوة الاسلامية خارج الجزيرة ، بعد ان قامت الدولة الاسلامية في الجزيرة . يضع هذه الخطة في كتبه التي ارسلها في السنة السابعة للهجرة ، الى قيصر والى كسرى ، والى غيرهما من الملوك والامراء ، يدعوهم جميعاً الى الاسلام . وهما هم اولاء صحابته ينفذون هذه الخطة ، حين يخرجون بجيوشهم يحملون الدعوة الاسلامية فيحققونها في جميع البلاد التي كانوا بينهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحققون الدعوة ابنا حلوا ، في اي مكان استطاعوا ان يصلوه ، وهكذا نشأت الدولة الاسلامية لتطبيق الاسلام وحمل رسالته ، وهكذا سارت تطبق الاسلام وتحمل رسالته . فكان بديهاً ان لا يكون سبب لفتوحاتها سوى نشر الاسلام بل يكون السر في معجزة هذه الفتوحات بهذه السرعة وهذا التأثير الفريد في بابه بين تواريخ العالم ، هو الاسلام ونشره وحمل دعوته .

على ان المسلمين حين يفتحون البلاد انما يستولشون بقرآنهم ، ويسيرون ، آيات القتال على هداة ما داموا مسلمين معترفين بالاسلام يبين لهم اسباب القتال وفريضه الجهاد ، بانها لان تكون الا في سبيل الاسلام وحمل رسالته للعالمين . وهناك آيات مستفيضة الكثرة تأمرهم بالقتال من اجل الاسلام قال تعالى في سورة الانفال « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » وقال في سورة الانفال « يا ايها الذين آمنوا اذلقتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تهاجرون » وقال في سورة التوبة « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون » وقال سورة التوبة « انفروا

خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وقال فيها « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسينين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او يلدبنا فتربصوا انا معكم متربصون » وقال فيها ايضاً « يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » وقال فيها ايضاً « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال فيها ايضاً « يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين » .

فهذه الآيات وغيرها هي التي كان يحملها المسلمون للناس حين يفتحون البلاد، وهي التي كانت تدفعهم لهذه الفتوحات ، وهي التي كانت السر العظيم في انتصارهم الساحق على اعدائهم ، وهي التي حببت اليهم الاستشهاد في سبيل الله ، فاقبلوا على الموت متدافعين يطلبون الجنة ورضوان الله .

واذن فطبيعة نشأة الدولة الاسلامية ونص الاوامر والنواهي الاسلامية وسير الفتوحات الاسلامية كلها، تجلوا السبب في فتح المسلمين صريحاً واضحاً، بأنه من أجل الدعوة الاسلامية ، ومن أجل نشر الاسلام ، وان سره هو عقيدة الاسلام ، وهي سبب الفوز في النضال ، وهي سر النصر في القتال ؛ وهي التي تورث صاحبها من القوة ما يجعله يأتي بالمعجزات ، ويفعل الخوارق ؛ ويحقق ما يراه الناس خيالاً ، ويميز للوجود ما يظنه الناس من غير الممكنات . وبهذه العقيدة فتح العرب العالم ؛ وكونوا دولة الاسلام في سبيل الله ، ومن أجل دين الله .

هذا هو سر الفتوحات الاسلامية ، وهو سببها ؛ وهو السر الذي يعيد
للمسلمين دولة الاسلام ، يستأنفون بها حمل رسالته للناس كافة ، لانه وان
ذبلت اغصان الشجرة ، فان جذعها وجذورها لاتزال قوية الحيوية ، سليمة
التكوين ، قادرة على ان تنشىء فروعاً اكثر نضارة تلك الجذور هي العقيدة
الاسلامية وفلسفة الاسلام ، وذلك الجذع هو هذا العالم الاسلامي بأماكنياته
ومن فيه من المؤمنين ، واذامنت دولة الاسلام فان الاسلام الذي انشأها لا يزال
قادراً على ان ينشىء دولة اسلامية تحمل رسالته للعالمين .

تركيز الفتوحات الاسلامية

ان طبيعة الاسلام هي التي جعلت روحه تتمثل في المسلمين حين مست نفوسهم ، ونهبت عبقرياتهم ، وهيأتهم لان يكونوا قادة وفاتحين ، كما ان طبيعة الاسلام هذه ، هي التي مكنتهم من فتح البلدان بتلك السرعة الفائقة الحارقة ، وركزت هذه الفتوحات بتركيز الاسلام فيها ، حتى كان فتحهم لأي بلد - فتحاً ابدياً الى يوم الدين - قد سلخ هذا البلد واهله عن حالهم الاول ، واحالهم من كفار الى مسلمين ؛ كما احال مجتمعهم بكليته من حاله الاول - حال الكفر - الى الحال الاسلامي ؛ وذلك :

١ - ان الاسلام عقلي في عقيدته ؛ فكري في مبادئه ؛ فهو يفرض على معتنقه ان يؤمن به عن طريق العقل ، وان يدرك احكامه عن طريق الفكر ولذلك كان مجرد اعتناقه يحيل الانسان الى انسان عاقل مفكر ؛ حين يثير فيه المنطق باستعمال القضايا والبراهين لأدراك وجود الخالق ووحدانيته ، وينبه فيه الفكر لأدراك المسائل الاسلامية ادراكاً يمكنه من الايمان والعمل في آن واحد .

عقيدة الاسلام
واحكامه

٢ - يقضي الاسلام على معتنقه بالقراءة والتعليم والدرس ، واول كلمة نزلت في القرآن كلمة « اقرأ » وليس يكفي المسلم ان ينطق بالشهادتين ليتعلم الاسلام ويفهمه ، بل لابد من تعلمه والتثقف فيه بعمق وحسن ادراك حتي

القراءة
والدرس

يصح الايمان ؛ وحتى يمكن العمل باحكامه ؛ وهذا التعلم يوسع افق المسلم ، وينمي معارفه ؛ ويخصب عقليته ، ويجعله معلماً لغيره استاذاً لسواه .

طريقة
الاسلام
التعليمية

٣ - ان طبيعة مبدأ الاسلام واحكامه الشرعية توجب ان تكون طريقة تعلمها ارتقائية مؤثرة في المتعلم وفي الوسط الذي يعيش فيه ولذلك كانت المسامون يتعلمون الاسلام للعمل به ؛ وكانوا يتلقون احكامه تلقياً فكرياً ، فكان هذا مؤثراً في مشاعرهم ، ولذلك كان احساسهم بالحياة وتبعاتها احساساً ناتجاً عن فكر مؤثر ، فنتج عنه ما كان يشاهد في المسلمين من التلهب والحماس في نفوسهم للاسلام ، ومن الفكر والمنطق وغزارة المعرفة وسعة الافق ، لان العقيدة الاسلامية قد غرست في نفوسهم غرساً ، ولان تعاليم الاسلام قد اخذوها علماً ومعرفة بعد درس وتحيص ، ولان الناحية العملية كانت هي المسيطرة على العقيدة والمبدأ .

فهم لم يتعلموا الاسلام لمجرد العلم فقط ؛ والا لكانوا مجرد كتب تحوي معلومات عن الاسلام ، ولا سمعوه مجرد سماع كموعظ وارشادات ، والا لكانوا سطحيين لا حارة للايمان عندهم ، بل تجنبوا هاتين الناحيتين الخطرتين وهم اتعلم الاسلام كحقائق مجردة للتعلم فقط ؛ واخذ كموعظ وارشاد . وحصر طريقة اخذهم المفاهيم والاحكام بطريقة الاسلام ، التي هي اخذ الاسلام بعمق وتفهم ووضوح ، لتطبيقه عملياً في معترك الحياة .

الالتزامات
الاسلامية

٤ - ان الاسلام ارتقائي يأخذ بيد معتنقه ليسيير به في طريق الكمال ، فهو يفرض التزامات معينة على المسلم ، منها ما هو سلبى يحول بينه وبين الاندفاع وراء نزعاته الجسدية ؛ ومنها ما هو ايجابى يجبره على القيام بها ليشير

فيه اشواقه الروحية ، وهذه الالتزامات ذات تكاليف مالية وجسدية ونفسية ، والقيام بهذه الالتزامات يكون لغاية معينة هي الاخذ بيد الانسان الى مرتقى من الكمال يتمتع فيه بالسمو الروحي ، والاطمئنان النفسي ، والسعادة الحقة ، ويجعل الانسان ثابتاً على هذا المرتقى لا ينحدر عنه ، وانه وان كان الارتقاء في طريق الكمال الى المرتقى العالي صعب ، فان الثبات عليه اصعب ، ولذلك كانت هذه الالتزامات دائمة وليست مؤقتة ، حتى يظل الانسان في سموه وارتقائه .

وهذه الالتزامات هي اجتناب ما نهى الله عنه ، واتباع ما امر به والقيام بالعبادات والفروض والواجبات من قبل جميع الناس يحقق حداً مشتركاً من الرقي لا بد منه والقيام فوق الفروض والواجبات من قبل اولئك الذين آتاهم الله استعدادات ممتازة في الحس والادراك والروح ، يحفزهم على الاندفاع في طريق الكمال ليقطعوا شوطاً اكبر ، ومسافة اكثر من غيرهم .

وليس القيام بهذه الالتزامات بالامر الشاق العسير ، ولا بالشيء المرهق المضي ، وليس فيه حرمان من متاع الدنيا وملذاتها ، واعراض عن مباحاتها ومسرحتها ، وكبت للغرائز ومخالفة للطبائع ، كلا ، وإنما القيام بهذه الالتزامات من فروض وواجبات امر ميسور لكل انسان مهما كانت قواه ومهما كانت ارادته ، وهي لا تحول بينه وبين زينة الدنيا ؛ كما ان القيام بها فوق هذه الفروض والواجبات امر اختياري ، ولذلك يقوم بها اولئك المسلمون بشوق وشغف ، ويقبلون على العمل والسمو ليقوموا بأكثر مما فرض ، وهم يحسون اللذة التي لا تفوقها لذة من الاستمتاع الروحي ، والشعور العميق بأنهم منعومون برضوان من الله .

٥ - كان المسلمون يفتحون البلاد لمثل الدعوة الاسلامية اليها ، ونشرها فيها ، لا مجرد الفتح ، ولذلك كانوا يشعرون انهم رسل رحمة وهداية ، لارجال فتح واستعمار ، ولهذا كانوا يدخلون البلد فيحكمونها بالاسلام ، فيعدلون بين الناس في الحكم ، ويساوون الناس بأنفسهم في الحقوق والواجبات الانسانية ، وبمجرد دخول اهل البلاد في الذمة ، يصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ويصبح لتلك البلد المفتوحة من الحقوق والواجبات في الدولة ما لأي بلد آخر من أجزاء الدولة ، وتصبح قطعة منها ، لان نظام الحكم نظام وحدة ، ولهذا لم يكن اهل البلاد المفتوحة يشعرون بانهم مستعمرون ، ولا يحسون بأي ناحية تشم منها رائحة الاستعمار ، هذا علاوة عما كانوا يجدونه في الحكم وفي احوالهم المعاشية من انسانية ومساواة على وجه لا يميز الحاكم عن اي شخص من الناس ، لا في نفسه ولا في أسرته ، ولا في اي نوع من انواع الحياة ، ولذلك لم يكن عجبيا ان يقبل الناس على الاسلام بعد ان رأوا عمليا - حقيقة الاسلام في الكيفية التي يحكم بها المسلمون .

٦ - ان مبدأ الاسلام واحكامه عامة لجميع الناس ، ويباح تعلمها للجميع وجوب تعميم الناس ، بل يفرض تعليمها للجميع الناس حتى يتذوقوا حلاوة الاسلام ويدركوا حقائقه ، ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرسل الولاة والحكام والمعلمين يحكمون الناس بالاسلام ، ويعلمونهم احكامه ، وكذلك كان المسلمون من بعده ، يفتحون البلدان ويقبضون بها الحكم والمعلمين ، ويفقهون الناس في الاسلام ، ويعملون احكام القرآن فأقبل اهل البلاد المفتوحة على المعارف الاسلامية حتى اصبحت عقليتهم جميعا عقلية اسلامية في تفكيرها وعلمها ، حتي اولئك الذين لم يعتنقوا الاسلام .

شمول
الشريعة
لمعالجة
المشاكل
الانسانية

٧ - ان الشريعة الاسلامية شريعة عالمية كاملة . ولذلك كان المسلمون حين يفتحون البلدان ، لا يحتاجون الى تعرف شريعة اهلها وقوانينهم ، ولا للتوفيق بين ما يحملونه من احكام لمعالجة مشاكل الحياة ، وبين القوانين التي كانت تطبق على البلاد ، بل كانوا يفتحون البلد ومعهم الشريعة الكاملة ، فكانوا يطبقون الاسلام من اول يوم يحتلون فيه البلاد . وكانت طريقهم في التطبيق انقلابية ، ليس فيها تدريج او ترقيع ، ولا براعون الواقع الذي يجدونه ، لانهم انما فتحوا البلاد لتبليغها الاسلام ، وليغيروا واقعها الفاسد وحياتها المضطربة ، وهو يقضي برفع النظام القديم ووضع النظام الجديد وضعاً شاملاً ، ولهذا كان يسهل عليهم حكم البلاد من اول يوم ، وكان يتركز حكمهم تركزاً تاماً ، ولم يعانون أزمة قانونية ، ولا حالة انتقالية ، لانهم يحملون دعوتهم ، وهي عقيدة تنبثق عنها الانظمة والقوانين والأحكام ، وهي شريعة انسانية تطبق على كل انسان .



الدعوة الاسلامية والثقافة

يقوم الاسلام على اساس الفكر والثقافة ، كما يقوم على اساس الروح والعقل ، ولذلك كان ارتباط الفكر بالشعور امرآ أساسياً في تكوين العقلية الاسلامية والنفسية الاسلامية ، ولهذا كان العلم والثقافة الاداة الوحيدة لتعلم الاسلام وحمل الدعوة الاسلامية ، ومن هنا كان التعليم والتثقيف هو وسيلة فهم الاسلام وهو وسيلة نشره وافهامه للناس . نعم ان الاسلام دين الفطرة ، واحكامه في منتهى البساطة ويكفي الانسان ان يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ليكون مسلماً . ولكن فهم الاسلام فهماً يمكن من نشره والدعوة له ، يحتاج الى فكر عميق . ولذلك كان اول خطاب من الله لرسوله عليه السلام كلمة « اقرأ » وكان اول عمل لرسول الله عليه السلام مع من يدعوهم الى الاسلام ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، فانه عليه الصلاة والسلام لما بدأ في الدعوة لدين الله امضى ثلاث سنوات يدعو الى الاسلام جهراً ويجمع الذين يدخلون الاسلام في دار الارقم بن ابي الارقم ويكتلمهم سرآ ، وكان يعلمهم الاسلام ويقرئهم القرآن ، ويحفظهم الى عملية فكرية مضية يدركون فيها حقيقة الاسلام ، ومعنى آيات القرآن ، حتى يثبت في نفوسهم ويستقر في عقولهم ، ويتجسد فيهم ؛ واتخذ عليه السلام كتاباً للوحي يكتبون القرآن الكريم ، ولما بايع مسلمو المدينة الرسول في مكة بيعة العقبة الاولى ، انفذ معهم مصعب بن عمير الى المدينة يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين ، ومكث عندهم سنة كاملة يقوم بتثقيف المسلمين بالاسلام والدعوة له .

الدعوة الى
الاسلام تحتاج
الى الثقافة

وحين اصطدم المسلمون باليهود في المدينة بالمناقشات والمجادلات حول الاسلام ، كانت قوة الملمين بالاسلام وفهمهم له ، هي التي ساعدتهم على قوة حجبتهم ، ودحض خصومهم وكانت هذه الثقافة هي المرشح الوحيد للاضطلاع بالمسؤوليات وحمل مهام الاعمال ، وان النبي عليه السلام أمر وولى عثمان ابن ابي العاص على وفد ثقيف ، وكان من احديثهم سنا امره عليهم على حدائنه سنه ، لانه كان احرصهم على الفقه في الاسلام ، وتعلم القرآن بشهادة ابي بكر والسابقين في الاسلام . وجعل الرسول عليه السلام كاتبه يهودياً ، لانه كان يحسن اللغتين : العبرية والسريانية ، الى ان كانت غزوة بني النضير وجلا اليهود عن المدينة ، فخاف النبي ان يستعمل في امراره غير مسلم ، فأمر فتعلم زيد بن ثابت احد شباب المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين ، وجعله كاتبه في كل شؤونه .

جعل الثقافة
مقياس قيم
الرجال

وهكذا كان عليه السلام يجعل الثقافة هي المقياس لقيم الرجال للقيام بالاعمال وكان عمر بن الخطاب يعظم الرجل في عينه بمقدار ثقافته ، فقد جاءه وفد فيه الاحنف ، فتركمهم جميعا واستفتح ما عنده من الحديث فأعجبه واعظم قدره ، وعقد له الرئاسة عليهم ، وعلى هذا المنوال سار الخلفاء ورجال الدولة الاسلامية ، يجعلون الثقافة اساس نبالة الرجل وسبب تقدمه .

على ان طبيعة الاسلام وطبيعة الدعوة اليه تحتاج الى الثقافة ، فان القرآن الكريم وان كان عربياً لا يكفي لفهمه ان يعرف قارئه اللغة العربية ، بل لابد من درجة من الرقي العقلي ، ومن ثقافة حسنة ، حتى يتسنى فهمه وادراك معانيه ، والوقوف على احكامه . وكذلك السنة الشريفة . ولئن كان العرب في حاجة الى ثقافة لفهم الاسلام والدعوة له ، ان غيرهم ممن دخلوا في دين الله او استظلوا برأية الاسلام وخضعوا لاحكامه ، لفي حاجة امس الى ثقافة

اوسع ولذلك اتسعت الثقافة باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، واشتدت حاجة المسلمين اليها بدخول الامم غير العربية في دين الله ، فاحتج الى وضع علوم اللغة العربية لفهم القرآن وحماية المسلمين من الخطأ فيه ، واحتج الى وضع التاريخ لمعرفة سيرة النبي عليه السلام وغزواته وفتوح المسلمين ، ووضع علم الفقه لمعرفة احكام الله الواردة في القرآن والحديث ، وكان التفسير لفهم آيات الله وحديث رسول الله ومصطلح الحديث لمعرفة الحديث الصحيح ، وغير ذلك كثير . وهكذا وضعت معارف كثيرة في سبيل فهم الاسلام ونشره ، لتساعد على الدعوة له ، وشرحه للناس ، فكانت الثقافة بذلك اساساً من اساس الدعوة الى الاسلام ، بل هي الاساس لها ، ولا سبيل الى الدعوة الصحيحة بدونها ، ومن هنا كانت الدولة الاسلامية - سواء في ايام الرسول عليه السلام او الخلفاء الراشدين او الامويين او العباسيين ومن بعدهم - تعنى العناية السكينة بالثقافة والمعارف من اجل الاسلام ، ومن اجل الدعوة الاسلامية اولا وبالذات ، لانها كانت مقياس جميع الثقافات ، سواء الاسلامية او غير الاسلامية ، وبذلك كانت الثقافة والتثقيف جزءاً من الدعوة او الاداة الرئيسية لهذه الدعوة .

المسلمون والثقافة

ومادام الاسلام لا بد له من ثقافة ، وما دامت الدعوة الاسلامية من لوازمها الضرورية الثقافة ، فليس غريباً ان نرى المسلمين قد اقبلوا على الثقافة ، وأن الكتلة الوفرة من الآيات والاحاديث تحثهم عليها ، الا ان هذه الثقافة كانت مبنية على اساس الاسلام وحماية المسلمين ، وبعث القوة للدولة الاسلامية ، وكانت تتطور هذه الثقافة بتطور العصور ، وتوسع فروعه باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وتنمو بنمو الاسلام ، وتزداد بازدياد المسلمين ، فانه وان كان الاسلام قد ظل اساس الحركات الثقافية منذ بعثة الرسول عليه السلام الى أيام آخر دولة اسلامية ، وسيظل هو اساس الثقافات الى آخر الدهر .

فانه مع ذلك كانت الثقافة تتمركز كلما تمركزت الدولة ، وتكون عريضة بعراقتها . والدولة حين تأسيسها تكون في حاجة الى المبادئ والافكار والشريعات والقوانين ، أكثر من حاجتها الى المعارف والعلوم . وتكون مكنتية من الثقافة بما يقيمها ، ويحفظ كيانها ، وينمي وجودها . والدولة الاسلامية نمت فيها العلوم والثقافة نمواً طبيعياً حسب ازدياد قوتها وسعة رقعتها ، وعلى قدر تركيزها وعراقتها ، فالثقافة والعلوم كانت في عصر الخلفاء الراشدين أكثر منها في عصر النبي عليه السلام ، وكانت في عصر الامويين اقوى منها في عصر الراشدين ، وفي عصر العباسيين كانت اوضح واكثر واوفر منها في عصر

تمركز
الثقافة
كلما تمركزت
الدولة

الامويين . وسر ذلك ان الرسول عليه السلام كان ينشئ دولة ، فكانت يصحح الافكار ، وينيو البصائر والابصار ويشرع الاحكام ، وينظم الاسس ، فلم تكن حاجته الى العلوم بقدر حاجته الى بقاء الكيان . وفي ايام الخلفاء الراشدين كانت الدولة قد اسست ؛ واندفعت في الفتوحات ، فكانوا الى العلوم والمعارف احوج ؛ وان كانوا مشغولين بالفتح معتنين بها يعزز هذا الفتح ؛ ويوكل السلطان في البلاد المفتوحة ، ويعزز الاسلام وينشره بين الناس . وفي ايام الامويين كان الاستقرار قد اخذ يبدأ في الدولة . فصارت الحاجة الى العلوم اكثر ؛ والى المعارف اشد ، فكان لا بد من ازدياد العلوم .

الا ان اساس العلوم والمعارف كان خاضعاً لثلاثة عوامل : احدها مفاهيم الاسلام التي ظلت تعمل وتنتشر في البلاد المفتوحة ؛ والثاني انتشار اللغة العربية ، والثالث الحاجة الماسة الى معرفة الدراسات الدينية التي كانت معروفة في ذلك العصر من طب وصناعة وكيمياء ، الا ان ذلك كله كان بمثابة بداءة للعصر الذي يليه : عصر العباسيين الذي تركزت فيه الدولة الاسلامية في جميع البلاد التي فتحتها ، واخذت دورها من العراقة والاستقرار ، فتمت فيها العلوم الاسلامية ، وازدهرت فيها اللغة العربية ، وفاضت على الناس المعارف الكونية من علوم ورياضيات وطب وفلسفة . فكان العصر العباسي ازهى العصور في العلوم والمعارف جميعها . نعم ان الامويين اكثر فتوحاً للبلدان ، وكان القواد والفاتحون في ايامهم فيهم الدعوة الى الاسلام وفيهم العلماء . وكان الفتح نشراً للدعوة الاسلامية ؛ وتعليماً لاصول الاسلام وفروعه ووضعاً للنظم الاسلامية ، وتعليماً للغة العربية ، الا ان ذلك كله كان بمثابة قهيد للعباسيين

ومقدمة لأعمالهم ، فإن العباسيين وجدوا البلاد مفتوحة وشؤون الدولة مهمة؛ فتسلموا الحكم وكل شيء جاهز للعمل ، فشمروا عن ساعد الجسد واخذوا يبذلون الجهد في سبيل الاسلام . وذلك يستدعي - طبعاً - بذل الجهد في سبيل الثقافة والعلوم ، فانتسعت افاقها ، وتعددت معارفها وفروعها ؛ وكانت وجهتها مطبوعة بطابع الاسلام ، كما كانت لغتها الرسمية هي اللغة العربية ، التي وضعت قواعدها ، ونمت آدابها ، ودونت نصوصها ؛ فكان ان ازدهرت هذه الثقافة وهذه اللغة ، كما تقدمت العلوم العقلية والكونية ، بما يستدعيه كيان الدولة الاسلامية والامة الاسلامية ؛ وتستدعيه كذلك الدعوة الاسلامية ، فكان بذلك عصر العباسيين من ازهى العصور العلمية والثقافية في التاريخ الاسلامي .



الثقافة والعلوم

كان المسلمون يفرقون بين العلم والثقافة ، فيأخذون الثقافة حسب وجهة نظر الاسلام ، ويعتبرون العلم علمياً لا يختص بأمة من الامم ، فيأخذونه عاماً ، والسبب في ذلك هو انهم كانوا يجعلون الاسلام اساساً للثقافة ، كما هو اساس لكل شيء ، فـ اذا عرضت مشكلة تشريعية او ثقافية رجعوا الى الاسلام وجعلوه هو مقياس حل المشكلة وساروا حسب احكامه ، هكذا كانوا يفعلون في كل عصر وفي كل جيل ، وهكذا يجب ان يفعلوا في كل عصر وفي كل جيل ، لان الانسان في مادة تكوينه الاصلية هو الانسان ، يوم بعث محمد عليه السلام ، واليوم ، والى ان تقوم الساعة ، ومادة عقل الانسان ، ومادة غرائزه ، والمادة الاصلية لعواطفه وميوله ، هي لا تتغير . والحياة كذلك والاسلام جاء ليعالج مشاكل الانسان والحياة ، وقد عالجها بالفعل ونجحت هذه المعالجة نجاحاً باهراً ، جعل الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية اقوى واعلى وارفع من جميع دول العالم حضارة ودولة وثقافة واستمر امتيازها على جميع العالم حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، فتخلف حين تساهلت في تطبيق الاسلام وقصرت في حمل دعوته .

ولذلك لا بد ان نعود ونجعل الاسلام نفسه - الاسلام فقط - هو الاساس لحل كل مشاكل الحياة ، وهو الاساس للثقافة . وان نجعل القانون اسلامياً ، والثقافة اسلامية ، وكل شيء اسلامياً ، اسلامياً فحسب . لان تأخذ ما يتفق مع الاسلام ، او مالا يتعارض مع الاسلام ، بل تأخذ الاسلام ونستنبط القواعد الاسلامية والاحكام الاسلامية وان نجعل كل شيء اسلامياً .

الاسلام
اساس حل
مشاكل الحياة
والثقافة

هكذا يجب ان يفعل المسلمون ، وهكذا كانوا يفعلون : يعملون الاسلام
اساس الثقافة جميعها ؛ لانه هو نفسه ثقافة ، يأخذون العلم مطلقاً ، يقول ابن
خلدون في كتابه المقدمة (ان العلوم صنفان صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه
بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه . والاول هو العلوم الحكمية
والفلسفية ، وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعته فكره ، ويهتدي
بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومساائلها ، وانحاء براهينها ، ووجوه تعليمها
حتى يقفه نظره وبحته على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو انسان ذو
فكر ، والثاني هو العلوم الثقيلة الرضعية ، وهي كلها مستندة الى الخبر عن
الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مساائلها
بالاصول) وقال (ان العلوم العقلية او الطبيعية مشتركة بين الامم ، لان
الانسان يهتدي اليها بطبيعة فكره ، واما العلوم الثقيلة فمختصة بالامة
الاسلامية واهلها) .

وهكذا كان المسلمون يفرقون بين العلوم التي لاتؤثر على وجهة النظر في
الحياة ؛ وبين العلوم والمعارف التي تؤثر عليها ، فيأخذون العلوم التي لاتؤثر
على وجهة النظر في الحياة اخذاً مطلقاً ، كالطبيعة والكيمياء والطب والرياضيات
ولا يأخذون المعارف التي تؤثر على وجهة النظر في الحياة ، وان كانوا يدرسونها
لاخصاب الثقافة وتنميتها ، وبعبارة العصر الحديث كانوا يفرقون بين
العلم والثقافة .

الثقافة والعلوم في العصر العباسي

تغير الفئة
الحاكمة
لا يؤثر على
امتداد الثقافة

لا توجد حدود فاصلة بين انتقال زمام الحكم من الامويين الى العباسيين ، لان الدولة واحدة ، تعينت فيها فئة حاكمة ، وتربعت على كراسي الحكم فئة اخرى ، واما الدولة فظلت كما هي ، وبذلك ظلت الثقافة سائرة كما هي في طريق الرقي الطبيعي ، لان العباسيين جاؤا والامة الاسلامية سائرة في الحركة الثقافية ، فان عقيدة الاسلام التي هي اساس الثقافة الاسلامية ، ظلت تعمل وتنتشر وتؤثر في البلاد المفتوحة منذ بعثته عليه السلام ، ولذلك لم يكن قيام العباسيين واستيلائهم على الحكم الا امتداداً لهذه الثقافة ، ونشراً للغة العربية ، كما هي الحال قبلها . ولما ترقى المعارف والثقافات والعلوم بحكم تركيز الدولة واستقرارها وتفرغ الامة للعلوم والمعارف وبحكم عمل الدولة على نشر الاسلام ، وثقيف الشعب بثقافته ، قياماً بمهمة حملها الرسالة الاسلام وقيامها على تطبيقها ؛ وبحكم ما احاط بالامة باكملها من بيئة علمية وثقافية واجتماعية وبحكم نشاط المسلمين في ذلك العصر بالدراسة والبحث ، واقبالهم على العلم ، واهم الثقافات في ذلك العصر هو الحديث والتفسير والتشريع او الفقه وعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام (حسب الاصطلاح القديم في تسميتها علوماً) .

الحديث

شمول الحديث كان الحديث هو المادة الواسعة التي تشمل جميع المعارف الاسلامية ، وكان يشمل التفسير ويشمل التشريع ؛ ويشمل التاريخ ، وكان راوي الحديث يروي حديثاً فيه تفسير لآية من القرآن الكريم ، وحديثاً فيه حكم فقهي ، وحديثاً فيه غزوة من الغزوات ، وهكذا ..

جمع الحديث وتدوينه ثم اخذ المسلمون يجمعون الاحاديث ، وصار تدوين الحديث بعد ان استقر الرأي على تدوينه ، وأول من امر بذلك عمر بن العزيز ، فقد كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان يجمع الحديث ، وكان ذلك في اواخر القرن الاول للهجرة حول السنة المئة ولما جاء العصر العباسي بدأ التأليف في

الحديث في امصار مختلفة ، وجمعت مجموعات متعددة من الحديث ، أشهرها موطأ مالك ، ثم روعي في جمع الحديث ان يفرد حديث الرسول عن كل ماسواه . وبذلك استقل الحديث عن الفقه ، كما استقل عن التفسير ، وكان ذلك على رأس المئتين ، حتى اذا كان القرن الثالث الهجري نشطت حركة جمع الحديث وتميز الصحيح من الضعيف ، وتشريح الرجال والحكم لهم او عليهم .

استقلال الحديث عن الفقه والتفسير والفت كتب الحديث ، فألف البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ . كتابه الجامع الصحيح والفت مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ . صحيحه .

التفسير

نشوء التفسير

نشأ التفسير في اول امره فرعاً من فروع الحديث ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يفسر القرآن الكريم ، فلما جاء الصحابة فسرُوا آيات القرآن وشرحوا في كثير من الاحيان اسباب نزول الآية وفيمن نزلت ، فجاء التابعون ورووا كل ما ذكره الصحابة وما رَووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التفسير ، كما انهم فسرُوا بعض آيات القرآن وذكروا اسباب نزولها . وهكذا ظل التفسير يترويه طبقة عن طبقة ، ولم يتخذ شكلاً منظماً ، بأن تذكر آيات القرآن مرتبة كترتيب المصحف ثم تتبع بتفسيرها ، بل كانت شرحاً لآيات متفرقة ، ثم غني بجمع تفسير كل عالم على حده ، فجمع ماورد من تفسير ابن عباس ، ثم عد التفسير علماً قائماً بذاته ، ورضع التفسير لكل آية من القرآن او جزء من آية مرتبة حسب ترتيب المصحف ، وأول من تعرض لتفسير القرآن آية آية حسب ترتيب المصحف وفسرها على التتابع هو الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . وأشهر التفاسير في ذلك العصر تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية ، ثم أخذ التفسير دوره من التوسع في استنباط الاحكام وبيان العقائد وغير ذلك .

اعتبار التفسير
علماً

التشريع « الفقه »

اقسام الفقه

كان اظهر بميزات الفقه انقسامه الى قسمين : فقه اهل الرأي ، وفقه اهل الحديث ، وكان يحمل مذهب الحديث الحجازيون ، وعلى رأسهم الامام مالك ابن انس ، ويحمل مذهب اهل الرأي العراقيون ، وعلى رأسهم ابو حنيفة النعمان ، وكان هنالك جماعة من الأئمة والمجتهدين يعملون بالحديث والرأي ، ومنهم الامام الشافعي ، واحمد بن حنبل ، والاوزاعي ، وغيرهم .

واصل ذلك هو ان القرآن الكريم جاء بالاسس التي تستنبط منها لقواعد الكلية للنظم جميعها ، وان الرسول عليه السلام فسر هذه الاسس وجاء باحكام جديدة لمعالجة المشاكل القائمة . وكان تطبيقه لذلك وتفسيره وشرحه وحديثه تعتبر كلها تشريعاً كالقرآن قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم كان الصحابة يسировون على خطة اقرها عليه السلام ، وهي ان يحكم القاضي بكتاب الله ، فان لم يجد فبسنة رسول الله ، فان لم يجد يحتج برأيه . وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك كتاب الله وسنته من حديث وعمل وتقرير . وقد شاهد ذلك كله اصحابه وسمعوا منه ، ثم تفرقوا في البلدان المفتوحة . وكان كل عالم ينزل بلداً يروي ما سمع وما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتاوي
الصحابة

ثم كان كبار الصحابة تعرض عليهم المشاكل التي لانص فيها من كتاب ولا سنة ، فيجتهدون فيها برأيهم ، ويقولون فيها قولاً ؛ فيصبح هذا القول

حكماء شرعياً . وجاء عصر التابعين فكانوا يستنبطون الاحكام حسب
اجتهادهم ، وكانوا ينظرون اولاً في كتاب الله ، ثم في سنة رسول الله ، فان
لم يجدوا فيها يدرسوا فتاوى الصحابة للانتفاع بها في استنباط الاحكام .
وكانت لهم آراء في فتاوى الصحابة ، وآراء في تقدير الصحابة ،
وتقويمهم من الناحية الفقهية . ويرجعون قولاً على قول ، ويأخذون
بقول بعضهم . ثم جاء تابعو التابعين وساروا في الفقه واستنباط الاحكام على
ذلك المنوال . وكان بعض الأئمة يتخرجون في رواية الحديث ، وبعضهم
يتخرج من الرأي ، كما كانت رواية الحديث في الحجاز اكثر ، وروايته في
العراق اقل . ومن هنا نشأ اهل الحجاز على الحديث ، واهل العراق على
الرأي . ونشأ أئمة آخرون على الاخذ بالرأي والحديث .

نشوء الفقه

وقد نما الفقه في العصر العباسي نمواً كبيراً ، لان الامم المفتوحة كانت لها عادات
وتقاليد وكانت لها مشاكل عديدة ، فلهذا حكمت بالاسلام واعتنقته ديناً صارت تعالج
هذه المشاكل بالاسلام فقط دون اي تأثير بالاحكام القديمة ، وبذلك وجدت احكام
جديدة لمشاكل جديدة .

نشوء
المذاهب

وقد اختلف الفقهاء في هذه الاحكام كل حسب اجتهاده . ونشأت في هذا
العصر المذاهب ، ودون الفقه واعطيت الحرية المطلقة في الاجتهاد وفصلت
الاحكام تفصيلاً تاماً وبذلك كانت الفقه والتشريع في هذا العصر مزدهراً
ايما ازدهار .

علوم اللغة العربية

مزج الطاقة
العربية
بالطاقة
الاسلامية

لما خرج المسلمون من جزيرة العرب يفتحون البلاد ، كان هدفهم الاول نشر الاسلام ، وحمل الدعوة الاسلامية ، ولذلك كانوا يفتحون البلدان ، ويعلمون الناس الاسلام ، وكانوا يعلمون اللغة العربية لفهم الاسلام ، فكانوا يعلمون الناس القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، واللغة العربية ، ولذلك كان الاسلام سبباً في انتشار اللغة العربية ، وعاملاً فعالاً في غوها وسعتها وانتشارها .

نشوء علوم
اللغة

وكان الفتح سبباً في اختلاط الاعاجم بالعرب في جميع شؤون الحياة ، فأثر ذلك على اللغة ، وأخذ الفساد يدب حتى للسليقة العربية ، ففسد اللحن ، وخيف على اللغة ، فحمل ذلك العلماء على وضع قواعد لحفظ العربية ، فكان النحو وكان علم اللغة ، ثم جمعوا النصوص الادبية من قصائد وخطب .

تعريب بعض
الكلمات

الا ان العرب - مع حرصهم على اللغة العربية - قد عربوا كلمات في البلاد المفتوحة واستفادوا منها ، كما كان يفعل الجاهليون ، فكما ان الاعشى استعمل كلمة (شاهنشاه) اي ملك الملوك ، واستعمل امرؤ القيس كلمة (السجنيبل) وهي المرأة واستعمل القرآن كلمات : زنجيبل وسجبل ، واستعمل الرسول عليه السلام كلمة (الاريسيين) وهي كلها كلمات غير عربية ؛ كذلك استعمل ايضا المسلمون في البلاد المفتوحة الفاظاً كثيرة ، فقد اخذوا

عن الفرس اسماء نباتاتهم وحيواناتهم ووطنافسها وما عونها ، وفعلوا كذلك في
مصر والعراق وكل بلد من البلدان التي فتحوها ، مثل برذون وكثيرى
ونرجس وابريسم وفالودج وزنبق وفيروز وبركار وفنجان وغير ذلك بما
لا يعد ولا يحصى . وبهذا غنت ثروة اللغة بالفاظها ، وغنت اللغة بقواعدها ،
ودونت كلماتها بكتب المعاجم ، ودون الادب بدواوينه ، وازدهر الشعر بما
جد فيه من المعاني والاخليلة والتشبيهات واتسعت علوم العربية ايمانها اتساع .



السيرة والتاريخ

اول ما عني به من التاريخ الاسلامي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما تبعها من مغازي ، وكان تاريخ النبي داخلا في الحديث ، فلما رتب الاحاديث في الابواب ؛ جمعت السيرة في ابواب مستقلة ، ثم انفصلت هذه الابواب عن الحديث ، والفت فيها الكتب الجامعة ؛ ودونت وحدها تدويناً خاصاً ، ومن اشهر كتاب السيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والطبري ، وهناك ناحية اخرى عني بها المؤرخون الى جانب السيرة ، وهي تاريخ الحوادث الاسلامية من حروب بين المسلمين بعضهم مع بعض ، ومن حروب بينهم وبين غيرهم من الامم . وما تبع ذلك من فتوح وأحداث ، وقد كانت هذه الحوادث الاسلامية التي رواها التاريخ الاسلامي مادة من المواد التي كان يأنس بها الفقهاء عند استنباط الاحكام وبيان العقائد . فأعمال ابي بكر الصديق وسيرة عمر بن الخطاب في البلاد المفتوحة واعمال علي بن ابي طالب ، تعتبر من اخصب المواد التي يستفاد منها حين النظر في التشريع وكذلك كان لحوادث الخلاف بين المسلمين اثر في عقائد كثيرين من اصحاب الفرق الاسلامية ؛ ومن اشهر المؤرخين لهذه الحوادث ابو مخنف الازدي المتوفى سنة ١٥٧ هـ ، وعلي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، والزبير ابن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

ولم تقتصر عناية المسلمين على هذين النوعين من التاريخ ؛ وان كانا من ادق ما عنيوا به ، فقد عنيوا بتاريخ الانساب كما عنيوا بتاريخ الامم الاخرى ، وتاريخ الرجال وتراجمهم ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة .

علم الكلام (التوحيد)

في العصر العباسي البحث في العقائد وتشعب ، وأخذت هذه البحوث تتركز أكثر حتى تكون منها علم جديد ، هو علم الكلام ، أو علم التوحيد ، وهو علم يبحث في العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية ، ولعل سبب نشأة هذا العلم يرجع إلى تشعب العلوم الإسلامية ، وإلى الاستعانة به في الدعوة الإسلامية ، وذلك أن مهمة الدولة الإسلامية ، وعملها الأصلي هو الدعوة إلى الإسلام ، وهذه المهمة هي أيضاً مهمة المسلمين ، ولا سيما العلماء ، وقد كانت الدولة لا تتركه الناس على الإسلام ؛ فبقيت بعض الأديان كالإهودية والنصرانية ، وكانت قد تسلمت بالفلسفة اليونانية ، ولكن كان لابد من دعوة هؤلاء وغيرهم ، والرد عليهم بمثل سلاحهم ؛ فجرى تعليم الفلسفة ، والمنطق للرد عليهم ، وصيغت أدلة العقائد بقوالب المنطق والفلسفة ، فنشأ عن ذلك علم الكلام . على أن القرآن الكريم قد عرض لأهم الفرق والأديان التي كانت منتشرة حينئذ ، وعرض دعوته إلى التوحيد عرضاً عقلياً ، ورد على المخالفين بمختلف الدلائل . وحث على استعمال العقل والتفكير ، فتوسع العلماء في فهم هذه الآيات ، ونهجوا على منهج القرآن في بيان التوحيد ، وساعد ذلك على نشأة علم الكلام .

الثقافة الإسلامية في ادوارها المختلفة

الدور الاول

كان الصحابة علماء بالشريعة ، فقد تعلموا القرآن وتلقوا الحديث واطلعوا بانفسهم على تنفيذ تعاليم الاسلام ، باختلاطهم بصاحب الرسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وكانوا اذا اشكل عليهم امر يرجعون الى الرسول . وكان الرسول والخلفاء من بعده يبعثون الى الامصار بالعلماء والقضاة ، يحكمون بين الناس ويعلمونهم دينهم . فتنزلوا في كل بلد ، حتى لم تخل بلدة او مصر من البلاد التي دخلها الاسلام ، من بعض الصحابة الذين كانوا لاهل البلاد مناراً ، وعلى الشريعة امانة ، وفي الدعوة الى الاسلام مؤمنين صادقين ، يقرئون القرآن ويعلمون الناس الشرائع والاحكام . وكانوا يسيرون في تعليم الثقافة الاسلامية سيراً عملياً ، فيعلمون الناس الاسلام واحكامه ، والطريقة التي ينتفعون بها في معالجة مشاكل الحياة بتلك الاحكام . فكانوا حكاماً ومعلمين ، اذ كانوا يعلمون كتاب الله وسنة رسوله ، ويعملون بها . وما لم يجدوه فيها اجتمعوا رأيهم ، ووضعوا الاحكام الشرعية المستنبطة ، وعلموها للناس ، وطبقوها عليهم . وكانوا يسيرون في تنمية الثقافة الاسلامية بشرح آيات الله وحديث رسوله شرحاً عملياً ، مستقي من نفس الاية والحديث ، ومن تطبيقهما على الحادثة الماثلة . وكانوا يستنبطون منها الاحكام الشرعية . ولم يكن لهم نهج معين ، ولا طريقة ملتزمة ، بل بقدر ما يحدث للناس من حوادث كانت تفرع المسائل ، وبقدر ما يرد على العالم من اسئلة واستفسارات كان يعطي

الشرح والجواب . ولم يكن لهم اسلوب معين لا يجوز تعديده ، بل ترك لكل شخص الخيار في اختيار الاسلوب الذي يلائمه . واقبل الناس على الصحابة يتلقون عنهم الثقافة ، يأخذون الاسلام ، ويفهمون الاحكام . وقد اطلق على ما بينوه من اراء في الاحكام (فتاوى) . وحفظت الفتوى عن مئة ونيف وثلاثين من اصحاب الرسول ما بين رجل وامرأة . وكان اكثرهم في ذلك علماء واعطاء رأى سبعة اطلق عليهم انهم المكثرون . وهم عمرو بن عبد الله بن مسعود وعائشة وزيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر . وكان الخلفاء الراشدون والولاة والحكام فقهاء في الاحكام ، علماء بالشريعة ، مشغولين بالفتاوى . فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً ، في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ولذلك كان الاسلام يتجسد فيهم ، فعقر لهم عامره بثقافته ، وافكارهم تصدر عن هذه الثقافة ، وهم الذين ينفذون الاوامر والنواهي والاحكام . فكان الخليفة والوالي هو الفكر المستنير ، والعضل القوي ، يفكر ويعمل ، ويفهم ويحكم . ولذلك كانت اعمالهم صائبة ، وامورهم مستقيمة ، ونفوسهم سامية ، ولهجاتهم في الحديث الى الناس صادقة ، واحكامهم ملتزمة بخطة الاسلام بكل دقة . الا انهم لم يكونوا يدنون هذه الثقافة ولا يكتبونها ، يقول السرخسي في كتابه المبسوط (مرجع الناس في امر دينهم ودنياهم كتاب الله وسنة رسوله ، فاذا اشتبه عليهم امر من الامور رجعوا الى الخلفاء وفقهاء الصحابة ، واستخاروا الله فيه ، واستظهروا باجتهادهم رأياً عملوا به . وقد كانوا لا يكتبون اقوال النبي وفتاوى الصحابة ، خشية ان يجرهم ذلك الى الاعتماد على الكتب واهمال حفظ القرآن الكريم والسنة ، ولأن الكتاب عرضة للضياع والتجريف) وهكذا انقضى عهد الصحابة ، والاسلام قد اندفع في الكرة الارضية ، وعم فارس والعراق والشام ومصر وشمال افريقيا ، وانددت

الثقافة الاسلامية في العالم ممثلة في كتاب الله وسنة رسول الله واللغة العربية؛ وغزت عقول البلاد المفتوحة ففتحتها كما فتحت بلادهم ، واتصلت بالعالم اتصالاً مباشراً . واصبحت في مدة وجيزة هي وحدها ثقافة البلاد المفتوحة ، وخدمت ثقافة هذه البلاد القديمة واختفت من معترك الحياة . وصارت السيادة والرواج للثقافة الاسلامية وحرص المسلمون على الثقافة الاسلامية حرصاً جعلهم يتمسكون بها وحدها ، ويحملون الدعوة لها حين يحملون الدعوة للاسلام . وتشددوا في امر اللغة العربية ، ولم يعيروا جانب الثقافات الاخرى التي كانت للبلاد المفتوحة اي اهتمام في اول الامر . فاندفعت الامة والدولة بقوة اندفاع الاسلام وقوة اندفاع اللغة ، حتى وجد الناس انفسهم في وضع يحتم عليهم تعلم اللغة العربية لتعلم الاسلام وفهمه ، وتلاوة القرآن واستظهاره . وكان لما في طبيعة الاسلام من قوة الاندفاع والانتشار ، ولما في طبيعة اللغة العربية من قوة الاندفاع والانتشار ايضاً ، ما سهل اندفاع الثقافة الاسلامية وانتشارها في البلاد المفتوحة ، حتى كانت لتعاليم الاسلام طاقة ، ولغة العربية طاقة ، اندفعتا معاً طاقة واحدة ، هي قوة الاسلام بثقافته ، التي تعتبر العربية - من حيث كونها لغة - قوالب لهذه الثقافة . ولهذا كان اتصال الثقافة الاسلامية بالعالم اتصالاً متغفلاً من اول الامر ، لما صاحب انتشارها ورواجها من قوة طبيعتها ، وتمسك اهلها بها ، وسيادتها على غيرها ، وكونها كانت وحدها هي ثقافة الحياة العملية ، وثقافة الدولة . وساعدها على ذلك تلك البساطة التي تتجلى بها ، والعمق الذي في فكرتها ، والجزالة وحسن الجرس في لغتها ، وكونها ثقافة عملية يتعلمها الناس ليعملوا بها في معترك الحياة ، وليعالجوا مشاكلهم بها وحسب احكامها . ولما جاء التابعون ساروا على نفس الطريق وعلى ذات الاسلوب ، فظلت الثقافة محتفظة بكيانها وقوتها ، وببساطتها وسهولة تفهمها . الا ان التابعين

اخذوا عن الصحابة وبينوا آراءهم في كثير من المسائل. فتمت بذلك الثقافة الاسلامية وصار لبعض التابعين آراء خاصة، واكثر وامن رواية الحديث وكانوا يعتبرون جميع المعارف الاسلامية علماً واحداً وثقافة واحدة، فكانت القراءة والتفسير والفقه والحديث علماً واحداً. ثم جعلت تمييز على مر الايام، وكان اصحاب الفقه يسمون القراء تعظيماً لشأن القراءة، ثم سمي بعد ذلك اصحاب الفقه بالفقهاء. ثم جاء من بعد التابعين تابعو التابعين، وكلهم كان يحمل الدعوة الاسلامية للناس، ويعلم الاسلام ويحكم به. وكان ان دون الحديث ودونت شروح للقران الكريم، وبدأت تدون بعض المعارف خدمة للاسلام لفهمه وتفسيره وشرحه، وكان هؤلاء الصحابة والتابعون وتابعو التابعين يختلفون في المسائل، ولكن اختلافهم كان في الفروع، وفي فهم الآيات والحديث، وكيفية الاستنباط منها. ولم يكن هذا الاختلاف جوهرياً، لانه كان لا يتعدى الفروع. اما الاصول فكل اهل القبلة متفقون عليها، يقول ابن القيم (ان الصحابة تنازعوا في كثير من الاحكام، ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال اي المسائل التي تتعلق بالايان) وصرح الذهبي في رسالته بان الصحابة وان غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات، فما هم بمعصومين، وما كاد يسلم احد من الغلط، لكنه غلط نادر لا يضر ابداً، اذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل. اما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب، ولكن لهم غلط واوهام، وجاء في كتاب الفرق بين الفرق لابي منصور البغدادي، ان المسلمين في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كانوا كلمة واحدة في ابواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر اصول الدين، وانما كانوا يختلفون في فروع الفقه كميثاق الجد مع الاخوة والاخوات، وكمسائل العول والكلالة والرد وتعصيب الاخوات من الاب والام، او من الاب

مع البنت او بنت الابن ، وما شابه ذلك من المسائل الفرعية . اما المسائل الجوهرية الاصلية فان اهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث ، وفقهاء هذين الفريقين وقراءهم ومحدثيهم ، ومتكلمي اهل الحديث منهم ، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع ، وفي النبوة والخلافة ، وفي احكام العقيدة ، وفي سائر اصول الدين . وانما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الاحكام . ثم نتج عن هذا الخلاف ان جاءت طبقة الفقهاء ، فانه لما تم تأثير الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين في البلدان التي نزلوها ، اتى بعد التابعين فقهاء الامصار كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم ، فاتبع اهل كل مصر مذهب فقيه في الاكثر ، وكانت هؤلاء الفقهاء يخالف بعضهم بعضاً ، كما كان الصحابة والتابعون من قبلهم . يخالف بعضهم بعضاً ، فقد خالف عبد الله بن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت مع انه اخذ عنهم . وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة ، ولما اخذوا العلم عنهم . وخالف مالك كثيراً من اشيائه ، وخالف الشافعي مالكا في كثير من المسائل مع انه اخذ عنه ، فقد كان اكبر اساتذته . وهكذا كان العلماء يخالف بعضهم بعضاً ، والتلاميذ يخالفون اشيائهم واساتذهم . وما كانوا يعدون ذلك سوء ادب . او خروجاً عن اشيائهم ، وذلك لان الاسلام امر باستعمال العقل ، ونهى عن التقليد ، واعطى الحرية الفكرية في الاجتهاد ولذلك كان لكل عالم ان يفهم وان يجتهد ، وان لا يتقيد بصحابي او تابع ، ولا برأي شيخ او استاذ ويظهر الفقهاء اصحاب المذاهب من الائمة والمجتهدين تركزت الثقافة الاسلامية تركزاً تاماً ولا سيما من الناحية التشريعية وبلغت اوجها اذ بعد ان كانت ممثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف ، تمت حتى شملت فتاوى الصحابة وآراءهم ، ثم تمت بظهور التابعين ، ومعاجلتهم لمشاكل الحياة

المتطورة المتجددة . ثم تمت حتى كان عصر الفقهاء والمحدثين واهل الرأي ،
واتسعت باتساع رقعة الدولة ، واستوت على سوقها . وصار الفقه يسير
باستنباطه ومعرفة احكامه على طريق معين . ووضع علم اصول الفقه ، كما
اخذ الفقه نفسه طريقه الخاص ، حين اخذ كل علم من علوم الثقافة الاسلامية
طريقا خاصا . ويرى بعض علماء الغرب بعد دراستهم للثقافة الاسلامية مثل
الدكتور يوسف شاخ الاستاذ في جامعة كونكسبرج ان عمل الصحابة ولا
سيما الفقهاء السبعة الكثيرين لا ينحصر في استنباط الاحكام من الكتاب والسنة
بل كان عملهم اوسع من هذه الدائرة واشمل ، فانه يرمي الى وضع نظام للفقه
يعالج حاجات العصور المختلفة ، والى ادخال المبادئ الاسلامية ، في قانون
ويعملون على رقي الحياة بأسرها ومنها الحياة الشرعية وكانوا يخضعونها للقواعد الاساسية
التي كانوا يستمدونها ويستنتجونها قبل كل شيء من آيات القرآنية ، ثم من
الاحاديث الشرعية ، فكان ان اشتمل نظام من الاوامر والنواهي على جميع ابواب
الحياة القانونية ، حتى التي لم ينص عليها القرآن الكريم صراحة ، ويمتاز هذا
النظام بانه منبثق عن عقيدة ، وبانه يؤخذ كحرام من الله او حلال منه ، في
الوقت الذي يؤخذ تشريعا لمعالجة مشاكل الحياة . ويتدقيق هذا النظام
يتضح ما للتقدير الروحي وما لتسيير الروح للاعمال من اهمية ، ومن اولوية
على الصفات القانونية المحضة في الشرع الاسلامي ، لان الانسان يسير به هذا
التقدير الروحي حين يطبق عليه التشريع والقانون . وليس ذلك خاصا في
عصر الصحابة او التابعين او الفقهاء ، ولكنه عام في جميع الثقافة الاسلامية ،
ولا سيما الناحية الفقهية . الا ان عصر الصحابة والتابعين كان اساسا سارت فيه
المسائل الشرعية والثقافة الاسلامية الى تركزت في عصر الفقهاء واصحاب
المذاهب والمجتهدين ، الذي يعتبر ازهى العصور للثقافة الاسلامية ، ولا
سيما الناحية التشريعية .

الدور الثاني

كان الدور الاول للثقافة الاسلامية يمتاز بقوة ثقافة المسلمين ، وشمول هذه الثقافة ، فلم يكن يقتصر العالم على دراسة نوع معين من الثقافة الاسلامية بل كانوا يدرسونها جميعها ، ففي الوقت الذي يدرسون فيه القرآن والحديث يدرسون الآداب والتاريخ ، وان كانوا يشتغلون اكثر وقتهم بالفقه والتشريع وانه وان كان الخلفاء والحكام يستعينون في اواخر الدور الاول بالفقهاء ، لكن هؤلاء الخلفاء والحكام كانوا على علم بالشريعة الاسلامية والثقافة الاسلامية ، ولذلك كانت قوة الثقافة الاسلامية ظاهرة في جميع انحاء الدولة الاسلامية ، وما ان انتهى الدور الاول واتى الدور الثاني . حتى كانت الامم المفتوحة قد استكملت دخولها في الاسلام ، وصار ابناؤها يجتهدون في الاسلام ويتقنون العربية ، حتى كان منهم اعظم الائمة في الفقه ، كالامام ابي حنيفة النعمان ، واشعر الشعراء كبشار بن برد ، وابلغ الكتاب كابن المقفع ، وكان قد أدرك المسلمون الفاتحون بوجه عام ما في العلوم الاجنبية من حقائق . وكانت الحركة العلمية ولا سيما حركة الترجمة قد ازدهرت ونشطت ، فاقبل المسلمون على هذه العلوم يدرسونها ويفهمونها . وكان كثير من اصحاب هذه العلوم لم يسلم ، ومنهم من اسلم منافقا فصار يثير الشبه والشكوك . فنتج عن ذلك وعن اسلام الاعاجم والبربر وتعلمهم اللغة العربية ، ان اخصبت الثقافة الاسلامية بما وجدت من معاني في الثقافات الاخرى ، وبما صادفت من مناقشات ومجادلات مع اصحاب الثقافات الاجنبية والاديان الاخرى ، وبذلك تفرعت الثقافة الاسلامية ، ولم تعد مقتصرة على الكتاب والسنة وفهمها وشرحها واستنباط الاحكام منها ، بل شملت معارف اخرى صار لا بد من تعلمها لخدمة الاسلام ونشره ، وبهذا غزرت الثقافة الاسلامية بوجه عام ، الا ان اختلاف الائمة والقضاة والحكام ادى الى الاختلاف في الاحكام ، كل يحكم برأيه او أبري

فقيه يرى رأيه ، فحدث من ذلك وجود قضية مختلفة في الدولة ، وكان من
جراء هذا ان وجد في بعض العلماء ميل ظاهر نحو توحيد الاحكام التي يقضي
بها ، واصدار امر من الدولة بالتزامها مع اعطاء الحرية الكاملة للاجتهاد
والاستنباط . ولذلك كان بعض العارفين يرى وضع كتاب جامع يرجع اليه
رجال القضاء وغيرهم ، تخفيفا عن القضاة وتيسيراً للمتقاضين . وقد كتب ابن
المقفع الى الخليفة المنصور كتابا في هذا الشأن جاء فيه (وما ينظر امير
المؤمنين فيه من امر هذين المصرين : البصرة والكوفة ، وغيرهما من الامصار
والنواحي ، اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيماً في
الدماء والفروج والاموال ، فيستهل الدم والفروج بالبصرة ، ويجرمات
بالكوفة ، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة ، فيستهل في
ناحية منها ويجرم في ناحية اخرى ، غير انه على كثرة الوان نافذ في المسلمين
في دمائهم وحرمةهم ، يقضي به قضاة جائز امرهم وحكمهم ... فلو رأى امير
المؤمنين ان يامر بهذه القضية والسير المختلفة ، فترفع اليه في كتاب ويرفع
معهما ما يحتاج به كل قوم من سنة او قياس ، ثم نظر امير المؤمنين في ذلك
وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه ويعزم عليه ، وينهى عن القضاء بخلافه
وكتب بذلك كتاباً جامعاً ، لرجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة
الصواب بالخطأ ، حكماً واحداً صواباً ، ورجونا ان يكون اجتماع السير
قربة لاجماع الامر برأي امير المؤمنين وعلى لسانه ، ثم يكون ذلك من امام
آخر آخر الدهر ان شاء الله) الا ان هذا الكتاب لم يعمل به المنصور وان
تأثر به ، وحمله تأثره على حمل الفقهاء والمحدثين على تدوين ما وصل اليهم ،
حتى اصبح للناس مراجع يرجعون اليها . وسبب عدم عمل المنصور برأي ابن
المقفع في وضع دستور الدولة يجمع الناس على احكام معينة ، ما حصل بينه

وبين مالك ، فقد روى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال (لما حج المنصور قال لي : قد عزمت على ان أمر بكتيبك هذه التي وضعها فتسوخ ، ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة ، وأمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره ، فقلت : يا امير المؤمنين ، لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به ، فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم) ولم توحد المذاهب والآراء ، وبقيت للناس حرية الاجتهاد وحرية الرأي في اخذ الحكم الذي يريدون ، والحرية المطلقة للقضاة ان يحكموا بما يرون . وكان من جراء هذه الحرية ان كان لكل امام من ائمة الفقه تلاميذ صاروا يتبنون آراءه ، ويشرحون مذهبه . وتغيرت النظرة لهذا الخلاف فصار علماً خاصاً - سموه علم الخلاف يتدارسونه كما يتدارسون اصول الفقه ، وقالوا ان اختلاف الائمة رحمة . وكان تلاميذ كل امام يتوسعون في الفروع . وكان هذا التوسع هو الذي أبقي مذاهب بعض المجتهدين وسبب انقراض بعضها . فالأوزاعي والحسن البصري والثوري وابن جريج من اكبر الائمة واسمهم اجتهاداً ، ولكن لم يتوسعوا في الفروع ، واقتصروا على الاصول ، ولم يكن لهم تلاميذ يشرحون مذاهبهم ، ولذلك لم يعمل بهاء لم تنشر ، بخلاف المذاهب الاخرى ، فان ابا حنيفة رحمه الله كان له تلاميذ كثيرون اشهرهم ابو يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيباني ، واليهـم يرجع الفضل في تدوين مذهب ابي حنيفة ، وكذلك الامام مالك ، فانه كان في المدينة وكان له تلاميذ كثيرون ، وكان مشهوراً شهرة واسعة ، وخاصة في تدقيق الاحاديث ورجالها ، ولا سيما في كتابه الموطأ . وقد كان تلاميذه من بعده يدونون

آراءه وفتاويه ، ويتوسعون في الفروع ، ويطولون في المسائل . والهم مع شهرته يرجع الفضل في انتشار مذهبه . وأما الشافعي فإنه أقام صرح شهرته بيده في علم الفقه ، يدل عليه ما يبدو من النظام الباهر في كتابه الكبير المسمى (الام) الذي يعتبر - مع كتابه (الرسالة) في اصول الفقه ؛ ذلك العلم الذي يعتبر الشافعي مؤسسه - يعتبر اول بعث لليقظة الفكرية في الفقه ، وفتح الباب على مصراعيه للاجتهد ، بعد ان مهد طريقه ووطأ اكنافه وقعد قواعده مع عدم التقيد باستنباط من سبق من الفقهاء . وجاء تلاميذه من مثل الربيع والمزني وساروا على هذه الطريق ، وبثوا آراءه وشرحوا مذهبه فانتشر ايما انتشار . وكذلك كان الامام احمد بن حنبل فإنه - مع غلبة الحديث على مذهبه - كان له تلاميذ شرحوا مذهبه وبينوا آراءه . ثم اندفع العلماء من كل جهة يدرسون الثقافة الاسلامية في جميع فروعها ، كما اندفع الفقهاء خاصة في دراسة الفقه وشرحه ، ولا سيما علم الاصول الذي هو الاساس الحقيقي للفقه وظل امر الثقافة الاسلامية يتسع ، ولا سيما الناحية الفقهية ، حتى نضج الفقه في القرن الرابع الهجري نضوجاً تاماً ، وظل على نضجه حتى نهاية القرن السادس الهجري ، حيث يبدأ الدور الثالث من الثقافة الاسلامية ويعتبر الدور الثاني من ارقى ادوار الثقافة الاسلامية بوجه عام . وانه وان كانت قد وقفت فيه روح الاجتهاد بالفقه ، لكن روح البحث والتنقيب والشرح كانت رائعة مشرقة ، كما كانت احوال الثقافة الاسلامية لباقي الفروع (من تفسير وحديث وفلسفة وتوحيد) بمنازاة . ويرجع السبب في ذلك الى الحصب والنماء اللذين كانا للثقافة الاسلامية ؛ بسبب اقبال العلماء على دراسة العلوم والمعارف الاجنبية ، دراسة وعي وابتكار ، حتى هضموها واستخدموها ؛ وانتفعوا بها في انماء الثقافة الاسلامية ، والفوا وكتبوا

ودونوا هذه الثقافة كثقافة اسلامية راثية . وبذلك كانت صلة الثقافة الاسلامية بالمعارف الاجنبية صلة مباركة ، لم تؤد الى محو الثقافة الاسلامية ولا الى احياء الثقافة الاجنبية ، بل ادت الى سعة افق المسلمين واتساع مداركهم وتوقد اذهانهم ، وادت الى خصب الثقافة الاسلامية وانماؤها ، حتى استطاع المسلمون ان ينبغوا في كافة العلوم والرياضيات ، وان يتقدموا في اخصاب الثقافة الاسلامية والعمل على نشر الاسلام ونشر معارفه وثقافته .

في اوائل القرن السابع الهجري كان حكم الدولة الاسلامية في يد من لم يقدروا اللغة العربية حق قدرها ، ولم يعرفوا مكانها من الاسلام ، وسرها فيه كعنصر اساسي لفهمه ، فكان ان اهلوها ، وكانت الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية مكتوبة باللغة العربية . وكان القرآن نفسه - الذي هو المصدر الاول للاسلام - عربياً . وكان بعض الائمة مثل الشافعي قد منعوا ترجمته ولم يجيزوا الصلاة بقراءة الفاتحة بعبر العربية . وكان الحديث نفسه عربياً . ولذلك كانت اللغة العربية جزءاً جوهرياً من الثقافة الاسلامية . ولذلك فاهمال اللغة العربية من قبل الخلفاء والحكام قد ادى الى ان تسير الدولة بدون حضارة ، لان الحضارة - وهي مجموع المفاهيم من الحياة - ولا يتيسر ادراك هذه المفاهيم ادراكاً دقيقاً من اصولها الكتاب والسنة الا بمعرفة اللغة العربية . وقد اتى اهم هذه المفاهيم من الاجتهاد . ولا يمكن الاجتهاد في الاسلام بدون لغة . فاهمال اللغة ادى الى انعدام روح الاجتهاد بين العلماء ، لان الاجتهاد يحتاج الى فهم القرآن والحديث ، ولا سبيل الى فهمهما الا باللغة العربية ، فباهمال اللغة العربية فقد الاجتهاد في الامة ، ومتى فقد الاجتهاد في اى امة من الامة فقد فقدت فيها روح النهضة والتقدم ، واخذت

الدور
الثالث

ترجع القهقري بسبب الجمود والتقليد . وكذلك كان شأن الامة الاسلامية منذ
اوائل القرن السابع الهجري ، فانها بسبب اهمال اللغة العربية هبطت الامة ،
وهبط مستوى العلماء ، اذ صاروا يدرسون العلوم الاسلامية دراسة سطحية
موجزة ، مضطربة ؛ يقتصرون في دراستها على بعض الفروع ، ولا يتجاوز الفقيه
حد النقل عن امامه الذي اخذ عنه وحده ؛ دون اتقان للدب والعربية
والتاريخ والحديث والاصول والفلسفة . وصار الفقه مجرد حفظ الفقيه احكاما
شرعية عن امامه وتقليدها . وصار يعتبر فقيها من عرف بعض احكام
تقليدية ، مع انه في العصر الفائت لم يكن يحرز الرجل لقب فقيه عند الناس
الا بالرحلة والتلقي من علماء الامصار سوى علماء بلاده . وكان العلماء يرحلون
في تلقي الحديث والفقه ، وكانت مكة تجمعهم في الموسم فيستفيد كل من
الاخر ما عنده من علم وحديث وفكر . ولكنهم في هذا العصر جمدوا وضعفت
ملكاتهم ، وصاروا يقنعون من العلوم بالقشور ؛ واصبحت العلوم الاسلامية
ظاهرة الضعف ليس فيها الا شرح كتاب المتقدمين ؛ او ذيل على شرح لاحد
المشهورين ، او جمع متفرق ، او اختصار مطول ، وقلماء تجد فيه اثرا للبحث
او للعقل ، واصبحوا غير قادرين على استخراج الاحكام بانفسهم ؛ فقالوا باغلاق
باب الاجتهاد ، ومنعوا بذل الجهد في استنباط الحكم الشرعي ، معا اعتبره
الشارع دليلا عليه ، وهو الكتاب والسنة ، وقالوا بالاخذ بالتقليد ، وامروا
بمحصر ذلك بتلقى الاحكام من امام معين ؛ واعتبار اقواله نصوصاً يلزم المقلد
اتباعها كانها من الشارع . وبذلك حجروا على العقل ، وجعلوا الشريعة قاصرة
لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على انفسهم طرقاتاً صحيحة
من طرق معرفة الحق ، وتغالوا في هذا التقليد حتى قرروا ان المتأخر ليس له

ان يقول بغير ما يقول به المتقدم ؛ وجعلوا ذلك عقيدة ونشوروه بين الناس
وكان الخلفاء والحكام ممن يجهلون الثقافة الاسلامية والشريعة الاسلامية ،
فكانوا يستعينون بالفقهاء ويستخدمونهم في امور الاسلام ؛ وكان هؤلاء
الفقهاء من المقلدين ، ومن ضعف الايمان في نفوسهم ، فسخرروا لمصلحة الطغاة من
الحكام عن جهل من جهة ، وعن ضعف من جهة اخرى . ولذلك بشوا بين
الناس الآراء المغلوطة عن الاسلام والفقه ، فقد اقتنعوا الجبهة من المسلمين
بانهم لا ينظر لهم في الشؤون العامة ، وان كل ما هو من امر الجماعة والدولة
هو بما فرض النظر فيه على الحكام دون غيرهم ؛ ومن تعرض لشيء من ذلك
فقد تدخل فيما لا يعنيه ، وان ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال هو
تحقيق لما ورد في الاخبار من احوال اخر الزمان ؛ وانه لاحيلة في اصلاح ،
وان الاسلام هو تفويض الامر الى الله ، وما على المسلم الا ان يازم خاصة نفسه ؛
وان يقتصر على ذلك . ويصاروا يؤولون ظواهر الالفاظ في بعض
الاحاديث ، ويروون احاديث مكذوبة يستعينون بها على بث هذه الاباطيل
والاوهام . وبذلك تأخر المسلمون بضعف الثقافة الاسلامية . وسبب ذلك
انحطاط المسلمين ، يقول الاستاذ محمد المهدي في حالة المسلمين الاجتماعية (هذا
الجمود في احكام الشريعة جر الى عسر حمل الناس على اهمالها : كانت الشريعة
الاسلامية ايام كان الاسلام اسلاماً سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق
عن اهلها حتى يضطروا لان يتناولوا غيرها وان يلتمسوا حماية حقوقهم . فيما
لا يرتقى اليها واصبح الانقياء من حملتها يتخاصمون الى سواها)
وكان في اواخر الدولة التركية من الجهل بالاسلام ومن جهلة الفقهاء ما كان
السبب الاكبر في تأخر المسلمين ، فقد كان هنالك فقهاء جامدون مستعدون للفتوى

بتحريم كل جديد، وتكفيو كل حر التفكير، ومن طريف ما وقع في ذلك من المضحكات المبكيات أن ظهرت قهوة البن، فأفتى بعض الفقهاء بتحريمها، وظهر الدخان فأتوا بتحريمه، ولبس اللباس الطربوش فأفتى الفقهاء بتحريم لبسه، وظهرت المطابع وعزمت الدولة على طبع القرآن الكريم فحرم الفقهاء طبعه، وجرت غير ذلك أمور حتى آل الأمر في الثقافة الإسلامية إلى حد أن جهلت جهلاً تاماً عند المسلمين، ولم يقتصر هذا الجهل على الفقه، بل تعداه إلى سائر العلوم الإسلامية من تفسير وحديث ولغة وأدب ونحو وغير ذلك.

الطاقة الاسلامية

حين حصل في اوائل القرن السابع الهجري تفكك بين الطاقة العربية والطاقة الاسلامية أدى هذا التفكك الى اندفاع الطاقة الاسلامية وحدها فجر ذلك الى انفصال الطاقة العربية عنها انفصالا جزئياً ، بدأ في الحكم ثم أخذ يدب الى جميع اجزائها في مختلف نظم الحياة ، الا ان هذا الانفصال لم يؤثر على الدولة ، لانه لم يكن انفصالا كلياً ، ولان الاسلام في طبيعته قوة الاندفاع ، وفيه القدرة الحارقة على الانتشار ، ولكن بعد ان كان العالم الاسلامي كلاً لا يتجزأ يسير بالعروبة كلغة وبالإسلام كمبدأ ، أصبح بعد انفصال العروبة عن الاسلام في الحكم عالماً اسلامياً مجزئاً ، وأصبح العالم العربي جزءاً منه ، واستمر الحال كذلك ، الا ان الدولة ثبتت لجميع الزعازع ، وثبتت الامة الاسلامية بما فيها الامة العربية امة ودولة متكافة الاحداث الخارجية ، وظلت الدولة الاسلامية قوية الشكيمة مرهوبة الجانب تمثل في العالم المعمور الشطر الاكبر والاقوى فيه ، الى ان تسلمت الدولة العثمانية حكم اكثر العالم الاسلامي في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن عناية الدولة الخامس عشر الميلادي . وفي القرن العاشر الهجري - السادس عشر بالقوة دون الميلادي - ضمت اليها العالم العربي ، فعزيت بقوة السلطان وتنظيم الجيش وأبهة الحكم ، ولم تعن العناية الكافية واللازمة بأمر الطاقة الاسلامية كنظام للحياة وللدولة ، من ناحية كونها مبدأ ومن ناحية كونها حضارة . وكان

لاهمال امر العروبة كلغة الاثر الاكبر في ضعف عناية الدولة بهذه الناحية وبسبب ذلك كانت الدولة قوية قوة ظاهرية ، ولكنها من ناحية نظام الحياة ونظام الدولة ، ومن ناحية الحضارة الاسلامية كانت ضعيفة متأخرة ، وهذا التأخر لم تلاحظه الدولة الاسلامية حينئذ ، لانها كانت في عنقوان مجدها وفي أوج عظمتها وفي منتهى قوتها العسكرية ، ولانها كانت تقيس انظمتها وحضارتها وتشريعها ونظام حياتها بالنظمة اوروبا وحضارتها ، فتراها خيراً منها واصح للحياة وللنضة ، لان اوروبا في ذلك الوقت كانت تتخبط في دياجير الجهالة وظلام الفوضى والاضطراب وتتعرض في محاولاتها للنضة ، وتفشل في كل محاولة تقوم بها . ولذلك كان قياس الدولة العثمانية حالها بحال اوروبا يراها انها في وضع حسن ، وعلى نظام صالح ، وذات حضارة فائقة . وقد اعماها عما عليه حالتها الداخلية من ضعف الحضارة وضعف العلوم وجمود النظام انتصارها على اوروبا واقتناحها اياها ، واستيلائها على البلقان والجزء الجنوبي الشرقي من اوروبا ، مما اثار الرعب في جميع دول اوروبا من الدولة الاسلامية

وظهرت المسألة الشرقية للوجود . وكان معناها حينئذ اتقاء الخطر من زحف العثمانيين كدولة اسلامية تحت قيادة محمد الفاتح في القرن الخامس عشر ومن خلفه من السلاطين ، ذلك الزحف الذي استمر الى أواخر القرن التاسع عشر على يد سليمان القانوني ، وتركز تركزاً قوياً حتى أواسط القرن الثامن عشر . وفي هذه المدة كانت قوة الاستمرار في النظام الاسلامي - بالرغم من اساءة تطبيقه - عاملاً فعالاً في اعطاء الدولة هذه القوة الخارقة . وساعدها على ذلك فساد الحضارة وفقدان النظام عند باقي الامم والدول . وكان من الممكن ان تعيد الدولة النظر في تطبيق النظام الاسلامي ، وان تحاول ان

ظهور المسألة
الشرقية
ومعناها

تفهم الاسلام على وجهه الصحيح كمبدأ ونظام ، وان تعيد النظر في امر العروبة كلغة ، وان تحملها محلها اللازم لها في الاسلام ، فتعيد مزج طاقتها بالطاقة الاسلامية ، حتى يحصل تركيز هذه الدولة الاسلامية الكبرى ، وحتى تنطلق هذه الطاقة القوية في الكرة الارضية انطلاقاً اخرى ، تفتح بها باقي اجزاء العالم حاملة لهم رسالة الاسلام ، وتركز بذلك دولتها وتطبع العالم بمحاضرتها ، وتنقذه بما هو فيه من فساد وشور ، الا ان شيئاً من ذلك لم يحدث ، ولم يكن تشجيع اللغة العربية سوى اعطاء العرب بعض مناصب التدريس وبعض المناصب العلمية ، بما لم يكن له اي اثر في تقوية العربية كلغة ، لانه لم يعمل لاحياء هذه اللغة ولجعلها وحدها لغة الدولة ولغة النظام كما هو الواجب في كل دولة اسلامية . ولذلك لم تؤثر هذه الحركة الضعيفة المغلوطة في تشجيع العروبة ، وظل الحال سائراً في سبيله المعرج ، فما لبث الامر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى تحول ، وبدأ الضعف الداخلي يبرز ، لان جهاز الدولة كان قائماً على غير حضارة حقيقية ، وعلى بقايا نظام اسلامي ، وكان الحكم في جملته في جو النظام الاسلامي اكثر منه في نظام الاسلام ، من جراء اساءة تطبيق الاسلام ومن جراء فصل العروبة عن الاسلام ، اي فصل اللغة العربية في الحياة عن الاسلام . وما ان جاء القرن التاسع عشر حتى كان ميزان التاريخ بين الدولة الاسلامية والدول غير الاسلامية في تأرجح ، فأخذت كفة العالم الاسلامي تخف في الوزن وكفة العالم الاوربي ترجح عليها شيئاً فشيئاً .

ضعف جهاز الدولة

اثر الانقلاب الفكري والصناعي في اوروبا

فقد بدأت اليقظة في اوروبا ؛ وبدأ التحول في العثمانيين . وذلك ان القرن التاسع عشر شاهد انقلاباً خطيراً في مبادئ المدنية الاوروبية على اثر الجهود العظيم الذي بذله الكتاب والمفكرون ، والتغدير الشامل الذي طرأ على

الفكر الاوروي لاهياء الشعوب ، فنشأت الحركات المتعددة في احدث آراء جديدة في وجهة النظر في الحياة ؛ وكان من اهم ماوقع تعديل الانظمة السياسية والتشريعية ، وكافة انظمة الحياة : فقد زال شبح الملكية المستبدة تدريجياً في اوروبا ، وحطت محلها انظمة حكومية جديدة قائمة على الحكم النيابي وسيادة الامة ، فكان لهذا اثر كبير في توجيه النهضة الاوروبية ، كما كان للانقلاب الصناعي الذي ظهر في هذا القرن في اوروبا الاثر الفعال ، كما ظهرت الاختراعات المتعددة ؛ فكان لذلك في مجموعه الاثر الفعال في ترجيح كفة العالم الاوروي رجحانا عظيما ؛ فتغير مفهوم المسألة الشرقية ، فلم تعد مسألة اتقاء الاخطار الاسلامية على اوروبا ، ولما صارت مسألة الابقاء على الاملاك العثمانية او توزيعها حيث اختلفت عليها الدول تبعا لاختلافها في المصلحة وكان هذا الانقلاب في مفهوم المسألة الشرقية ، وما طرأ على احوال اوروبا من الاخذ بوسائل النهضة ، وما طرأ على العثمانيين من الضعف والنفك ، كل ذلك أدى الى هذا الانقلاب السياسي بين الشرق والغرب ؛ وتغير كفتي الدهر تغييراً كبيراً ، حيث خفت كفة الشرق ورجحت كفة الغرب .

وكان سبب هذا الانقلاب السياسي في حالة اوروبا محاولة المفكرين فيها للوصول الى نظام للحياة ، وقد كان اتخاذهم وجهة نظر في الحياة واعتناقهم النظام على اساسها هو الذي قلب مفاهيم الاشياء في انفسهم ، وقلب مراتب القيم عندهم ، بما ادى الى الانقلاب العام الاسلامي او في الدولة العثمانية التي كانت تنزعها ، فلما بدل ان تنظر في نظامها النظرة الصحيحة ، وتفكر في مبادئها التفكير العميق ، وتعالج مشاكلها حسب احكامه ، بدل ان تفعل ذلك ، اصابها حيرة وقلق مما حصل في اوروبا ، ووقفت جامدة من جراء

هذه الحيرة ، ونتج عن ذلك تخلف تركيا في الرقي المادي ، فتخلفت عن باقي الامم والدول .

سبب عدم تأثر
المسلمين
بالانقلاب
الاروبي

والسر في ذلك هو ان الدولة التركية دولة مسلمة ، والشعب الذي تحكمه شعب مسلم ، والاسلام تقضي فلسفته الكبرى بمزج المادة بالروح . فهو يأمر بالرقى المادي واخذه ، ولكن يجعله مسيراً بالروح ، التي هي ادراك الانسان لصلته بالله ، وموجهها بالمثل الاعلى الذي هو رضوان الله ، ومنتجها القيمة المقصودة من العمل ومن الرقي . فكان على الدولة التركية ان تدرك ذلك وان تدرك ان الحضارة الاسلامية - التي هي مجموع المفاهيم عن الحياة من وجهة نظر الاسلام حضارة روحية ، حتى توجه النهضة علي هذا الاساس ، ولكنها لم تفعل ؛ ولم تدرك ان الفلسفة الاسلامية والحضارة الاسلامية هي التي تدفع المسلمين للرقى المادي ، على اعتبار ان هذا الرقي المادي يتقرب فيه الانسان الى الله لنيل رضاه حينما يوجهه المثل الاعلى ، وانه ينتج عنها وعن مفاهيم الاسلام مفاهيم خاصة عن الحياة هي الحضارة الاسلامية ، وهى التي اظهرت المدنية الاسلامية في العالم ، فكان لابد من ادراك ذلك لرقى الحياة ولكن هذه الفلسفة كان قد ضعف ادراكها ، والحضارة قد وقفت عاجلتها ؛ وسارت الدولة بدونها . وذلك بسبب اهمال العروبة كلمة . فكان الاساس الذي تقوم عليه انظمة الدولة وحياتها غير واضح لديها ؛ والحضارة التي هي حياة الامة وسبب رقيها غير مقترنة باعمال الدولة ، فسبب ذلك وقوف الاتراك مبهورين امام ما شاهدوه في اوروبا ، فلم يقطعوا بأخذه ، ولم يميزوا بين ما يجوز ان يأخذوه من علوم وصناعات واختراعات ، وبين ما لا يجوز ان يأخذوه من فلسفة تعين وجهة النظر في الحياة ، وحضارة هي مجموع المفاهيم

عن الحياة ، وبذلك جمدوا ولم يتحركوا ، فكان هذا الجمود سببا في وقوف عربتهم ، ورجوعها الى الوراء ، في حين كانت عجلة التاريخ تمشي وتتقدم في خصوصهم ، وما ذلك كله الا بسبب عدم فهم الفلسفة الاسلامية الكبرى فهما دقيقا ، وتعمية حقيقة مبدأ الاسلام عنهم بسبب اهمال اللغة العربية .

وهذه التعمية هي التي جعلت الامة والدولة تعيش كيفما اتفق دون ان تعنى بما عندها من نظام ، في حين ان خصوصها تمسكوا بنظام وساروا عليه وبذلك صارت اوربا صاحبة مبدأ مهما كانت فلسفته ، وصارت الامة الاسلامية - صاحبة المبدأ الحقيقي - تعيش في خيال هذا المبدأ الذي يطل عليها من وراء القروث . ومع ان الرسول عليه السلام يقول : (تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي) ومع ان الدولة اسلامية والامة اسلامية ، ومع ان الثروة الفكرية التي كانت منبعثة في العلوم الاسلامية والكتب الاسلامية ، والتي كانت حية في الحضارة الاسلامية ، كانت في متناول الايدي ، الا ان الدولة لم تفهم معنى هذا الحديث ومغزاه لترجع الى الاسلام في اصوله كمبدأ ونظام ، ولم تنتفع بهذه الثروة الفذة التي لامثيل لها عند الامم .

نعم لم تنتفع بذلك لانه لما انفصلت الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية انفصال الطاقة ضعفت الحضارة ، وتخافت العلوم الاسلامية ، وبقيت الكتب والثرورات العلمية محفوظة في خزائنها ، ولم يعد هنالك علماء مفكرون اقلليون ، وكان علماء العربية والشعراء والادباء اقل ، وقلت الرغبة في البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية . وصارت المعارف لا تطلب للعمل بها في الدولة في معترك الحياة ، لان الدولة لاتشجعها كثقافة اسلامية اساسها العروبة كالثقافة ، بل صار العلماء يطلبون العلم والثقافة اما للترف العقلي ويطلقون عليه انه طلب العلم للعلم - او للارتزاق

انفصال الطاقة
العربية عن
الطاقة
الاسلامية

وقل منهم من يطلب العلم لنفع الامة والدولة به . وبسبب هذه الحال لم تعد هناك حركة علمية او تشريعية او مبدئية ولذلك كان طبيعياً ان يعنى على الناس سر مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية كعنصر اساسي من عناصره حتى يندفع المسلمون برسالتهم للعالم ، فيوجدوا له الدولة المثالية الكبرى ؛ والحضارة الحقيقية للانسانية كلها . وكان من عدم فهم هذا السر ؛ ومن عدم فهم العلة التي من اجلها منع الشافعي ترجمة القرآن وقال بعدم جواز الصلاة بغير العربية ؛ كان من جراء ذلك اضطراب فهم الاسلام اضطراباً ادى الى فصل الروح عن المادة في ذهن المسلم . فعميت عليه فلسفه الاسلام بما وقف اثر هذه الفلسفة في رقي المسلمين المادي وحرمان الامة من الانتفاع بها في الحياة وتنتج عن ذلك ان صار المسلمون يفهمون الاسلام فهماً « روحياً » اكثر منه فهماً تشريعياً وسياسياً ؛ اذ عميت عليهم فكرته الاصلية ، وطريقته التي تنفذ بها هذه الفكرة . فعني عليهم فهم كتاب الله وسنة رسوله . ومع ان الواجب ان يروا انه النظام العالمي لكافة شؤون الحياة ، صاروا يفهمون انه مجرد دين يساعد على التقدم .

ويقارنون بينه وبين باقي الاديان بما له من مميزات عليها كأديان روحية ، بدل ان ينظروا اليه كمبدأ ونظام لجميع شؤون الحياة . ولذلك لم يكن غريباً ان تقف الامة الاسلامية ومنها العرب تحت قيادة الدولة العثمانية . وقف الجلود والحيرة والقلق من الحركة اللافتلابية التي حصلت في اوروبا وان تظل متأخرة تأخرآ ظاهراً دون ان تتأثر بالرقى الاقتصادي الذي شمل اوروبا ، ولا بتعدد الاختراعات التي كانت فيها ، ولا بالحركة الصناعية التي سادتها ، اللهم الا تأثراً جزئياً بشكل مضطرب مشوش لم تكن له فائدة ، ولم يمكنها من التقدم ، بل لم يمكنها من وقف عجلة التأخر التي كانت تهوي بها الى الانخفاض والضعف والانحطاط . وسبب ذلك محاولتهم لمحاكاة المدنية الغربية محاولة

تقليدية ، واهمالهم الاختراعات والعلوم والصناعات ، وسوء فهمهم للاسلام ، واعتبارهم اياه ديناً يمتاز عن باقي الاديان في كونه يساعد على الرقي والتقدم ، ولان كثيرين منهم كانوا يفهمونه متعارضاً مع بعض العلوم التي هي من اسس الرقي المادي ولو قدر للعالم الاسلامي الوعي الصحيح في ذلك الوقت ، وفهم الاسلام كمبدأ ونظام لاستطاعت تركيا ان تنهض من كبوتها ، واستطاع العالم الاسلامي على ضوء مبدئه ان يجعل من الرقي الاوروبي المادي وسيلة لرقية ، بان ينتفع بكافة العلوم الطبيعية والاختراعات والصناعات ، وان يعيد للاسلام دولته ، وللمسلمين عزهم ، وللحضارة الاسلامية مكانتها الممتازة بين كافة الحضارات . ولكن كان الامر على عكس ذلك ، فقد عاشت الدولة والامة دون رسالة او مبدأ ، سواء في الحكم او السياسة او الاجتماع او الاقتصاد .

فكان من جراء هذا الضعف ان اخذت اجزاء الدولة تقطع جزءاً جزءاً ، وهى عاجزة مستسلمة ، واخذ الغز والتبشيري باسم العلم يتغلغل في كيانه الداخلي ، يفرق صفوف شعبها ، ويشعل نار الفتنة في داخل بلادها ونجحت الحركات المتعددة التي تهدم في جسم الدولة ، وظهرت فكرة (القومية العربية) وما ان جاء عام ١٩١٤م حتى كانت الدولة على شفا جرف هار ، فدخلت الحرب وخرجت منها مهزومة . وبذلك ذهبت دولة الاسلام ، كما ذهبت بذهابها دولة العرب والمسلمين ، وصار الحكم في البلاد العربية والاسلامية غير اسلامي وغير عربي ، بل صار المسلمون ومنهم العرب تحت راية الكفر والاستعمار . وبذلك اختل امرهم وساءت حالهم ، وصاروا يعيشون على غير نظام ، ويعملون في ظلام ، ويجاولون تقليد الامم ليهضوا من كبوتهم ، وليتحرروا من عبوديتهم ، ولكنهم اخفقوا في جميع محاولاتهم لبعدهم عن الاسلام ، ولتأصل التقليد في نفوسهم . وهيات ان ينهض المقلدون

الغزو التبشيري

اخذت اوروبا تغزو العالم الاسلامي غزواً تبشيراً باسم العلم ، ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة . او غزواً استعمارياً عن طريق التبشير باسم العلم والانسانية . وذلك لتمكين دوائر الاستخبارات السياسية ، ودوائر الاستعمار الثقافي من التمرکز في البلاد ، حتى كانت طليعة الاستعمار الغربي ، وبهذا فصح المجال لهذا الاستعمار ، وفتح باب الشرق على مصراعيه ؛ وانتشرت الجمعيات التبشيرية في الشرق العربي . وكان معظمها جمعيات انكليزية وفرنسية وامريكية . فتغلغل النفوذ الفرنسي والبريطاني عن طريقها ، واصبحت هذه الجمعيات مع الزمن هي الموجهة للقومية العربية . واصبحت هي المسيطرة على توجيه المتعلمين من العرب ، او توجيه القومية العربية لغرضين رئيسيين : الاول فصل العرب عن الدولة العثمانية المسلمة ، للاجهاز على دولة الاسلام ، واطلقوا عليها اسم (تركيا) لأثرة النعرة الجنسية ، والثاني ابعاد المسلمين عن الرابطة الحقيقية التي لم يكونوا يعرفون سواها وهي رابطة الاسلام . وقد زال الغرض الاول وبقي الثاني قائماً . ولذلك سيظل التوجيه الى القومية هو الاسفين الذي يفرق وحدة المسلمين ، ويعممهم عن مبدئهم . وقد مرت هذه الجمعيات بأدوار عديدة ، وكان اثرها بليغاً في المجتمع العربي ، ومن نتائجه مانعاه اليوم من ضعف والمخطاط ، لانها كانت اللبنة الاولى التي وضعت في السد الذي اقامه الاستعمار بيننا وبين النهوض ، وحال به بيننا وبين مبدئنا

الأصلي وهو الاسلام . والذي حمل الاوروبيين على انشاء الجمعيات التبشيرية في الشرق ، ما عانوه في الحروب الصليبية من صلابة المسلمين وصبرهم على الجهاد وذلك ان الغربيين حين لاقوا المسلمين في ساحة النزال كانوا يعتمدون على شيئين حسب اعتقادهم ، وكانوا يعلقون اهمية كبرى على هذين الشيئين للقضاء على الاسلام والمسلمين القضاء التام .

اما اولهما فهو اعتقادهم على النصارى الذين كانوا يسكنون الشرق الاسلامي اعتماد الغربيين اذ كان في الشرق العربي نصارى كثيرون ، وخاصة في بلاد الشام . وكان على النصارى هؤلاء النصارى من يتمسكون بدينهم ، فكانوا يعتبرونهم اخواناً في الدين في الحروب الصليبية فرأوا ان هذه الطائفة من النصارى ستكيد للمسلمين ، وستكون عينا لهم عليهم ، بحجة انهم اثاروا حربهم هذه حرباً دينية .

وأما الامر الثاني فقد كانوا يعتمدون على كثرة عددهم ، وعظم قوتهم ، واتحاد كلمتهم ، على حين كان المسلمون متقاطعين متدابرين ، فبدأ الانحلال يدب في كيابهم ، فظنوا انهم اذا هزموهم اول هزيمة اخضعوهم الى الابد ، وسهل القضاء عليهم وعلى دينهم . ولكن خاب فأنهم ولم يصدق حدسهم . وكم كانت دهشتهم عظيمة حين رأوا اثناء الحروب ان النصارى العرب وقفوا بجانب المسلمين ؛ ولم تؤثر فيهم الدعايات ، وكانوا يجاربون مع المسلمين ، لانهم كانوا يعيشون في المجتمع الاسلامي ، ويطبق عليهم النظام الاسلامي ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانت النصرانية توضع المسلم لبنها ، ويتزوج المسلم النصرانية ويصاهر اهلها ، ويخوضون معترك الحياة معا لان الاسلام ضمن لهم جميع حقوقهم . وسار على العمل بذلك الخلفاء والحكام ، وكان عليه العمل في دولة الاسلام ، وقد نص القرافي وابن حزم (على ان من حق حماية اهل دمتنا اذا تعرض الحريون لبلادنا ، وقصدوهم في جوارنا ، ان

ثبوت في الدفاع عنهم ، وكل تقرّبط في ذلك يكون اهمالا لحقوق الذمة)
ويقول القرافي (ان من واجب المسلم للذميين الرق بضعفائهم ، وسد خلة
فقرائهم ، واطعام جائعهم ، واللباس عاريهم ، ومخاطبتهم بلين القول ، واحتمال
اذى الجار منهم مع القدرة على الدفع ، رفقا بهم لا خوفا ولا تعظيما ، واخلاص
النصح لهم في جميع امورهم ، ودفع من تعرض لأذيائهم ، وصون اموالهم
وعيالهم واعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وان يفعل معهم كل ما يحسن
بكريم الاخلاق ان يفعله) . ويروي انه لما تغلب المسلمون على التتار في
الشام خاطب ابن تيمية قطوشاه في اطلاق الاسرى ، فسمح له بالمسلمين ،
وأبى ان يسمح له بأهل الذمة ، فقال له شيخ الاسلام : (لابد من افتكاك
جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ، ولا ندع اسيراً ،
لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة . فأطلقهم له) وهذا كله جعل النصارى
يدافعون طبيعياً مع المسلمين ، واظهر الشعب امام عدوه صفاً واحداً .
وكانت دهشتهم اعظم حين رأوا ان الأمر الثاني لم يحقق ظنهم . وذلك انهم
قد استولوا على بلاد الشام وهزموا المسلمين شهر هزيمة ، واستعملوا منتهى
الفظائع ، وكانوا اول من ابتدع مع المسلمين اجلاءهم عن ديارهم . وساروا
على ذلك في جميع حروبهم مع المسلمين . وظلت هذه طريقتهم الى ان سار
عليها اليهود في فلسطين ، وكانوا يظنون ان الامر قد استتب لهم ، وانه لن
تقوم للمسلمين قائمة . ولكن المسلمين ظلوا مصممين على اخراجهم من بلادهم ،
وبالرغم من مكثهم مدة تقرب من قرنين ، اقاموا فيها بما لك وامارات في
بلاد الشام ، فان المسلمين استطاعوا في النهاية ان يتغلبوا على الغربيين ، وان
يطردوهم من ديارهم .

وقد بحثوا عن السر في ذلك كله فوجدوه في الاسلام ، لان عقيدته هي سر اخفاق
منشأ هذه القوة العظيمة في المسلمين ، وتسامح الاسلام اوجد هذا التماسك
العظيم بين النصارى والمسلمين ؛ ولذلك فكر الاستعمار في طريقة علمية يغزو
بها هذا الشرق الاسلامي ، فوجد ان خير طريق هي سلوك الغزو العالمي عن
طريق التبشير ، ليكسبوا النصارى العرب الى جانبهم ، وليشيروا شكوك
المسلمين في تاريخهم ودينهم ، ويزعزعوا عقيدتهم . وبذلك يوجدون الانقسام
الطاقي ، ويضعفون قوة المسلمين .

ونفذوا ذلك بالفعل ، فأسسوا في اواخر القرن السادس عشر مركزاً
كبيراً للتبشير في مالطة ، وجعلوها قاعدة هجومهم التبشيرية على الشرق العربي
الاسلامي ، اذ منها كانت ترسل قوات التبشير ، فانهم بعد ان استقر بهم المقام
ومكثوا مدة ، شعروا بضرورة مد نشاطهم ، فانتقلوا لبلاد الشام سنة ١٦٢٥
م . وحاولوا ايجاد الحركات التبشيرية ، غير ان نشاطهم كان محدوداً جداً ،
لم يتعد تأسيس بعض المدارس الصغيرة ، والحلقات العلمية ، ونشر بعض
الكتب الدينية . وعانوا مشقات كبيرة من اضطهاد واعراض ومخاربة من جميع
الطوائف . الا انهـم ثبتوا حتى ١٧٧٣ م ، حيث الغيت الجمعيات التبشيرية
لليسوعيين ، واغلقت مؤسساتهم ، ما عدا بعض الجمعيات التبشيرية ،
الضعيفة كجمعية المبشرين العازاريين وبالرغم من وجودها انقطع اثر المبشرين
والتبشير ، ولم يعد لهم وجود الا في مالطة حتى سنة ١٩٢٠ م ، حيث اسس
اول مركز للتبشير في بيروت ، وبدأ نشاطهم فيها فلاقوا صعوبات كثيرة ؛
وبالرغم من هذه الصعوبات استمروا في عملهم ؛ وكانت عنايتهم الاولى منصرفه
الى التبشير الديني والثقافة الدينية ، وكانت عنايتهم بالتعليم ضعيفة ، وفي سنة
١٨٣٤ م انتشرت البعثات التبشيرية في سائر بلاد الشام ، ففتحت كلية في

قرية عنتوره في لبنان ، ونقلت الارسالية الاميركية مطبعتها من مالطة الى بيروت ، لتقوم بطبع الكتب ونشرها . ونشط المبشر الامريكي المشهور (ايلي سميت) نشاطاً ظاهراً . وقد كان هذا المبشر في مالطة يشغل في التبشير متطوعاً ، ويتولى امر مطبعة الارسالية . وفي سنة ١٨٢٧ م حضر لبيروت ، ولكنه مالبث سنة حتى تولاه الذعر والملل ؛ ولم يطق صبرا فرجع الى مالطة ، ثم عاد الى بيروت سنة ١٨٣٤ م وفتح هو وزوجته مدرسة للاناث ؛ واتسع المجال امامه وكرس حياته للعمل في بيروت بوجه خاص وفي بلاد الشام بوجه عام ، وبذلك تعاونت هذه الجهود جميعاً في بعث حركة التبشير ، وكان قيام ابراهيم باشا بتطبيق برنامج للتعليم الابتدائي في سوريا - مستوحى من برنامج التعليم الموجود في مصر - فرصة لهؤلاء المبشرين ؛ فاغتنموا وساهموا في الحركة العلمية من وجهة النظر التبشيرية ، ثم شملت حركة الطباعة . وبذلك نشطت الحركة التبشيرية ، وشاركت في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة . وقد استطاعوا بنشاطهم هذا ان يوغروا الصدور بين ابناء الشعب باسم الحرية الدينية . وأوجدوا بين المسلمين والنصارى والدروز نشاطاً دينياً يتصل بالعقيدة .

الاضطرابات الطائفية

وحينما انسحب ابراهيم باشا سنة ١٨٤٠ م من بلاد الشام انتشر القلق والفوضى والاضطراب فيها ، وانقسم الناس على انفسهم ، واغتنم الموفدون الاجانب - لاسيما رجالات البعثات التبشيرية - ضعف نفوذ الدولة العثمانية في البلاد ، وحينئذ اخذوا يشعلون نار الفتنة . وما مر عام واحد وحلت سنة ١٨٤١ م ، حتى وقعت اضطرابات خطيرة في جبل لبنان بين النصارى والدروز استفحل شرها ، حتى اضطرت الدولة العثمانية - بتأثير ضغط الدول الاجنبية - ان تضع لبنان نظاماً جديداً تقسمه فيه الى قسمين : يسود النصارى في قسم

منه ، ويسود الدروز في القسم الآخر ، وتعين حاكماً للقسمين . وأرادت بذلك ان تتفادى الاحتكاك بين الطائفتين . غير ان هذا النظام لم ينجح ، لانه لم يكن طبيعياً . وقد تدخلت كل من إنجلترا وفرنسا في هذا الخلاف ، وكانت تشعل نار الفتنة كلما حاول القائمون على الامر اخمادها . واخذ الانكليز والفرنسيون يتخذون هذا الاحتكاك بين الطوائف ذريعة للتدخل في شؤون لبنان . وانحاز الفرنسيون الى جانب الموارنة ، وانحاز الانكليز الى جانب الدروز ، مما ادى الى تجديد الاضطرابات سنة ١٨٤٥ م بشكن فظيع ، شمل الاعتداء فيه الدير والكنايس ، واستعمل فيه السلب والنهب والقتل ، مما اضطر الحكومة العثمانية الى ارسال وزير خارجيتها للبنان ، ليتلافى الامر بما لديه من الصلاحيات المطلقة . ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً هاماً ، وان كان قد اخمد الحالة نوعاً ما . الا ان المبشرين ازداد نشاطهم . وما ان جاءت سنة ١٨٥٧ م حتى بدأت فكرة الثورة والاصطدامات المسلحة في طائفة الموارنة ، فقد قام رجال الدين الموارنة بتحريض الفلاحين على الاقطاعيين ، وهاجمهم في لبنان الشمالي هجوماً عنيفاً ، واشتعلت نار الثورة هناك ، ثم امتدت الى الجنوب ، فثار الفلاحون النصاري على الاقطاعيين الدروز . واخذت كل من انكلترا وفرنسا تؤيد جماعتهما ، فالانكليز يؤيدون الدروز ، والفرنسيون يؤيدون النصاري . وبذلك توسعت الفتنة توسعاً عاماً ، حتي شملت جميع لبنان . واخذ الدروز يقتلون جميع النصاري لافرق بين رجال الدين وغيرهم ، حتي قتل وشرذ آلاف من النصاري من جراء القسوة التي كانت تنطبع بها الاضطرابات . ثم سرت موجة الاضطرابات الى سائر بلاد الشام ، وهبت في دمشق موجة من البغضاء الشديدة بين المسلمين والنصاري ، ادت في شهر تموز سنة ١٨٦٠ م الى ان يهاجم المسلمون حي النصاري ، ويقوموا بمذبحة هائلة ،

حتى بلغ عدد القتلى احدى عشر الف قتيل ويزيد، قيل: في دمشق وحدها، وقيل: في سائر بلاد الشام. وقد صاحب تلك المذابح شيء من التخريب والتدمير والاضطراب، حتى اضطرت الدولة الى وقف الفتنة بالقوة. وبالرغم من ان الاضطرابات خمدت وكادت تنتهي، الا ان الدول الاجنبية رأت ان هذه هي الفرصة التي تتيح لها ان تتدخل في سوريا، فأرسلت البوارج الحربية الى المياه السورية. وفي شهر آب من السنة نفسها ارسلت فرنسا حملة برية من الجيش الفرنسي، نزلت في بيروت، وأخذت تعمل لاختاد الثورة. وهكذا حصلت للدولة العثمانية في سوريا فتنة خلقها الاجانب، لتكون باباً لتدخلهم. فتدخلوا واجبروها على ان تخضع لوضع نظام خاص لسوريا، يقسمها لولايتين، وان تمنح لبنان امتيازات خاصة، ففصلت لبنان عن سائر اجزاء البلاد الشامية، ومنحته استقلالاً ذاتياً، يتمتع فيه بنظام محلي للادارة، على رأسه حاكم مسيحي، ويعاونه مجلس اداري يمثل السكان. ومن ذلك الحين رعت الدول الاجنبية امر لبنان، وجعلته مركزاً لها، فكان رأس الجسر الذي وضع فيه الاجانب ارجلهم للنفوذ الى قلب الدولة العثمانية والبلاد العربية.

انشاء الجمعيات

وفي هذه الاثناء اتخذت اعمال التبشير مظهراً آخر لم يكن موجوداً من قبل، فلم يكتفوا بحركة المدارس ودور التبشير والمطابع والمستوصفات، بل تعدوا ذلك الى تأسيس الجمعيات. ففي سنة ١٨٤٢م تشكلت لجنة لتأسيس جمعية علمية تحت رعاية الارشالية الامريكية وفق برنامجها. وقد سارت هذه اللجنة في طريقها مدة خمس سنوات، حتى تمكنت في سنة ١٨٤٧م من تأسيس جمعية سميتها (جمعية الفنون والعلوم). وكان اعضاؤها ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني من نصارى العرب، وايلي سميت، وكورنيليوس فان ديك من الامريكان، والكولونيل تشرشل من الانكليز. وكانت اهداف

هذه الجمعية في اول الامر غامضة ، ولكنها كانت تظهر بمظهر نشر العلوم بين الكبار ، كما تنشر العلوم في المدارس بين الصغار . وحمل الكبار كما يحمل الصغار على تثقيفهم بالثقافة الغربية ، وجهين بتوجيه خاص وفق الخطة التبشيرية . وبالرغم من نشاط رجال هذه الجمعية وبذل جهودهم الجبارة فيها ، فانه لم ينتسب لها خلال عامين سوى خمسين عضواً عاملاً من جميع بلاد الشام ، كلهم من النصارى ، واكثرهم من سكان بيروت . ولم يدخل في الجمعية من المسلمين ولا من الدروز أي عضو مطلقاً . وقد بذلت جهود جبارة لتوسيعها وتنشيطها ، ولكنها لم تثمر ، وماتت الجمعية بعد خمس سنوات من تأسيسها ، دون ان تترك الا اثرأ واحداً ، هو الرغبة عند المبشرين في تأسيس الجمعيات . ولذلك اسست جمعية اخرى سنة ١٨٥٠ م باسم (الجمعية الشرقية) : اسمها اليسوعيون تحت رعاية الاب اليسوعي الفرنسي (هنري دوبرونير) . وكان اعضاؤها كلهم من النصارى ، وسارت على منهاج جمعية العلوم والفنون ، ولكنها لم تعيش طويلاً ، وماتت بعد موت الجمعية الاولى بقليل . ثم تأسست عدة جمعيات كانت كلها تصاب بالاخفاق التام ، حتي تشكلت سنة ١٨٥٧ م جمعية على نظام جديد ، روعي فيها ان لا يدخلها احد من الاجانب مطلقاً ، فقد كان مؤسسوها كلهم من العرب . وبذلك اتيح لها ان توفق الى ان تضم بين اعضائها بعض المسلمين وبعض الدروز . وتأسست باسم (الجمعية العلمية السورية) واستطاعت بفضل نشاطها وظهورها بالمظهر العربي ، وعدم وجود أي عضو فيها من الاجانب ، ان تؤثر على الناس ، حتى انتسب اليها عدد كبير بلغ مئة وخمسين عضواً . وكان بين اعضاء ادارتها شخصيات بارزة من العرب ، منهم محمد ارسلان من الدروز ، وحسين بيهم من المسلمين ، وانضم اليها كذلك من كل طائفة من نصارى العرب ، ومن اشهرهم ابراهيم اليازجي وبطرس

البستاني . وهذه الجمعية الوحيدة التي عشت مدة اطول من المدة التي عاشتها غيرها من الجمعيات . وكان من برنامجها التوفيق بين الطوائف ، وبعث القومية العربية في النفوس . ولكن غايتها الخفية كانت استعمارية تبشيرية بطريق علمي . وكانت تتجلى ببعث الثقافة الغربية والمدنية الغربية ، كما هي على شكل تقليدي . ثم في سنة ١٨٧٥ م تألفت في بيروت الجمعية السرية ، وأخذت هذه الجمعية تركز نفسها على فكرة سياسية ، فأخذت تبعث فكرة القومية العربية . والذين قاموا بتأسيسها هم خمسة شباب من الذين تلقوا العلم في الكلية البروتستانتية في بيروت . وكانوا جميعا من النصارى الذين استطاعت الجهات التبشيرية ان تؤثر فيهم . فقام هؤلاء الشباب بتأسيس هذه الجمعية . وبعد مضي مدة استطاعوا ان يضموا اليهم عدداً قليلاً . ومع ان هذه الجمعية كانت ترمي فيما بينته من اقوال ومناشير ، الى القومية العربية والى استقلال العرب السياسي ، وخاصة في سوريا ولبنان . الا انه كان يتجلى في عملها وبرامجها ، وما وصل عنها من اخبار ، انها ترمي الى صب الرغبات الغامضة في النفوس ، والآمال المبهمة في القلوب . وكانت تدعو للقومية وللغرب والعروبة ، وتثير العداء للدولة العثمانية وتسميها (التركية) وتعمل على فصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هي الاساس . ومع ان هذه الجمعية كانت تلبس ثوب العروبة الا ان القائمين عليها كثيراً ما ضمنوا نشراتهم اتهام (تركيا) - حسب تعبيرهم - بأنها اغتصبت الخلافة الاسلامية من العرب ، وانها تجاوزت على الشريعة الاسلامية الغراء ، وانها فرطت في الدين ، بما يبدل على الغاية السني وجدت من اجلها ، وهي اثاره القلاقل ضد الدولة وتشكيك الناس في الدين واقامة الحركات السياسية على غير الاسلام .

والذي يجزم به من تتبع تاريخ هذه الحركات ان الاجانب هم الذين اهتموا ، وانهم كانوا يراقبونها ، وبشرفون عليها ، ويهتمون بها ، ويكتبون القناصل تقاريرهم عنها ؛ فقد كتب قنصل بريطانيا في بيروت بتاريخ ٢٨ تموز سنة ١٨٨٠ م بوقية بعثها لحكومته ، ونصها (ظهرت نشرات ثورية يشتهر ان يكون مدحت مصدراً لها . مع ذلك يسود الهدوء . التفاصيل بالبريد) وكانت هذه البوقية اثر توزيع الجمعية المذكورة مناشير لها في الشوارع ولصقها على الجدران في بيروت . وقد تبعت هذه البوقية عدة رسائل من القناصل البريطانيين في بيروت ودمشق . وكانت هذه الرسائل ترقى بنسخ من النشرات التي كانت توزعها الجمعية . وكانت بمثابة تقارير عن هذه الحركة التي ولدت في الجامعة البروقستانتية واخذت تعمل في بلاد الشام . وكان العمل بارزاً في بلاد الشام وان كان موجوداً في جهة اخرى من البلاد العربية ، يدل على ذلك ان المعتمد البريطاني في جدة كتب الى حكومته سنة ١٨٨٢ م كتاباً عن الحركة العربية جاء فيه (الا انه قد وصل الى علمي ان بعض الازدهان حتى في مكة نفسها ، اخذت تتحرك بفكرة الحرية ، ويلوح لي بعهد الذي سمعته من تلميح ، ان هنالك خطة مرسومة ، ترمي الى توحيد نجد مع بلاد ما بين النهرين اي جنوب العراق ، وتنصيب منصور باشا عليها ، وتوحيد عسير مع اليمن ، وتنصيب علي بن عابد عليها ، ولم يقتصر الاهتمام بها على انكلترا ، بل فرنسا كذلك كانت مهتمة الى حد بعيد ، ففي سنة ١٨٨٢ م كتب احد الفرنسيين الذين كانوا في بيروت ما يدل على مبلغ اهتمام فرنسا ، فقد قال (ان روح الاستقلال منتشرة انتشاراً كبيراً . وقد رأيت شباب المسلمين خلال اقامتي في بيروت منهمكين بتشكيل الجمعيات العاملة على تأسيس المدارس والمستشفيات ، والنهوض في البلاد . وبما يلفت النظر في هذه الحركة انها

محرومة من أي اثر للطائفية ، فان هذه الجمعية تستهدف قبول النصارى بين
اعضاءها ، والاعتماد على معاونتهم في العمل القومي) وكتب احد الفرنسيين
من بغداد (لقد كان يواجهني في كل مكان ، وبنفس النسبة ، ذلك الشعور
العام المستقر (كراهية الترك) واما فكرة القيام بعمل مشترك مرتب لطرح
هذا النير البغيض فهي في دور التكوين . ويلوح في الافق البعيد طيف
حركة عربية ولدت حديثا ، وسيقوم هذا الشعب الذي كان مغلوبا على امره
حتى الان بالمطالبة عما قريب بمركزه الطبيعي في عالم الاسلام ، وفي توجيه
مصير هذا العالم) . ولم يقتصر امر الاهتمام بالغزو التبشيري باسم الدين والعلم
على امريكا وفرنسا وبريطانيا ، بل شمل اكثر الدول غير الاسلامية ، ومنها
روسيا القيصرية ، فقد ارسلت بعثات تبشيرية ، كما امت بلاد الشام بعثة
بروسية (المانية) مؤلفة من راهبات كاثوليكيات ساهمت مع باقي البعثات .
وبالرغم من تباین وجهات النظر السياسية بين البعثات التبشيرية وبين الموفدين
الاجانب بالنسبة لمنهجها السياسي باعتبار مصالحهم الدولية ، فقد كانت متفقة
في الغاية ، وهي التبشير في الدين المسيحي ، وبعث الروح الغربية في الشرق ،
وتشكيك المسلمين في دينهم ، وحملهم على الامتناع منه ، وعلى احتقار
تاريخهم ، وتجييد الغرب وحضارته . كل ذلك مع بغض شديد للاسلام
والمسلمين ، واحتقار لهم ، واعتبارهم بربوة متأخرين ، كما هي روح كل اوروبي .
وقد وصلوا الى نتائج كانت هي السبب لما نراه من تركيز الاستعمار .

العداء الصليبي

يقول احد العلماء الفرنسيين وهو الكونت هــنري دكاستري في كتابه الاسلام سنة ١٨٩٦ م ما نصه : (ولست ادري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا اقصيص القرون الوسطى ، وفهموا ما كان يأتي في اغاني القوال من المسيحيين ، فجميع اغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد ، كان السبب في الحروب الصليبية . وكلها محشوة بالحقده على المسلمين للجهل السكلي بديانتم ، وقد نتج عن تلك الاناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ، ورسوخ تلك الاغلاط في الازهان . ولا يزال بعضها راسخاً الى هذه الايام . فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين وعمدة او ثان مارقين) وهكذا كان يوصف المسلمون كما يوصف دينهم من قبل رجال الدين المسيحي في اوروبا ياوصاف فظيعة في القرون الوسطى . وكانت هذه الاوصاف بما استعمل لاثارة الحقد والبغضاء ضد المسلمين ، بما اثار العالم المسيحي فكانت الحروب الصليبية . وبعد انتهائها بعدة قرون قسام المسلمون في القرن الخامس عشر فغزوا العالم المسيحي ، حيث فتحت الدولة الاسلامبة القسطنطينية ، ثم فتحت في القرن السادس عشر اوروبا وحملت رسالة الاسلام اليها ، فدخل في دين الله الملايين من البانية ، ويوغسلافيا ، وغيرها فتجدد العداء الصليبي ووجدت المسألة الشرقية ، وكانت تعني العمل من جانب اوروبا لرد العدوان الاسلامي ودرء خطر المسلمين . فكان هذا

العداء المتأصل في نفوس الاوروبيين للاسلام والمسلمين هو الذي حمل كافة
المسيحيين في اوروبا ان يبعثوا بالحركات التبشيرية في بلاد الاسلام ، باسم
المدارس والمستشفيات والجمعيات والنوادي ، وان يبذلوا في سبيل ذلك
الاموال الطائلة والجهود الضخمة ، وان يتفقوا على هذه الخطة رغم اختلاف
مصالحهم وتباين سياساتهم ، وان يجمع على ذلك جميعهم دولا وشعوبا ، وان
يجهلوه من اعمال قناصلهم وسفاراتهم ، كما هو من اعمال الموفدين والمبشرين .
وهذا العهد الصليبي السكامن في النفوس الغربية كلها ، ولا سيما اوروبا ،
وعلى الاخص بريطانيا هذا العداء المتأصل والحقد اللئيم هو الذي اوجد هذه
الخطط الجهنمية للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وهو الذي سبب اذلالنا في
ديارنا هذا الاذلال . واذا كان اللورد اللنبي قد قال حين فتح القدس وهو
يدخلها سنة ١٩١٧ م (اليوم فقط انتهت الحروب الصليبية) فلما ذلك تعبير
صادق عن مكنون نفسه ، وشدة بغضه ، وتأصل الحقد في نفسه ، وهو تعبير
عن نفس كل اوروبي يخوض غمار الحرب - ثقافة او عسكرية - ضد المسلمين
وصدق الله العظيم حيث يقول (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي
صدورهم اكبر) وما بدا من فم اللورد اللنبي ان هو الابغض ، وما كانت
تخفيه دولته بريطانيا هو اكبر من ذلك ولا ريب . وكذلك ما في نفس كل
اوروبي على الاطلاق ، وقد امتد هذا البغض منذ ايام الصليبيين ولا يزال
يمتد حتى اليوم . وما نلاقه من اضطهاد واذلال واستعمار واستغلال هو -
الى جانب الناحية السياسية التي فيه أمر انتقامي منا نحن المسلمين
بوجه خاص .

بعض
الغربيين
للمسلمين

يقول الأستاذ ليمولد فايس في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق »
(ان النهضة او احياء العلوم والفنون الاوروبية باستمدادها الواسع من المصادر
الاسلامية والعربية على الاخص كانت تعزى في الاكثر الى الاتصال المادي
بين الشرق والغرب ، لقد استفادت اوروبا اكثر مما استفاد العالم الاسلامي ،
ولكنها لم تعترف بهذا الجميل ، وذلك بأن تنقص من بغضائها للاسلام ، بل
كان الامر على العكس ، فان تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ، ثم
استحالت عادة ، ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذكرت
كلمة (مسلم) ، ولقد دخلت في الامثال الثائرة عندهم حتى نزلت في قلب
كل اوروبي رجلاً كان او امرأة ، واغرب من هذا كله انها ظلت حية بعد
جميع ادوار التبديل الثقافي ثم جاء عهد الاصلاح الديني ، حينما انقسمت
اوروبا شيعاً ، ووقفت كل شعبة مدججة بسلحها في وجه كل شعبة اخرى ،
ولكن العداء للاسلام كان عاماً فيها كلها . وبعدئذ جاء زمن اخذت فيه الشعور
الديني فيه يخبو ، ولكن العداء للاسلام استمر وان من ابرز الحقائق على ذلك
ان الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير ، وهو من الداءاء النصرانية وكنيستها
في القرن الثامن عشر ، كان في الوقت نفسه مبغضاً مغالياً للاسلام ولرسول
الاسلام ، وبعد بضعة عقود جاء زمن اخذ علماء الغرب يدرسون الثقافات الاجنبية
ويواجهونها بشيء من العطف ، اما فيما يتعلق بالاسلام ، فان الاحتقار التقليدي
اخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول الى بحوثهم العلمية ، وبقي هذا الخليج
الذي حفره التاريخ بين اوروبا والعالم الاسلامي ، غير معقود فوقه بجسر ،
ثم اصبحت احتقار الاسلام جزءاً اساسياً في التفكير الاوروبي (١ هـ . وعلى
هذه الاسس قامت الجمعيات التبشيرية التي اشرنا اليها ، ولذلك كانت تهدف الى
التبشير بالديانة المسيحية ، والى تشكيك المسلمين في دينهم ، وتحقيده في نفوسهم

وتحميله تبعة ضعفهم ، وتهدف الى النواحي السياسية ، ولذلك كانت نتائجها فظيعة في الناحيتين السياسية والتشكيفية ، حتى وصلت الى نتائج اكثر بما كانوا يتوقعون . فقد كانت الحركات التبشيرية تبني على اساس محو الاسلام بالطعن فيه ، واثارة المشاكل والشبهات حوله وحول تعاليمه لصد الناس عن سبيل الله ولابعاد المسلمين عن دينهم وكانت من وراء هذه الحركات التبشيرية حركات الاستشراق والمستشرقين ، ترمي الى ذات الغرض وعن نفس القوس .

توحيد
الجهود
ضد المسلمين

وتوحدت الجهود كلها في اوروبا في حرب صليبية شنتها اولاً من ناحية ثقافية بتسميم العقل كله بماشوهه من احكام الاسلام ومثله الاعلى ، وبالتسميم الاجنبي لعقول ابناء المسلمين بما يقولونه عن الاسلام وتاريخ المسلمين باسم البحث العلمي والنزاهة العلمية ، وما هو الا السم الثقافي الذي هو من اخطر الحروب الصليبية . وكما كان دعاة التبشير يقومون بهذا التسميم باسم العلم والانسانية ، كان المستشرقون يقومون به باسم الاستشراق . يقول الاستاذ ليوبولد فايس (والواقع ان المستشرقين الاولين في العصر الحديث كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الاسلامية وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الاسلام وتاريخه مدبرة على اساس يضمن التأثير في موقف الاوروبيين من (الوثنيين) - يعني المسلمين - غير ان هذا الالتواء العقلي قد استمر ، مع ان علوم الاستشراق تحررت من نفوذ التبشير ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حجة دينية جاهلية تسيء توجيهها . اما تحامل المستشرقين على الاسلام ، فغريزة موروثه وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية) اهـ . وهذا العداء الموروس لا يزال هو الذي يؤثر ثار الحقد في نفوس الغربيين على المسلمين ، ويصور الاسلام حتى في بلاد المسلمين للمسلمين وغيرهم بانه (بعبع الانسانية) ، او المادرات الهائل الذي سيقضي على

المستشرقون
والتبشير

تقدم الانسانية ، يسترون بذلك خوفهم الحقيقي منه ، لانه اذا تركز في النفوس ، فتزول سيطرة الغرب عن الشرق الاسلامي . بل ستعود سيطرة الاسلام على الغرب — وانما لعائدة انشاء الله — وهي في صالح الانسانية ، وفي صالح الغرب نفسه ، وسيذهب عمل المبشرين وغيرهم حسرة في نفوسهم (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ولا يزال ذلك العداء الموروث هو الذي يؤيد كل حركة ضد الاسلام والمسلمين . وانك لتجد الغربي يبحث المجوسية والهندوكية والشيعية او اى بحث علمي ، فلا تجد في بحثه اى تعصب او بغضاء ، في حين انك تجده حين يبحث الاسلام تظهر عليه علامات البغض والحقد والمقت والكراهية ، ومع ان المسلمين قد هزموا شر هزيمة ، وانتصر عليهم الاستعمار الغربي ، لكن رجال الكنيسة الغربيين — ومن وراءهم الاستعمار — لا يزالون يبدون مختلف النشاط ضد الاسلام . ولا يفترون عن الطعن في الاسلام والمسلمين ، والنيل من محمد عليه الصلاة والسلام ومن اصحابه ، والصاق المثالب في تاريخ الاسلام والمسلمين ، كل ذلك للانتقام من الاسلام والمسلمين وتمكين اقدام الاستعمار والمستعمرين .

اثار الغزو التبشيري

كانت هذه الغزوات التبشيرية هي الطلائع التي مهدت الطريق للاستعمار الاوروبي ليفتح الشرق العربي ، بل الشرق الاسلامي ، فتحاً سياسياً ، بعد ان فتحه فتحاً ثقافياً . وبعد ان كان المسلمون حملة القيادة الفكرية للغرب حين فتحوا استنبول والبلقان وادخلوا الاسلام في اوروبا ، صارت البلاد الاسلامية هدفاً للغرب ، يحمل قيادته الفكرية لها ، ومسرحة حضارته ومفاهيمه عن الحياة ، يذيعها بشئ الوسائل تحت اسم العلم والانسانية والتبشير الديني . ولم يكتف بحمل حضارته ومفاهيمه ، ولكنه كان يطعن من الحضارة الاسلامية ومفاهيم الاسلام عن الحياة حين كان يوجه حملاته ضد الاسلام ، فاثروا ذلك في اول الامر على الفئة المثقفة ، وعلى رجال السياسة ، بل وعلى حملة الثقافة الاسلامية ، وعلى جمهرة المسلمين .

اما الفئة المثقفة ، فان الاستعمار في مدارسه التبشيرية قبل الاحتلال ، وفي المدارس كلها بعد الاحتلال قد وضع بنفسه مناهج التعليم والثقافة على اساس فلسفته هو ، وحضارته هو ، ومفاهيمه الخاصة عن الحياة . ثم جعل الشخصية الغربية الاساس الذي تنزع منه ثقافتنا ، كما جعل تاريخه ونهضته وبيئته المصدر الاصلي لما نخشوه به عقولنا . ولم يكتف بذلك ، بل تدخل في تفصيلات المناهج حتى لا تخرج جزئية من جزئياتها عن المبدأ العام الذي هو فلسفته وحضارته . وكانت ذلك عاما في دروس الدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي ، فان مناهجها بنيت على الاساس

اثر التبشير
في مناهج
التعليم

الغربي ، وعلى حسب مفاهيم الغرب . فالدين الاسلامي يعلم في المدارس
 لاسلامية مادة روحية اخلاقية ، كما هو مفهوم الغرب عن الدين ، وهو يعلم على
 وجه بعيد جداً عن الحياة وعن حقيقة مبادئه . فحياة الرسول صلى الله عليه
 وسلم تدرس لابنائنا منقطعة الصلة عن حياتهم وبيئتهم ، وجافة كما تدرس حياة
 نابليون او بسمارك او اي اجنبي لا علاقة لهم به ، ولا تثير في نفوسهم اي
 نزوع او رابطة . ومادة العبادات والاخلاق ، وهي التي يشتمل عليها منهاج
 الدين ، تعطى من وجهة النظر النفعية ، وبذلك صار تعليم الدين الاسلامي
 ايضاً سائراً وفق المفاهيم الغربية . والتاريخ الاسلامي تعلم فيه المثالب التي
 يحتقرها سوء القصد وسوء الفهم ، ويوضع باطار اسود تحت اسم النزاهة
 التاريخية والبحث العلمي . ويزيد الطين بلة ، انه نبت من المسلمين المثقفين
 نابتة تعلم التاريخ وتؤلف فيه على الاسلوب والمنهج التبشيري . وهكذا
 كافة البرامج قد وضعت كلها على اساس الفلسفة الغربية ، ووفق منهاج
 الغرب ، وبذلك صار اكثر المثقفين ابناء الثقافة الغربية وتلاميذها . وصاروا
 يستمرئون هذه الثقافة ويتعشقونها ، ويتجهون في الحياة طبق مفاهيمها ، حتى
 صار الكثيرون منهم يستنكرون الثقافة الاسلامية اذا تناقضت مع الثقافة
 الغربية ، وصاروا مثقفين ثقافة غربية تتحكم فيها روح الاستعمار ووجهة نظره
 وقد اخلصوا لهذه الثقافة الغربية اخلاصاً تاماً حملهم على تقديس الاجنبي ، وحمل
 حضارته ، وانطبع كثيرون منهم بطابعه ، وصاروا يمتقون الاسلام والثقافة
 الاسلامية ، كما يمتقه الغربي ، ويحملون للاسلام وللثقافة الاسلامية العداء
 اللئيم كما يحملها الغربي ، وصاروا يعتقدون ان الاسلام والثقافة الاسلامية هي
 سبب تاخر المسلمين كما اوحى اليهم ان يعتقدوا ذلك . وبهذا نجحت الحملات

اثره في
 المثقفين ثقافة
 اجنبية

التبشيرية نجاحاً منقطع النظير حين خيمت اليها الفئة المتعلمة من المسلمين وجعلتها في صفوفها تحارب الاسلام والثقافة الاسلامية .

اثر التبشير في
المثقفين ثقافة
اسلامية

وقد تجاوز الحال امر المثقفين في اوربا والمدارس الاجنبية الى اولئك الذين يحملون الثقافة الاسلامية . فقد هالهم ان يهاجمهم الاستعمار الغربي في الطعن على دينهم فصاروا يردون هذا الطعن مستعملين كل ما نصل اليه ايديهم سواء كان هذا الرد صحيحاً ام فاسداً ، وسواء اكان ما يطعن به الاجنبي اسلامهم من مفاخره ام مكذوباً عليه ، وكانوا في ردهم قد سلموا بجعل الاسلام متهماً ثم اولوا نصوصه بما يتفق مع مفاهيم الغرب ، وهكذا صاروا يردون الهجمات رداً مضطرباً كان مساعداً للغزو التبشيري اكثر مما كان راداً له . والانكى من ذلك ان الحضارة الغربية المناقضة للحضارة الاسلامية ، صارت من مفاهيمهم التي يتقبلونها وينسبونوها زوراً وبهتاناً للاسلام ، وغلب على الكثيرين منهم ان يقولوا ان الغرب اخذ حضارته عن الاسلام والمسلمين ، وصاروا يؤولون مباديء الاسلام وفق هذه الحضارة مع التناقض المطلق الذي بين الاسلام وبين الحضارة الغربية ، وبذلك قبلوا الحضارة الغربية قبولاً تاماً ورضوا بها حين اظهروا ان مباديء عقيدتهم وحضارتهم تتفق مع الحضارة الغربية ، ومعنى ذلك انهم قبلوا الحضارة الغربية ، وتخلوا عن حضارتهم الاسلامية ، وهو ما يهدف اليه الاستعمار او ما كان يهدف اليه الغرب حين ركز حملات التبشير وحملات الاستعمار وبوجود المثقفين ثقافة اجنبية ، وسوء فهم المثقفين ثقافة اسلامية ، وجدت عند المسلمين ولا سيما العرب - المفاهيم الغربية عن الحياة ، كما تحكمت في ديارهم الحضارة الغربية المادية ، وصارت الحياة في المجتمع - كجماعة - تخضع للحضارة الغربية ، والمفاهيم الغربية . فعامة المسلمين لا يدركون ان صلاتهم في المسجد لا تغني عنهم قتيلاً وهم يطبق عليهم النظام الديمقراطي في

الحكم، والنظام الرأسمالي في الاقتصاد - وصاروا لا يتأثرون اذا فصل بينهم القضاء على غير ما انزل الله ، وهم لا يجهلون ان الله قال « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » كل ذلك لان الحضارة الغربية المبنية على اساس فصل الدين عن الدولة هي التي تسيطر على مجتمعاتهم . ولان المفاهيم الغربية المادية هي السائدة في اجوائهم . وصاروا يستشعرون القيام بواجبات الدين اذا هم اعتقدوا بالله ، وحافظوا علي الصلوات ، واداروا امور دنياهم على وفق ما يرون وما يشتهون ، ولو ناقضت ادارتها تعاليم الاسلام ، لانهم يتأثرون بالمفاهيم الغربية التي تقول : (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) . ولم يتأثروا بالمفاهيم الاسلامية التي تجعل قيصر وما لقيصر كله لله ، وتجعل الصلاة والتجارة والحكم والتعلم كلها تسير وفق دين الاسلام . نعم لم يتأثروا بهذه المفاهيم ، ولو قرأوا قوله تعالى « وان احكم بينهم بما انزل الله » وقوله : « اذا تداینتم بدین الی اجل مسمى فاكتبوه » وقوله « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبیل المؤمنین نوله ماتولی ونصله جهنم وساءت مصیرا » وقوله « فلولوا نفر من کل فرقة منهم طائفة لیقفقوا فی الدین ولینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم لعلهم یحذرون » . نعم لا يتأثرون بهذه المفاهيم في آیات القرآن ولو قرأوها ، لانهم لا یقرؤونها آیات من القرآن یقرأها المسلم حیه نابضة لیعمل بها فی معترك الحیة ، وانما یقرأونها فی حال تسیطر علیهم فیها مفاهیم الغرب ، فیتأثرون بروحانیة هذه الآیات ، و یضعون حاجزا بین اذهانهم و بین مفاهیمها ومدلولاتها ، کل ذلك لان الحضارة الغربية تتحكم فیهم ، ولان مفاهیم الغرب تسيطر علیهم « هذا بالنسبة لجمهور الشعب والمثقفین ثقافة اسلامية واجنبية » .

اثر التبشير في السياسيين

اما بالنسبة لرجال السياسة ، فان البلاء ، أعم ، والمصيبة اكبر ، اذ ان هؤلاء الساسة منذ ان جمعهم الاستعمار ، واغراهم بالقيام ضد الدولة التركية ، ومناهم ووعدهم - وما يعدهم الشيطان الا غرورا - فانهم منذ ذلك الحين يسرون في ركاب هذا الاجنبي ، وحسب ما يرسم لهم من خطط ، ففي ايام الدولة العثمانية انحازوا الى الاجنبي ، وظاهروه على دولتهم ، وهو امر لا يجيزه الاسلام ، ولكنهم - وآسفاه - فعلوه واتخذوا من عملهم هذا مفخرة يذكرونها في كل مناسبة وعيداً لهم يحتفلون به في كل عام وانهم في ذلك الوقت ، بدل ان يجاروا الفئة الحاكمة لاصلاح الدولة ، ساروا مع الاجنبي ضد الدولة كلها ، حتى كانت النتائج المريرة في امتيلاء الاجنبي على بلادهم . ثم صاروا بدل ان يستعينوا بالشعب على الاجنبي ، استعانوا بالاجنبي على الشعب . وقد تأثروا بالاجنبي - ولا سيما الغربي - الى حد افقدهم شخصيتهم الاسلامية ، وصممت افكارهم بآراء سياسية ومذاهب اجتماعية ومبادئ فلسفية مما ، افسد عليهم وجهة نظرهم في الحياة وفي الكفاح ، وترتب على ذلك افساد الجـ و الاسلامي - ومنه العربي - برومته ، وبلبله الافكار بلبلة ظاهرة في مختلف نواحي الحياة .

فقد جعلوا طريق الجهاد هي المفاوضة ، واعتنقوا مبدأ خذ وطالب - الذي يعتبر انفع للاستعمار من جيوش جرارة في البلاد - وجعلوا قبلة انظارهم الاستعانة بالاجنبي ، والائكال عليه ، دون ان يعوا ان كل استعانة باجنبي تعتبر تسميماً اجنبياً ، وربطوا قضيتهم بقضايا البلاد الاجنبية ، وخاصة بلاد المستعمر ، ولم يدركوا ان ربط قضيتنا بقضية غيرنا يعتبر انتحاراً سياسياً . ورضوا ان يعملوا للاقليمية الضيقة ، ويجعلوها مجال عملهم السياسي ؛ ولم يتبين لهم ان هذه الاقليمية هي التي تجعل العمل السياسي مستحيل الانتاج ؛ لعدم

امكان الاقليمية - مهما اتسعت بلاد الاقليم - ان تنهض بالاعباء السياسية وغير السياسية التي تتطلبها الحياة الصحيحة .

ولم يكتفوا بذلك كله ، بل جعلوا مركز تنبهم الفردي مصالحهم الفردية ومركز تنبهم العام هو البلاد الاجنبية ، وبذلك فقدوا مركز التنبه الطبيعي - وهو مبدؤهم وبلادهم - وبفقدانهم مركز التنبه الطبيعي ، فقدوا امكانية نجاح مساعيهم ، مهما اخلصوا فيه وبذلوا من مجهود . ولذلك صارت جميع الحركات السياسية حركات عقيمة ؛ وصارت كل نقطة في الامة تتحول الى حركة مضطربة متناقضة تشبه حركة المذبوح تنتهي بالجمود والبأس والاستسلام وذلك لان قادة الحركات السياسية - وهم السياسيون - محترفو السياسة - فقدوا مركز تنبهم الطبيعي ، فصار طبيعياً ان تفقد الامة هذا المركز التنبهي لها . وهكذا سمحت افكار السياسيين بالآراء المغلوطة ، كما سمحت بالمبادئ الاجنبية ، اذ قامت في البلاد العربية حركات باسم القومية والاستراكية ، وباسم الوطنية والشيوعية ، وباسم الدين الروحي والاخلاق ، وباسم التعليم والارشاد . وكانت هذه الحركات ضعفاً على ابالة ، وعقدة جديدة في المجتمع تضاف الى العقد الاخرى التي يزرع تحت عيها . وكانت نتيجةها الاخفاق والدوران حول نفسها ، لانها سارت وفق مفاهيم الحضارة الغربية ، متأثرة بالغزو التبشيري ، ووجهت الامة الى المفاهيم الغربية عن الحياة برومتها ، فضلاً عن انها نفست عواطف الامة المتأججة فيما لا ينفع ولا ياتي بخير . ومكنت للاستعمار من التمرکز والبقاء . وهكذا كان نجاح الغزو التبشيري والاستشراق نجاحاً منقطع النظير في المسلمين ولا سيما العرب وسر نجاحه يرجع الى انه عمد الى العقيدة الاسلامية في المسلمين فزعزعا في نفوس اهلها في فصل فروعها عنها ، حتي ركز على اساس هذا الفصل حضارته ومفاهيمه ، فقبل

سر نجاح
التبشير

المسلمون هذه الحضارة وهذه المفاهيم ، لا على اعتبار انها لا تتناقض مع عقيدتهم
فحسب ، بل على انها فوق ذلك متفقة مع عقيدتهم ، وهي من مبادئها ومفاهيمها
فسهل عليهم بعد هذا ان يتقبلوا كل ما يتفرع عن هذه الحضارة وهذه المفاهيم
دون ان يجدوا فيها اي غضاظة او اي تناقض مع ما يعتقدون . وهذه الثقافة
الاستعمارية ، والحضارة الغربية ومفاهيم الغرب عن الحياة ، يتركز الاستعمار
في البلاد الاسلامية - ولا سيما العربية - ويتركزه هذا بحول بيننا وبين النهضة
ويقف دون كل محاولة نبذلها للنهوض . ولذلك كان لابد من محاربة الحضارة
الغربية في بلادنا ، ومحاربة مفاهيم الغرب عن الحياة عندنا ، ومحاربة الثقافة
الاجنبية ، لا العلم العالمي .

طريق محاربة الثقافة الاجنبية

وطريق ذلك هو اعتناقنا رسالتنا الاسلامية اعتناقاً صحيحاً ، وفهمنا لها
فهماً صادقاً ، واقبالنا على الثقافة الاسلامية الخالصة ، حتى نأخذ الاسلام
خالصاً من كل شائبة حاول الاستعمار ان يشوبه بها . وأخذ الاسلام صافياً
يقضي اولاً - وقبل كل شيء - الايمان برسالة الاسلام ، وحمل القيادة الفكرية
في الاسلام ، وهذا يقتضينا الايمان بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ،
وفهم مقتضيات هذا الايمان ، لان الايمان بالله يقود حتماً الى الخضوع والتسليم
عن رضا واطمئنان بكل التشريع الذي فصله الاسلام ، الذي هو من عند
الله ، ويقود حتماً الى تطبيق هذا التشريع تطبيقاً انقلابياً كاملاً على كل جزئية
من جزئيات الحياة ، وان يكون هذا التطبيق آتياً من ضمير الفرد المؤمن ،
بأن يكون تطبيقاً طوعياً عن رضا واطمئنان . قال تعالى « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في انفسهم حرجاً مما
قضيت وبسماواتنا تسلما » فلاوامر والنواهي التي جاء بها محمد عليه السلام من
عند الله ، كلها حق وعدل ، وفيها وحدها الخير العام . فالايان بالله وبرسوله

يوجب حتماً اخذ الاسلام جملة وتفصيلاً اخذاً كاملاً شاملاً دون ان يشاب
بأي شيء من غيره ، مهما قل هذا الشيء او أكثر ، اذ الاصلاحات التي تتطلبها
النهضة التي نعمل لها ، تتطلب منا الحرص على صفاء الاسلام ، والعمل على
اخذها كاملاً دون شائبة . لان الاصلاحات لا يجوز ان تؤخذ نظريات وانظمة ،
وان تجمع فروعاً من هنا وهناك ، فان مثل هذا العمل يعتبر نظرة معكوسة ،
وهو مظهر من مظاهر الانحطاط العقلي ، ويؤدي الى الانتماس في المجتمع ،
والتهور في البيئة . بل لابد ان تتفرع الاصلاحات عن روح اعم ، وعن
اصل اشمل ، وعن عقيدة ثابتة يتمثل فيها ثبات الاهداف العليا للحياة . وهذا
الروح العام ، والاصل الشامل ، هو العقيدة الاسلامية التي يتمثل بها الفكر
القطعي . وعن هذه العقيدة تنبثق انظمة الحياة ، وتتفرع الاصلاحات الحقيقية
التي تتطلبها النهضة .

فالعامل الرئيسي للاصلاح هو العامل الفكري ، وهو العقيدة ، وهو
الاساس الوحيد الذي عليه تبنى الانظمة والحضارة والدولة ، وبه ندرك حقيقة
حضارتنا ومفاهيمنا ، ولا نقع في الخطأ الفاحش في قبول الحضارات والمفاهيم
الآخري . فالى الايمان نسلك طريقه ، والى الفكر الاسلامي نحمل قيادته
لنا وللعالم اجمع .



الغزو السياسي للعالم الاسلامي

لم يكن ضعف ملوك الاندلس واختلافهم هو السبب الحقيقي لذهاب
الاندلس والقضاء على الاسلام فيها ، وان كان هذا الضعف وهذا الاختلاف
قد ساعد على ذهاب هذه البلاد . والسبب الحقيقي والمباشر لغزو الاندلس
يرجع الى الانتقام الذي تأصل في نفوس الغربيين من جراء الحروب الصليبية .
وذلك ان الغرب بعد اخفاقه الذريع في الحروب الصليبية ، وطرده من
الشرق شر طرد ، ظلت في نفسه حرقه من هذه الهزيمة ، وامثال قلبه حقدآ
وبغضآ وكراهية للمسلمين . وكان يتعذر عليه ان يعاود الكرة على الشرق ،
فقد كانت قوته على اختلاف اهل كافيته لصدده والقضاء على محاولاته ، فرأى
ان امر هذا الانتقام ميسور في الغرب من الاندلس ، لذلك وجه حملته اليها ،
وقضى عليها قضاء وحشيا استعمل فيه بحكم التفنيس والمفاصل وبيوت
النيران ، ما يزيد وحشية على فعل الوحوش ، بما يعتبر عارآ على الغرب . وزاد
انتقامه ما اظهره المسلمون من تحاذل عن نصره الاندلس ، وكانوا اقوياء وفي
وضع حربي يمكنهم من نصره تلك البلاد . ولكنهم تقاعسوا وتركوا تلك
البلاد لقمة سائغة ، وبذلك اطعموا الغرب في ان يفكر في خطوة اخرى
لانتقام . ولولا قوة المسلمين - ولا سيما الدولة العثمانية - لتتابعت غزوات
الغربيين لبلاد الاسلام . ولكن قوة المسلمين وغزو العثمانيين لاوروبا وفتحهم
لها ، ارهب الغربيين ، وحملهم على التريث في غزو المسلمين والانتقام من بلاد

الاسلام ، حتى لا يهزموا في حرب صليبية ثانية . ولذلك وقف الغزو الغربي لبلاد الاسلام الى مابعد منتصف القرن الثامن عشر ، وحينئذ اخذ الركود يحيم على العالم الاسلامي برومته فقد تخلى عن حمل الدعوة الاسلامية عن طريق دولي فحقت حرارة الاسلام في النفوس ، وكان من جراءها ان زالت هيبتهم من نفوس اعدائهم ، وحينئذ نشطت الغزوات الثقافية والتبشيرية في الشرق الاسلامي ، وبدأت تصاحبها الغزوات السياسية لاقتطاع بلاد الاسلام جزءاً جزءاً ، ولتمزيق العالم الاسلامي والقضاء عليه . وقد تم لهم ذلك بالفعل ونجحوا نجاحاً باهراً .

فان روسيا في عهد كاترينا (١٧٦٢ - ١٧٩٦) م حاربت العثمانيين وتغلبت عليهم واقتطعت بعض اراضيهم ، واخذت منهم مدينة آزوف وشبه جزيرة القرم ، واستولت على جميع الحوض الشمالي للبحر الاسود ، وأنشأت مدينة سياستمبول قاعدة لها في شبه جزيرة القرم ، كما أنشأت ميناء اوديسا التجاري على البحر الاسود . وأصبحت روسيا عاملاً هاماً في سياسة الدولة العثمانية الخارجية ، وصارت صاحبة السيادة في الامارات الرومانية ، واعتبرت نفسها حامية المسيحية في الدولة العثمانية . ثم اقتطعت من تركيا في سنة ١٨٨٤ م التركستان ، ثم اكملت احتلالها للقفقاس جميعه . ولم يقتصر الامر على روسيا وحدها ، بل شمل ذلك بقية الدول الغربية . ففي اول تموز سنة ١٧٩٨ م ، هاجم نابليون مصر واستولى عليها . وفي شباط سنة ١٧٩٩ م هاجم الجزء الجنوبي من سوريا واستولى على غزة والرملة ويافا ، ووقف على حصون عكا . الا ان حملته هذه لم توفق ، فرجع الى مصر ثم رجع الى فرنسا وفشلت الحملة سنة ١٨٠١ م . ومع ان حملته هذه لم توفق ، فقد اثرت على كيان الدولة العثمانية ، وكانت هزة عنيفة لها ، وتتابعت سائر الدول تهاجم العالم الاسلامي ،

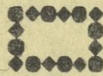
وتستولي على اجزائه . فقد احتل الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م الجزائر وتطلعوا الى احتلال تونس وعملوا لذلك حتى احتلوها سنة ١٨٨١ م ثم احتلوا مراکش سنة ١٩١٢ م ، كما احتلت ايطاليا طرابلس سنة ١٩١١ م ، فتم بذلك اقتطاع شمال افريقيا ، وسلخه عن حكم الاسلام وجعله خاضعاً لحكم الكفر ، مستعمرآ له .

ولم يكتف الغربيون بذلك بل اكملوا الاستيلاء على البقية الباقية ، فقد استولت بريطانيا على عدن سنة ١٨٣٩ م وبسطت حمايتها على الحج والحميات التسع من حدود اليمن الجنوبية الى شرق الجزيرة . وكان الانكليز قد استولوا على الهند قبل ذلك التاريخ بمدة طويلة ، وانتزعوا باستعمارهم لها سيادة المسلمين ، واناخوا بكل كلمهم عليهم بنوع خاص ، اذ كان المسلمون هم اصحاب السيادة في الهند ، فانتزعها الانكليز منهم واستعمروها واخذوا يعملون على اضعاف موقف المسلمين فيها بوجه عام . ثم في سنة ١٨٨٢ م استولت بريطانيا على مصر ، وفي سنة ١٨٩٨ م استولت على السودان . كما كانت هولندا تسيطر على جزر الهند الشرقية ، وحصرت افغانستان تحت الضغط الانكليزي والروسي ، كما حصرت ايران ، واشتدت حملة الغربين في كل مكان على العالم الاسلامي ، حتى شعر جميعه بتعرضه للسقوط نهائياً تحت نير الغرب ، وشعر ان الحملة الصليبية تجددت تحرزا للانتصار تلو الانتصار ، وصار يتشبث باعمال لوقف هذا الزحف الغربي عند حده ، او للتخفيف من ثقل كابوسه . فحدثت حركات من المقاومة للغربيين في اكثر من مكان ، فشبت ثورة في الجزائر ، وهب المسلمون في الصين ، وقام المهديون في السودان ، واشتعلت الثورة السنوسية ، وتمركزت حركة محمد علي باشا

فكان كل ذلك دليلاً على الحيوية الكامنة في العالم الاسلامي رغم ركوده وضعفه ، الا ان هذه المحاولات كلها اخفقت نهائياً ، ولم تنقذ العالم الاسلامي ، ولم يقف الغرب عند حده في الغزو بل استمر الغزو بقسميه السياسي والثقافي ، ولم يقتصر على اقتطاع اجزاء العالم الاسلامي ، بل اخذ يعمل للقضاء على الدولة العثمانية باعتبارها الدولة الاسلامية التي تمثل المسلمين فقد اقام داخل الدولة التركية الحركات القومية ، اذ اخذت الدول الاجنبية تحرض شعوب البلقان على الثورة منذ سنة ١٨٠٤ م ، وتمدهم لهذه الثورات ، حتى انتهت ثورتهم بالاستقلال سنة ١٨٧٨ م كما حرّضت هذه الدول اليونان على الثورة منذ سنة ١٨٢١ م ، حتى انتهت ثورتهم بسبب تدخل الاجنبي باستقلال اليونان عن تركيا سنة ١٨٣٠ م ، وتتابع سائر بلاد البلقان حتى تقلص ظل الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية عن البلقان وعن كريت وقبرص واكثر جزر البحر الابيض المتوسط ، واستعمل الغربيون انواع الوحشية مع المسلمين في البلقان وجزر البحر المتوسط ، فاجلوا الكثيرين منهم عن ديارهم اجلاءً مما حمل الكثيرين ايضاً منهم على الرحيل فراراً بدينهم من وحشية الكفر ولجأوا الى بلاد العرب بوصفها بلاداً اسلامية ، وجزءاً من الدولة الاسلامية ، وما هؤلاء الجرّكس والبوشناق والشاشان وامثالهم الا ابناء اولئك الابطال من المسلمين الذين لم يرضوا ان يخضعوا لحكم الكفر ، وفروا بدينهم الى ديار الاسلام والى حكم الاسلام .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل قام الغربيون - بوسائلهم الخفية - بتشجيع الحركات الانفصالية عند المسلمين انفسهم في داخل كيان الدولة بين الترك والعرب . فشجعوا الحركات القومية ، وشجعوا - بل ساعدوا - على قيام الاحزاب السياسية التركية والعربية ، كحزب تركيا الفتاة ، وحزب

الاتحاد والترقي ، وحزب الاستقلال العربي ، وحزب العهد الخ .. مما جعل
كيان الدولة داخلياً في اضطراب واهتزاز ، فأخذ يمد تحت هذه الاحداث
الداخلية مع الغزوات الخارجية ، وما ان جاءت الحرب العالمية الاولى ، حتى
وجد الكفر الممثل بالغرب حينئذ الفرصة مواتية ليوجه الحملة على العالم الاسلامي ،
فيستولي على الباقي من بلاده ، ويقضي على آخر دولة اسلامية ، ويبيدها من
الوجود . فدخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى التي انتهت بانتصار
الحلفاء وهزيمتها ، فتقاسم الغربيون جميع العالم الاسلامي غنيمة فهم ، ولم تبق
منها الا بلاد الترك التي صار يطلق عليها اسم (تركيا) ، وبقيت بعد الحرب
تحت رحمتهم منذ انتهاء الحرب سنة ١٩١٧م حتى سنة ١٩٢١م حيث استطاعت
الاستقلال بعد تأمينها للحلفاء القضاء على دولة الاسلام .



القضاء على الدولة الاسلامية

انتهت الحرب العالمية الاولى واعلنت الهدنة بين المتحاربين بعد ان انتصر الحلفاء انتصاراً باهراً ، وتحطمت الدولة العثمانية وتفككت الى اجزاء صغيرة واستولى الحلفاء على بلاد العرب جميعها : مصر وسوريا وفلسطين وشرق الاردن والعراق ، وساخوها عن الدولة ، ولم يبق في يد العثمانيين سوى بلاد الاتراك (تركيا) ؛ وهذه نفسها قد دخلها الحلفاء ، فقد استولت البوارج الانكليزية على البسفور ، واحتلت الجيوش الانكليزية قسماً من العاصمة وكل قلاع الدردنيل والمواضع الحربية الهامة في جميع انحاء تركيا ، واحتلت الجيوش الفرنسية قسماً من استانبول وملاً جنودها السنغاليون الشوارع . واحتلت الجيوش الايطالية بيوا وخطوط السكك الحديدية ، واشرف ضباط الحلفاء على شؤون البوليس والحرس الوطني وعلى الميناء ، وجردوا القلاع من اسلحتها ، واخذوا يسرحون قسماً من الجيش التركي ، وانحلت جمعية الاتحاد والترقي ، وفر جمال باشا وانور باشا الى خارج البلاد ، واختفى باقي اعضاء الجمعية وتألقت حكومة هزيلة برئاسة توفيق باشا لتقوم بتنفيذ اوامر الاعداء المحتلين . وكان الخليفة حينئذ وحيد الدين . وكان يرى انه امام الامر الواقع ، وأنه يجب ان ينقذ الموقف بالاسلوب الحكيم ، فجعل البرلمان واسند رئاسة الوزارة الى اخلص اصدقائه فريد ، فأيده في نظراته التي كانت ترمي الى مجاملة الحلفاء وعدم اي مقاومة ، لئلا تسبب دمار البلاد . لاسيا

وان الحرب قد انتهت . ونفذ خطته هذه . وظلت الحال كذلك ، اذ ظل الحلفاء مسيطرين وظلت تركيا في حالة خمود حتى اواسط سنة ١٩١٩ م ، فتبدلت الاحوال ، وطراً على موقف الحلفاء الضعف فقد حصلت في كل من ايطاليا وفرنسا وانكاسترا متاعب داخلية بين الشعب كانت جديدة الى حد انها تنذر بتصدع صفوفهم الداخلية . ودب الخلاف بين الحلفاء انفسهم ، وظهر بشكل سافر في استانبول بين الممثلين ، اذ كان الشجار بينهم ظاهراً وتنافسوا على الغنيمة ، وطمع كل منهم في ان ينال حصة الاسد من المراكز العسكرية والامتيازات الاقتصادية ؛ وصار في امكان تركيا ان تجرب آخر سهم لانقاذ موقفها ، بعد ان وصل ضعف الحلفاء واختلافهم الى حد ان صاروا يثيرون الاتراك ضد بعضهم ، ويساعدونهم على بعضهم . وكانت مؤتمر الصلح لم يعقد بعد ، وشروط الصلح لم توضع . ولذلك بدت تلوح في الافق بوادر الامل ، وصار عند الناس اعتقاد بامكان تنظيم حركة مقاومات جديدة . وتآلفت في استانبول اكثر من عشر جمعيات سرية ، هدفها سرقة الاسلحة والمستودعات الخاضعة لاشراف العدو ، وارسالها الى منظمات سرية في داخل البلاد . وكان بعض الرجال الرسميين يساعدون في ذلك ، فقد كان عصمت وكيلا لوزارة الحرب ، وفوزي رئيس اركان الحرب ، وفتحي وزيراً للدخالية ، ورؤف وزيراً للبحرية ، وكان جميعهم يساعد في هذه الحركات . ولذلك قامت جمعيات متعددة مهمتها المقاومة السرية للعدو ، ونشطت جمعية الاتحاد والترقي وانضم بعض الجيوش النظامية لهذه الحركات ، ثم تجمعت في حركة واحدة قادها مصطفى كمال ، وقام بحركة تحريرية لمقاومة الحلفاء وطردهم من البلاد ، ولمقاومة جيش الخليفة اذ تصدى لهم ، ونجح مصطفى كمال في ذلك الى حد كبير .

ثم رأى ان الحكومة المركزية والسلطان في استانبول واقعان تحت سيطرة
الاعداء ، وانه يجب ان تقوم حكومة وطنية في الاناضول .

فقام بعقد مؤتمر وطني في سيواس ، نوقشت فيه الوسائل والاساليب
الكفيلة بالاحتفاظ باستقلال تركيا ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات ، وانتخب
لجنة تنفيذية ، واختار مصطفى كمال رئيساً لهذه اللجنة . وارسل هذا المؤتمر
انذاراً الى السلطان يطلب فيه عزل رئيس الوزراء فريد ، واجراء انتخابات
لبرلمان جديد حر . فاضطر السلطان تحت هذا الضغط ان يخضع لطلبات المؤتمر
فعزل رئيس الوزراء ، وولى مكانه علي رضا ، وامر باجراء انتخابات جديدة
خاض غمارها رجال المؤتمر ككتلة تريد انقاذ البلاد ، وفازوا بالاكثرية
الساحقة في البرلمان الجديد .

وعلى اثر هذا الفوز انتقل المؤتمر ورجاله الى انقرة ، وصارت منذ ذلك
الوقت مركز العمل لانقاذ تركيا . وقد عقد نواب المؤتمر اجتماعاً في انقرة
عرضوا فيه اقتراحاً بان يجتمع البرلمان في استانبول ، وان يحل المؤتمر بعد ان
صار اعضاؤه نواباً رسميين . لكن مصطفى كمال قاوم هاتين الفكرتين وقال :
(ان المؤتمر ينبغي ان يستمر حتى يظهر مدى التزام البرلمان للعدالة وتستبين
سياسته ، اما الانتقال الى العاصمة فليس سوى حماقة جنونية ، انكم لو فعلتم
ذلك لاصبحت تحت رحمة العدو الاجنبي ، فالانجليز مازالوا هم المسيطرين على
البلاد ، وسوف تتدخل السلطات في اموركم ، وربما اعتقلتكم . واذن ينبغي
ان يعقد البرلمان هنا في انقرة كي يظل حراً مستقلاً) واصر مصطفى كمال
اصراراً كلياً على رأيه ولكنه لم يفلح باقناع النواب ان يعقد البرلمان جلساته
في انقرة . وذهب النواب الى العاصمة ، واعربوا للخليفة عن ولائهم له . ثم
عكفوا على عملهم . وكان ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٢٠م وقد حاول السلطان

ومن ورائه الانكليز ان يملوا ارادتهم على النواب . فرفضوا واطهروا
 تمسكهم بحقوق البلاد ، ولما اشتد الضغط عليهم من قبل الحلفاء نشروا للرأي
 العام ميثاقهم الوطني الذي قرروه في مؤتمر سيواس ، وهو الميثاق المشتمل
 على الشروط والمبادئ التي يقبلون السلام على اساسها . وأهمها ان تكون تركيا
 حرة مستقلة داخل نطاق حدود مقررة . فسر ذلك الحلفاء ولا سيما الانكليز ،
 لان هذا القرار هو الذي يسعون اليه ، ويسعون ان يأتي من اهل البلاد انفسهم .
 ويلاحظ ان جميع البلاد التي كانت الدولة العثمانية تحكمها بوصفها دولة
 اسلامية ، قد وضعت لها عقب الحرب العالمية الاولى ميثاقاً وطنياً يتضمن نصاً
 واحداً ، هو استقلال الجزء الذي اراده الحلفاء ان يكون بلداً منفصلاً . فالعراق
 وضعت ميثاقاً وطنياً يتضمن استقلال العراق ، وسوريا وضعت ميثاقاً يتضمن
 استقلال سوريا ، وفلسطين كان ميثاقها الوطني يتضمن استقلال فلسطين ،
 ومصر كان ميثاقها الوطني يتضمن استقلال مصر ، وهكذا . . . ولهذا كان من
 الطبيعي ان يسر الحلفاء ، ولا سيما الانكليز ، بالميثاق الوطني التركي ، لانه
 جاء وفق ما يريدون ، لان خطتهم تقطع اوصال الدولة العثمانية ، وتقسمها
 الى دول حتى لاتعود دولة واحدة قوية ، وحتى يقضى على دولة المسلمين .
 ولولا هذا الميثاق الوطني الذي نجح الحلفاء باقراره في كل مكان لكان للامر
 وجه آخر ، وذلك لان الدولة العثمانية كانت دولة واحدة تعتبر جميع ولاياتها
 جزءاً منها ، وهي سائرة على نظام الوحدة لا الاتحاد ؛ فلم يكن هنالك فرق
 بين الحجاز وتركيا ، ولا بين سنجق الفرس وسنجق الاسكندرونة اذ كلها
 دولة واحدة ؛ وهزيمة تركيا كهزيمة المانيا سواء بسواء ، اذ هما حليفتان في
 الحرب وما ينطبق على واحدة من شروط الصلح ينطبق على الاخرى ؛ واذا
 كانت المانيا لم يفرط اهلها بشبر من بلادها ، ولم تقطع اوصالها ، فكذلك

يجب ان يكون الحال في الدولة العثمانية : لا يجوز ان تقطع او صالا . وكان الحلفاء يعرفون ذلك ، ويحسبون له الف حساب . اما وقد طلب العثمانيون انفسهم ان تقطع دولتهم اجزاء طلبه العرب ، وطلبه الترك على السواء ، فما اسرع ما يقبل ذلك الحلفاء ويشجعونه ، ولا سيما من مركز الدولة (تركيا) لانها كانت تمثل اكثرية الحكم في الدولة .

ولهذا اعتبر الحلفاء الميثاق الوطني التركي الانتصار النهائي لهم . وعلى اثر نشره تركوا للاتراك حرية المقاومة ، وصاروا ينسحبون من كل مكان فسحبت القوات الانكليزية والفرنسية من داخل البلاد واشتدت عزائم الاتراك ، وقامت في البلاد حركة مقاومة للعدو انقلبت الى ثورة ضد السلطان ، مما جعله يجهز جيشاً ويرسل لها حملة قوية قاومتها وقضت عليها . وصار الناس كلهم مع السلطان ما عدا انقرة التي كانت من مركز الثورة . وكانت انقرة ذاتها على وشك السقوط ، فقد كانت القرى المحيطة بها تنضوي واحدة بعد الاخرى تحت لواء السلطان ، وتنضم الى جيش الخليفة . وصار مصطفى كمال ومن معه في انقرة في حالة حرجة جداً . الا ان مصطفى كمال صمم على المقاومة ، وأشعل في الوطنيين نار حماسة جديدة ، فاشتدت عزائمهم ، وشاعت في اقاليم تركيا واقراها انباء عن احتلال الانجليز للعاصمة ، واعتقالهم ، الوطنيين ، واغلاقهم دار البرلمان بالقوة ، وموآزره السلطان وحكومته . فتغير الموقف . فانصرف الناس عن السلطان ، وانحاز الرأي العام الى الوطنيين في انقرة ، واقبل الرجال والنساء على انقرة ، يتطوعون للدفاع عن تركيا . وفر كثيرون من جيش الخليفة وانضموا الى جيش مصطفى كمال ، الذي اصبح يحيط انظار الاتراك ومعقد آمالهم . وقد قويت جبهته وصارت اكثرية البلاد في قبضته ، فأصدر منشوراً بالدعوة الى انتخاب برلمان جديد ، يكون مقره انقرة . وحصل

الانتخاب ، فاجتمع النواب الجدد ، واطلقوا على انفسهم « الجمعية الوطنية الكبرى » واعتبروا انفسهم الحكومة الشرعية ، ثم انتخبوا مصطفى كمال رئيساً للجمعية . وصارت انقرة مركز الحكومة الوطنية . وانضم اليها جميع الاتراك . فقام مصطفى كمال وسحق ما تبقى من جيش الخليفة ، وأنهى الحرب الاهلية ، ثم تفرغ لمحاربة اليونان واشتبك معهم في معارك دامية كان النصر حليفهم في اول الامر ، ثم تحولت الامور وصارت كفته هي الراجحة وما ان جاء شهر آب سنة ١٩٢١ م حتى قام بهجوم خاطف ، انتهى بانتصاره على اليونانيين الذين كانوا يحتلون ازميز وبعض شواطئ تركيا . وفي اوائل شهر ايلول سنة ١٩٢١ م ارسل الى عصمت ليقاتل هارنجتون للاتفاق على التفاصيل . وهناك وافق الحلفاء على طرد اليونانيين من تريس وجلائهم هم انفسهم عن القسطنطينية وتركيا باسرها . والظاهر من تتبع خطوات مصطفى كمال ان موافقة الحلفاء هذه كانت مقابل ان يقضي مصطفى كمال على الحكم الاسلامي ، ولذلك تجده حين ناقشته الجمعية الوطنية في امر تركيا بعد الانتصارات التي احرزها ، خاطبها بقوله : (أنا لست مؤمناً بعصبة من الدول الاسلامية ، ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية ، ولكل منا ان يعتقد الرأي الذي يراه . أما الحكومة فينبغي ان تلتزم سياسة ثابتة مرسومة مبنية على الحقائق لها هدف واحد ، واحد فقط : ان تحمي حياة الوطن واستقلاله داخل نطاق حدوده الطبيعية ، فلا العاطفة ولا الاوهام ينبغي ان تؤثر في سياستها ، وسحقاً للاحلام والخيالات ، لقد كافتنا غالباً في الماضي) . وهكذا أعلن انه يريد استقلال تركيا كامة تركية لا كامة اسلامية . وقد طالب اليه بعض النواب ورجال السياسة ان يبين رأيه فيما ينبغي ان تكون عليه الحكومة في تركيا الجديدة ، فليس من المعقول ان تكون لها

حكومتان كما هو الوضع القائم حينئذ : حكومة مؤقتة ذات السلطان مقرها أنقرة ، وحكومة رسمية (اسمية) في العاصمة يرأسها السلطان ووزرائه . وقد ألح السياسيون بطلب بيان رأيه في هذا الوضع ، فلم يجبه ، وأخفى نواياه ، وصار يثير الرأي العام على الخليفة وحيد الدين ، بأنه مالا إلا انكليزي واليونان حتى أثار هياج الشعب عليه . وفي وسط هذا الجو الحماسي له ، والمقت للسلطان ، جمع الجمعية الوطنية ليمين خطته في امر السلطان والحكومة . وكان يعلم أنه قد يستطيع اقناع النواب بخلع وحيد الدين ، وبإلغاء السلطنة ، لكنه لا يجزم على مهاجمة الخلافة ، فذلك من شأنه أن يمس المشاعر الإسلامية في الشعب جميعه . لذلك لم يبلغ الخلافة ولم يتعرض لها ، وإنما اقترح أن يفصل بين السلطنة والخلافة ، فتلغى السلطنة ويخلع وحيد الدين . وما أن سمع النواب هذا الاقتراح حتى وجوا ، وأدركوا خطر هذا الاقتراح الذي يطلب اليهم أن يقرروه . وأرادوا أن يتناقشوا في الامر ، فخشي مصطفى كمال من هذه المناقشة ، وطلب اخذ الرأي على الاقتراح ، وأيده في ذلك ثمانون نائباً من انصاره الشخصيين ، إلا أن المجلس رفض ذلك وأحال الاقتراح الى لجنة الشؤون القانونية كي تبحثه . وحينما اجتمعت اللجنة في اليوم التالي حضر مصطفى كمال في القاعة التي اجتمعت فيها ، وجلس يوقب اعمالها ، فلبثت تناقش في الاقتراح بضع ساعات ، وكان اعضاؤها من العلماء والمحامين وكانوا يعرضون هذا الاقتراح على النصوص الشرعية ويرونه مخالفاً للشرع ، اذ لا يوجد في الاسلام سلطة دينية واخرى زمنية ، فالسلطنة والخلافة شيء واحد ولا يوجد هنالك شيء يسمى الدين ، وشيء يسمى الدولة ، بل هنالك نظام الاسلام ، وتعتبر الدولة جزءاً من هذا النظام ، وهي التي تقوم على تنفيذه . ولذلك لم تجر اللجنة القانونية ما يهبر

هذا الفصل ، بل لم تجد ما يبرر هذا البحث ، لان نصوص الاسلام صريحة فيه
ولذلك صمم على رفض الاقتراح ، لكن مصطفى كمال كان يريد فصل الدين عن
الدولة بفصل السلطنة عن الخلافة ، وذلك اجابة لطلب الحلفاء منه ، حتى يقضوا
على آخر دولة اسلامية على يد اهلها ، ولان ثقافته الاستعمارية التي يقد فحما-
الغربيين في فصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحية ، كما فصلت الكنيسة عن
الدولة في الغرب . ولهذا فان مصطفى كمال حين رأي مناقشات اللجنة واتجاهها
فقد سيطرته على اعصابه ، وقفز فجأة واعتلى مقعدا وهو يتميز من الغيظ ،
وقطع مناقشات اللجنة صائحا (ايها السادة لقد اغتصب السلطان العثماني
السيادة من الشعب بالقوة ، وبالقوة اعتزم الشعب ان يستردها منه ، ان
السلطنة يجب ان تفصل عن الخلافة وتلغى . وسواء وافقتم ام لم توافقوا فسوف
يحدث هذا ، كل ما في الامر ان بعض رؤوسكم سوف تسقط في غضون ذلك)
وكان يتكلم بلجة الديكتاتور فانفض اجتماع اللجنة ، ثم دعيت الجمعية الوطنية
من فورها لتناقش الاقتراح . ولدى مناقشتها له تبين لمصطفى كمال ان الاتجاه
الغالب يميل الى رفض هذا الاقتراح . فجمع انصاره حوله وطلب اخذ الرأي
على الاقتراح برفع الايدي مرة واحدة ، فاعتزض النواب ذلك وقالوا : ان
كان لا بد من اخذ الرأي فليكن بالمناداة بالاسم . فرفض مصطفى كمال ذلك ،
وصاح - وفي صوته رنة التهديد - قائلا : (انا واثق من ان المجلس سيقبل
الاقتراح باجماع الاراء . ويكفي اخذ الاصوات برفع الايدي . وطرح الاقتراح
للتصويت ؛ فلم ترفع غير أيد قليلة ، لكن النتيجة أعلنت بان المجلس أقر الاقتراح
باجماع الاراء ؛ فدهش النواب لذلك ، وقفز بعضهم فوق مقاعدهم محتجين صائحين :

(هذا غير صحيح . نحن لم نوافق) فصاح بهم انصار الغازي يسكتونهم ،
وتبادلوا الشتائم . الا ان الرئيس اعلن النتيجة مرة اخرى بأن الجمعية الوطنية
الكبرى لتوكيا قررت باجماع الاراء الغاء السلطنة ، ثم فضت الجلسة .
وغادر مصطفى كمال القاعة يحيط به انصاره . ولما علم الخليفة وحيد الدين بذلك
فر هارباً . وعلى اثر اعلان قراره نودى بان اخيه عبد المجيد خليفة للمسلمين ،
مجرداً من كل سلطان . وبذلك صار الخليفة من غير سلطان . وظلت البلاد
من غير حاكم شرعى . واذا كانت السلطنة قد فصلت عن الخلافة فمن الذى
يحكم ؟ لقد كان مصطفى كمال حريصاً على فصل السلطنة عن الخلافة حرصاً
شديداً ، جعله يقدم عليه قبل ان يعين شكل الحكم الذى - ستكون عليه
تركيا - ولذلك صار يتعين البت في شكل الحكومة الجديدة بعد الغاء السلطنة
(هل يؤلف مصطفى كمال الوزارة وحينئذ يكون رئيساً لحكومة دستورية ،
ويبقى الخليفة صاحب السلطة ولا اثر لقرار الالغاء ؟ لم يقبل مصطفى كمال ان
يؤلف الوزارة . واخفى ما هو عازم عليه . وقام بعد ذلك بواسطة القوة
والسلطة التى يحملها ، ويتحكم بواسطتها بالشعب قام بتأليف حزب سماه حزب
الشعب . وكان يقصد من ذلك ان يأخذ الراي العام بجانبه . اذ انه بالرغم من
هذا فان الاغلبية الساحقة في الجمعية كانت ضده بعد اعلان فصل السلطنة عن
الخلافة ، ولذلك اخذ يفكر في امر اعلان شكل الحكومة التى قررها ، توكيا تصبح
وهي اعلان تركيا جمهورية ، وعلان نفسه رئيساً لها . وعمل على ايقاع الجمعية
في ازمت حرجة كان من جرائها ان استقالت الوزارة ، التى كانت تحكم ،
وقدمت استقالتها للجمعية الوطنية ، ولم تجد الجمعية من يتولى الوزارة . وبعد

مصطفى كمال
الرئيس
الاول
للجمهورية
التركية

ازمة مستعجلة اقترح على الجمعية ان يتولى الوزارة مصطفى كمال ، فقبلت للظروف العصيب الذي كانت تجتازه . وطلبت الى مصطفى كمال ان يتولى الوزارة ويحل الازمة . فظهر الامتناع اولاً ، ثم اجاب الطلب وصعد المنصة وقال للنواب : لقد ارسلتم في طلبي كي انقذ الموقف في لحظة الحرج . لكن هذا الحرج من صنعكم انتم ، فليس منشأ هذه الازمة امرأ عابراً ، بل خطأ اساسياً في نظام حكومتنا ، فالجمعية الوطنية تقوم بوظيفة السلطة التشريعية والسطة التنفيذية في وقت واحد ، وكل نائب منكم ينبغي ان يشترك في اصدار كل قرار وزاري ، ويدس اصبعه في كل ادارة حكومية وكل قرار لوزير ايها السادة مامن وزير يستطيع ان يضطلع بمسؤولية ، ويقبل المنصب في مثل هذه الظروف . يجب ان تدركوا ان حكومة تقوم على هذه الاسس هي حكومة يستحيل ايجادها . واذا وجدت لم تكن حكومة ، بل كانت فوضى ونحن يجب ان نعتبر هذا الوضع . لذلك اقرر ان تصير تركيا جمهورية لها رئيس يختار بطريق الانتخاب . وبعد ان انهي كلامه كان قد اعد المرسوم يجعل تركيا جمهورية ، وانتخاب مصطفى كمال اول رئيس للجمهورية التركية وبذلك جعل نفسه الحاكم الشرعي للبلاد .

الا ان الامور لم تسر كما يريد مصطفى كمال ، فان الشعب التركي شعب مسلم ، وما فعله مصطفى كمال يخالف الاسلام . لذلك سادت البلاد فكرة مؤداها ان مصطفى كمال يعتزم القضاء على الاسلام ، وايدت هذه الفكرة تصرفات كمال نفسه ، فانه كان متكرراً للاسلام في حياته الخاصة مخالفاً لكل التقاليد

الاسلامية : يظهر السخرية من كل الاوضاع المقدسة عند المسلمين . وتيقن تدمر المسلمين
الناس في جمهورتهم ان حكام انقرة الجدد كفرة ملاعين . وصار الناس يلتفون من مصطفى
حول الخليفة عبد المجيد ، ويحاولون ان يرجعوا اليه السلطنة ، وان يجعلوه هو
الحاكم ليقضي على هؤلاء المرتدين . فادرك مصطفى كمال الخطر بحسب ورأى
ان اكثرية الشعب تكرهه ، وتهمه بالزندقة والكفر والاحاد ، وفكر في
الامر ونشط في الدعاية ضد الخليفة والخلافة ، واثار حماسة الجمعية الوطنية
حتى سنت قانوناً يقضي باعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل الى السلطان
الخلوخ خيانة يعاقب عليها بالموت . ثم اخذ يتحدث عن اضرار الخلافة في كل
مجلس ، ولاسيما للجمعية الوطنية ، واخذ يبيء الاجواء لالغاء الخلافة ، فقام
بعض النواب يتحدثون عن فائدة الخلافة لتركيامن الوجهة الديبلوماسية ،
فقاومهم مصطفى كمال ، وقال للجمعية الوطنية : اليس من اجل الخلافة والاسلام
ورجال الدين قاتل القرويون الاتراك وقاتلوا طيلة خمس قرون ؟ لقد آن ان
تنظر تركيا الى مصالحها ، وتجاهل المنود والعرب ، وتنقذ نفسها من تزعم
الدول الاسلامية .

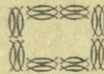
الغاء الخلافة

وهكذا سار مصطفى كمال في دعايته ضد الخلافة يبين اضرارها للاتراك ،
كما يبين اضرار الخليفة نفسه ، ويصوره وانصاره في صورة الخونة ، ويظهرهم
بمظهر الصنائع للانجليز . ولم يكتف بذلك . بل اوجد موجة اوهاب ضد من
يؤيدون الخلافة ، فان احد النواب قد صرح بلزوم الخلافة والمحافظة على الدين
فما كان من مصطفى كمال الا ان كاف شخصاً باغتياله في الليلة التي تسلكم فيها
فاغتياله شخص من اتباع مصطفى كمال وهو راجع الى بيته من الجمعية الوطنية

والقى احد النواب خطاباً اسلامياً فاحضره مصطفى وهدده بالشنق اذا فتح فيه بمثلها مرة اخرى . وهكذا نشر الرعب في طول البلاد وعرضها ، ثم ارسل الى حاكم استامبول يأمره بوجوب الغاء مظاهر الابهة التي تحيط بموكب الخليفة اثناء تأدية صلاة الجمعة ، وخفض مرتبة الخليفة الى الحد الأدنى . وانذر اتباعه بوجوب التخلي عنه ، ولما لاحظ ذلك بعض المعتدلين من انصار مصطفى كمال اخذتهم الحماسة الاسلامية وخافوا من الغاء الخلافة ، والتمسوا من مصطفى كمال ان ينصب نفسه خليفة للمسلمين . فلم يقبل ، ثم جاءه وفدان احدهما من مصر والآخر من الهند ، وطلبا اليه ان ينصب نفسه خليفة للمسلمين وكررا الرجاء ولكنه رفض ذلك وهيباً ضربته القاصمة باعلان الغاء الخلافة . واتار في الاجواء عند الشعب وعند الجيش وعند الجمعية الوطنية الخنق والبغض للاجانب وللاعداء ولخليفةهم الخليفة ، وسهم الجو بالاشاعات المثيرة ضد الخليفة . ولما سيطر هذا الجو على البلاد تقدم مصطفى كمال في الثالث من شهر ايار سنة ١٩٢٤ م الى الجمعية الوطنية بمرسوم يقضي بالغاء الخلافة ، وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة ، وكان بما قاله للنواب حين تقدم بهذا المرسوم لاقراءه (بأى ثمن يجب صون الجمهورية المهددة وجعلها تقوم على اسس علمية متينة ؟) فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب ان يذهبوا ، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب ان يستبدل بها محاكم وقوانين عصرية ، ومدارس رجال الدين يجب ان تحل مكانها لمدارس حكومية غير دينية) ثم حمل على الدين ومن سماهم رجال الدين . وبسلطة دكتاتورية اقر هذا المرسوم من الجمعية الوطنية بغير مناقشة ثم ارسل الى حاكم اسطنبول امراً يقضي بان يغادر الخليفة عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي فذهب الحاكم ومعه حامية من رجال الشرطة والجيش

الى قصر الخليفة في منتصف الليل واجبروه ان يركب سيارة واقتادوه خارج الحدود . ولم يسمحوا له ان يحمل معه سوى حقيبة فيها بعض الثياب وبعض النقود .

وهكذا هدم مصطفى كمال في ساعة واحدة كل اساس الدولة الاسلامية - قيام النظام
الواسمائي والنظام الاسلامي واقام النظام الرأسمالي ، والدولة الرأسمالية ، وبذلك قضى
مكان النظام على الدولة الاسلامية ، وحقق للكفار حلمهم الذي داعبهم منذ الحروب
الصليبية ، الا وهو القضاء على دولة الاسلام .



الحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية

انتهت الحرب العالمية الاولى ، واستولى الحلفاء على جميع بلاد الدولة الاسلامية . وكان مهمهم القضاء على هذه الدولة قضاء نهائياً ، والعمل للحيلولة دون قيامها مرة اخرى ، فقسم الاستعمار الدولة العثمانية الى اجزاء جعل بينها حدوداً سياسية ، واوجد نظام الحكم الديمقراطي بالفعل ، وطبقه كما طبق النظام الرأسمالي ، وركز جهوده في ايجاد الافكار السياسية المغلوطة ، وفي الثقافة والتثقيف . فمئذ سنة ١٩١٧ م قام بتثبيت حكمه على الاسس التي رسمها ، ففي سوريا الشمالية حكم الفرنسيون القسم الغربي منها (لبنان) واقام فيصل ملكاً على القسم الشرقي (سوريا) ، وظل كذلك حتى انتهى الخلاف بين بريطانيا وفرنسا عليها سنة ١٩٢٠ م . حينئذ طرد فيصل من سوريا ، واحتلت فرنسا القسم الشمالي من سوريا جميعه (سوريا ولبنان) ، وانتدبت عليها كما انتدبت بريطانيا على القسم الجنوبي من سوريا (فلسطين وشرق الاردن) واقامت في شرق الاردن اماره للامير عبد الله . وصارت تنفذ سياسة الوطن القومي في فلسطين .

تثبيت حكم
الاستعمار في
البلاد العربية

وفي العراق كان الاحتلال البريطاني قلقاً ، وظل العراق مضطرباً من هذا الاحتلال حتى ثار سنة ١٩٢١ م ثورة دموية هائلة ، قتل فيها ما يزيد على ثلاثين الف جندي بريطاني في معسكراتهم . وانتهت هذه الثورة باعطاء العراق

استقلالاً ذاتياً سورياً ، وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق . وفي مصر كان الجو مكفهراً ، والاضطرابات متتالية . وظلت الحال كذلك الى ان اصورت بريطانيا تصريحاً في ٢٨ شباط ١٩٢٢ م اعطت فيه مصر استقلالاً سورياً . وفي الحجاز ترك الحسين بن علي قائد الثورة العربية يتولى حكمه ، ونصب ملكاً عليه ، وبايعه الناس في الحجاز كما بايعوه في بلاد الشام في مكان يسمى الشونة ، قرب نهر الاردن والبحر الميت ، وكان يطمع في الخلافة ، بحجة انه من آل البيت . وفي شمال افريقيا لم تنقطع الاضطرابات والثورات على فرنسا وايطاليا ، الا ان الحال كانت تهدأ شيئاً فشيئاً في جميع الاجزاء المنقطعة من الدولة العثمانية . وافادت المسكنات التي استعملتها بريطانيا وفرنسا وظل الحال كذلك حتى سنة ١٩٢٤ م وفي تلك السنة قامت اعمال عدة اجهز بها العدو ، ولا سيما بريطانيا ، على كل ما فيه شبهة تمت الى قيام الدولة الإسلامية بضلة ففي تلك السنة اخرج الحسين بن علي من الحجاز ، لان له مطامع في الخلافة ، ولاصراره على رفض الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وفي تلك السنة اغنى مصطفى كمال الخلافة من تركيا . وجعلها جمهورية ديمقراطية . وفي تلك السنة تدخل الانسكاين بواسطة عملائهم في مؤتمر الخلافة الذي كان معقوداً في القاهرة ، وعملوا على فضه واخفافه ، مع ان سياسة المؤتمرات بطبيعتها عقيمة لانتيج ، ولكنهم خافوا من شبح البحث في الخلافة .

الاحداث
القطيعة
سنة ١٩٢٤ م

وفي تلك السنة صدرت في مصر مؤلفات تدعو لفصل الدين عن الدولة ، وتدعى ان الاسلام ليس فيه اصول للحكم ، وكانت هذه المؤلفات بتشجيع من الاعداء ، وفي تلك السنة ايضا اخذ الانسكاين يعملون لالغاء جمعية الخلافة في الهند ، ولاحباط مساعيها ، وتحويل تيارها الى الناحية الوطنية والقومية

وفي تلك السنة وما يليها قامت في البلاد العربية مجادلات بين نظرية حول
موضوعين ؛ هما : هل الجامعة العربية اصلح واكثر امكانية ، ام الجامعة الاسلامية
واشتغلت الصحف والمجلات مدة في هذا الموضوع ، مع ان كلا من الجامعة
الاسلامية والجامعة العربية غير صالحة ، وجودها يحول دون قيام الدولة
الاسلامية . ولكن الاستعمار اوجد هذا الجدل لتحويل الاذهان . وبهذا
استطاع ان يبعد عن الاذهان في البلاد الاسلامية - ولا سيما البلاد العربية -
فكرة الخلافة ، وفكرة الدولة الاسلامية . وساعده على ذلك انه قام بتطبيق
النظام الرأسمالي في الحياة ، والنظام الديمقراطي في الحكم ، وثبت حضارته
ومدنيته ، وصار يحاول ان يركز وجهة نظره في الحياة ، فقد قام في سوريا
ولبنان وفلسطين بتطبيق النظام الرأسمالي بنفسه ؛ لانه انتدب عليها . ثم اقام
فيها النظام الديمقراطي الجمهوري ، واقام في كل من العراق والحجاز ومصر
النظام الملكي ، كما اقام في شرق الاودن امارة . وبهذا جعل نظامه هو
الذي يطبق ، وبتطبيقه اضعف في النفوس فكرة اعادة حكم الاسلام ، ولم
يكتف بذلك ، بل جعل في نفس اهل البلاد فكرة المحافظة على النظام الذي
اقامه ، اذ قد اعتبر اهل كل اقليم من هذه الاقاليم اقليمهم فقط دولة ومملكة .
وصاروا يفهمون وجوب استقلاله عن غيره من الاقاليم ، وصار العراقي في
سوريا اجنبياً ، والسوري في مصر اجنبياً ، وهكذا صار حكام كل بلد يحافظون
على هذا النظام الرأسمالي الديمقراطي اكثر من محافظة اهلهم عليه . وصاروا
موظفين بوظيفة الحراسة على ما اقام لهم المستعمر من نظام ودستور ، ويعتبرون
تغييره حركة غير مشروعة يعاقب عليها قانون المستعمر الذي وضعهم لتنفيذه
وقد ثبت المستعمر اركانه واقام جميع شؤونه على اساس سياسة التعليم التي
رسمها ، والمناهج التربوية التي وضعها ، والتي ظلت تطبق حتي اليوم في كافة

تطبيق النظام
الرأسمالي
والديمقراطي
في البلاد
العربية

تثبيت المفاهيم
المغلوطة عن
الحكم في
الاذهان

البلاد الاسلامية - ومنها البلاد العربية - وانتجت ما انتجته من هذه الجيوش
الجرارة من المعلمين ، الذين يقوم اكثرهم على حراسة هذه البرامج وحمايتها
والذين يتولى الكثيرون منهم زمام الامور ويسيرون وفق ما يريد المستعمرون
وقد اقام الاستعمار سياسة التعليم ووضع مناهجه على اساسين اثنين : احدهما **سياسة التعليم**
الاستعمارية ، التي تتضمن فصل الروح عن المادة ، وينتج عنها طبعياً
فضل الدين عن الدولة ، ولذلك يوجب ان يقوم ابناء المسلمين بمحاربة قيام
دولة اسلامية ، لأنها تتناقض مع الاساس الذي تعلموا على سياسته . اما
الاساس الثاني فهو جعل شخصية الاجنبي وتاريخه وحضارته ومفاهيمه ومكونات
بلاده الاساس الاصيل لما تحشى به العقول الناشئة من معارف ومعلومات .
وذلك يوجب احترام الاجنبي وتعظيمه ، ومحاولته محاكاته وتقديره ، ولو كان
مستعمرأ ، ويوجب احتقار المسلم ، والابتعاد عنه ، والاشتمزاز منه ، والاستنكاف
عن الاخذ عنه ، والاهتمام به . وهذا يقتضي ايضاً محاربة قيام دولة اسلامية ،
واعتبارها رجعية ، لأنها تقرب من عهد الاسلام ، وتبعد عن الاجنبي ، الذي
تركز في ذهنه احترامه . ولم يكتف بمناهج المدارس التي يشرف عليها ، او
تشرف عليها الحكومات التي اقامها مقامه ، بل جعل الى جانبها المدارس
التبشيرية ، التي تقوم على اساس استعماري محض ، والمعاهد الثقافية التي تأخذ
على عاتقها التوجيه السياسي الخاطيء ، والتوجيه الثقافي المغلوط . وبذلك صار
الجو الفكري في المدارس على اختلافها ، والمعاهد الثقافية على تنوعها ، يربي
الامة تربية تبعدها عن التفكير في الدولة الاسلامية ، وتحول بينها وبين العمل
من اجلها .

وقامت الى جانب ذلك ؛ المناهج السياسية في كافة الاجزاء التي
كانت تكون الدولة العثمانية - قامت - على اساس فصل الدين عن الدولة .

المناهج
السياسية
الاستعمارية

ووجد بين المسلمين ولا سيما المثقفين عرف عام بان امر المطالبة بالخلافة تأخر وجمود لا يجوز ان يصدر من مثقف ، ولا يقول به مفكر ، وصار العرف العام عند المثقفين هو فصل الدين عن الدولة ، وعند عامة الشعب فصل الدين عن السياسة . وكان من جراء ذلك ان وجدت فئات من المثقفين تزعم ان سبب تأخر المسلمين تمسكهم بالدين ، وكان الطريق الوحيد للنهضة هو القومية والعمل لها . كما وجدت فئات تدعي ان سبب تأخر المسلمين هو الاخلاق ، وعدم التزام العبادات ، فقامت على الاساس الاول تكتلات حزبية سياسية تعمل للقومية العربية وللغرب والعروبة ، وتعتبر الدولة الاسلامية دسيسة استعمارية وتعتبرها رجعية وجموداً يؤدي الى التأخر والانحطاط . كما قامت على الاساس الثاني تكتلات جمعية على اساس الاخلاق والودع والارشاد . وصارت تعمل للفضيلة والخلق ، ولالحث على العبادات فقط . واشترطت على نفسها ان لا تتدخل في السياسة ، وحصرت همها في المواعظ ، ونشجيع المسائل الروحية فحسب . وبذلك كانت هذه الاحزاب والجمعيات الحائل العملي الذي يحول دون السعي لايحاد الدولة الاسلامية ، لان الجمعيات صرفت الاذهان وانصرفت هي عن العمل السياسي الواجب شرعاً ، وهو اقامة الدولة الاسلامية الى العمل الاخلاقي ، الذي هو نتيجة طبيعية لقيام حكم الاسلام ، ولان الاحزاب قامت على اساس استعماري يناقض الاسلام .

التكتلات
الحققة

التوجيه
الاستعماري
للسياسة
العربية

وعني الاستعمار ، بالبلاد العربية بنوع خاص حتى يفصلها عن الاسلام وعن حكم الاسلام . فهو بالرغم من اقامته الحوائل المتعددة ، كان يخشى على نظام الحكم في البلاد العربية ان يتحول عن النظام الديمقراطي ، او يدنو من نظام الاسلام . ولذلك اقام السياسة العربية كلها في جميع الاقطار العربية ، ولدى كافة الدويلات العربية ، على اساس هو التبعية للمستعمر ، والارتباط

بجعلته ارتباطاً غير قابل للانفصال ، اذ قامت السياسة العربية برمتها على
امس التبعية ، ولذلك جعل محور مبادئها الداخلية والخارجية خارجياً ، وهو
الدول الاجنبية ، والمجتمعات الاجنبية . وصارت السياسة العربية تدور في
فلك هذه الدول وهذه المجتمعات ، وصارت مصلحة الامة العربية معلقة على
ما يتفق مع مصلحة الدولة ، او الامة الاجنبية التي اتخذت محورا للسياسة ،
فما اتفق مع مصلحة الامة حاول العرب الاستفادة منه . وما يتعارض مع
مصلحتها سلموا سلفاً يتوكله دون محاولة ، او بذل جهد . وبذلك انقلبت المقاييس
لما يمكن ان ينتهجه العرب من سياسة . بدل ان تكون مصلحة الامة الاسلامية
ومبدؤها المقياس . وانعكست المفاهيم فصارت السياسة الخارجية اساساً لاير
في السياسة الداخلية ، بدلا من ان تكون السياسة الداخلية هي الاساس .
وبذلك نتج الفكر السفساف الذي يعالج السياسة العربية . كما نتج الشعور
بالعجز عند العربي ، وظل الاستعمار متمكنا من تصريف سياسة البلاد الداخلية
حتى وهو في بلده ، مطمئناً على نفوذه ومصالحه ، لان السياسة العربية تدور
حول محوره وفي فلكه ، وتجعله مركزاً لدائرة سياسة البلاد العربية برمتها ،
فلا خوف حينئذ على مصالحه ، ولا خطر على نفوذه مهما تغيرت وجوه السياسة
والحكام ، واختلقت انواع الحكومات ، وصار المستعمر يعتقد محققاً انه
لا أمل في انعتاق هذه البلاد من عبوديته ، ولا رجاء لاهلها في تحريرها ، لانهم
مربوطون بمحور سياسته . وبهذا كانت السياسة المبنية على التبعية حائلاً دون
التفكير بقيام الحكم الاسلامي ، وحائلاً - في نفس الوقت - دون تحرير
البلاد ، ودون رفقا ووحدها لانها يجعلها الدول الاجنبية والمجتمعات الاجنبية

انعكاس
المفاهيم في
السياسة

عقم السياسة
العربية

محوراً لسياستها بعدت عن الفكرة الاسلامية . وحكمت على سياستها بالعقم .
اذ لا يمكن ان يتفق مبدأ الكفر الذي هو مبدأ الاستعمار ، مع مبدأ الاسلام
لوجود التناقض بينهما ولا يمكن ان تتفق مصلحة الاستعمار ومصلحة البلاد المستعمرة
وبذلك تظل السياسة تدور في مكانها وتظل تسلك الطرق الرجعية في السياسة ، وهي
المفاوضات المقيمة ، والمعاهدات المسوخة ، بدل الكفاح والجهاد . وتظل تستأنف
المفاوضات سنة بعد سنة . وهكذا دواليك . وتستبدل كل مدة معاهدة مكان
معاهدة ، ويظل الاستعمار جاثماً فوق الصدور . ويظل حكم الكفر هو الذي
يطبق في ديار الاسلام وقد حصرت السياسة الخارجية للدول العربية في
علاقتها بالدولة المستعمرة وفي محاولة استرضائها على امل كسب شيء منها
على مبدأ (خذ وطالب) هذا المبدأ الذي يقوم مقام جيش الاستعمار واما
السياسة الخارجية في علاقة الدول العربية بغير الدولة المستعمرة ، فلها تقتصر
على المظاهر الشكلية الجوفاء لاشباع غزيرة حب السيادة وتنفيس المظاهر
السياسية ؛ ولا تعدو فتح ما يسمونه - ظمناً - بالمفوضيات والسفارات في تلك
الدول . وقد حرص الاستعمار على هذا المظهر ، فحمل كل دولة عربية على
انشاء هذه المفوضيات والسفارات والقنصليات في بلدان كثيرة لانه لا توجد اي
حاجة لانشاء سفارة فيها ؛ لولا استكمال المظهر الفارغ الاجوف ، وقد اوغل
الاستعمار في التصيل فجعل كل دولة عربية تفتح لها مفوضية في دولة عربية
اخرى ، فينشئ الاردن سفارة في العراق كما تنشئ العراق سفارة في الاردن
كان احدهما اميركا والاخرى روسيا في البعد واختلاف المبدأ ، والجنس
واللغة والشعب والمصالح ، كل ذلك سيراً مع الاصل الذي بنيت عليه السياسة
- وهو التبعية - . هذا في السياسة الخارجية ، اما في السياسة الداخلية فانها

السياسة
الخارجية
للبلاد العربية

سفارات
عربية في بلاد
عربية

السياسة
الداخلية
في البلاد
العربية

- من جراء سيرها على النظام الديمقراطي، وتطبيقها النظام الرأسمالي، وجعلها الدول الاجنبية والمجتمعات الاجنبية محوراً للسياسة العربية - اثرت على الفرد حتى رأى نفسه في مجتمع متفسخ لا يؤمن له مصالحه، ويحكم وفق نظام فاسد لا يضمن له سعادته. ورأى ان مصلحة امته لا تتحقق الا وفق مصالح الاستعمار، وان كل بذل من ذاته وتضحيته من نفسه لامته لا تجدي نفعاً للامة، ولا يعود عليه منها شيء، لاحالاً، ولا مآلاً، ولذلك تولدت عنده الفردية، فحصر ذهنه في مصالح ذاته وجعل مصلحته الخاصة هي المحور الذي تدور اعماله حولها، وجعل مصلحة امته تدور في فلك مصلحته هو، فبما وافق مصلحته من مصلحة امته فعله، وما لم يوافق مصلحته امتنع عن فعله، واذا تعارضت المصلحتان ضحى بمصلحة امته في سبيل مصلحته، ثم رأى المجتمعات الاجنبية فتوهم انها راقية، فتركز في ذهنه ان فساد النظام الذي يطبق عليه آت من الرجال الذين يطبقونه، فانصرف ذهنه عن التفكير بتغييره، وحصر ذهنه في تغيير القائمين عليه. ولذلك صار همه ان تتغير الفئات الحاكمة وصار يعتقد ان المصلحة تقضي تغيير وجوه الساسة، وتبديل السياسيين. ولم يعب ان عقم السياسة واخفاقها ليس آتياً من السياسيين فحسب. بل هو آت في الدرجة الاولى من النظام الذي يطبق عليه. ومن الاساس الذي تقوم عليه السياسة، وهو التبعية. وبذلك بعد عن التفكير الصحيح الذي يجب ان يفكر فيه وهو ازالة هذا النظام وقلعه من جذوره؛ واقامة نظام الاسلام كاملاً مكانه وكذلك كان من جراء التبعية، وعدم اتخاذ الاسلام ومصلحة الامة مركزاً لدائرة السياسة، ان اتخذ الفرد المبدأ الرأسمالي والمصلحة الاجنبية محوراً

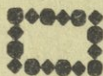
صرف
الاذهان عن
تغيير النظام
الافاسد الى
تغيير
الاشخاص

تقسيم الشعب
العربي الى
شعوب
متعددة

لمصلحة امته . فظهر هذا التفسخ والتضارب في المجتمع . وبما ان التجمع في الانسان غريزة والروح الجماعية طبيعية في البشر فقد عمل الاستعمار لاشباع هذه الغريزة ؛ بالعصبية العائلية المقيتة ونفس عن الروح الجماعية بوحدات صغيرة جعلت مجتمعات متعددة ، وشعوبا مختلفة ، بدل شعب واحد ، فسمي الشعب الاردني ، والشعب العراقي ، والشعب المصري الخ حتى يمنع التجمع الحقيقي ، فصار اصحاب الافكار السطحية يرون ان مجتمعاتهم هو الذي خطته لهم الاستعمار ، وانه وحدة يدبرونه حول مصالحهم ويدبرون مصالحهم حوله ، حسب مقتضيات الظروف وصاروا يرون ان هذه الحكومة التي اقامها الاستعمار في هذه البقعة ضمن الخطوط التي رسمها هي الحكومة العربية ، ويحاولون تثبيتها في وضعها المرسوم ، ويطلقون عليها - زورا وبهتانا او خداعا وتضليلا - اسم الدولة؟! وصاروا يتصورون السياسة الداخلية والخارجية تصورا اقليميا ، ويعملون وفق هذا التصور . وبهذه الطريقة صارت السياسة الداخلية والخارجية للعرب قائمة على اعتبارين متناقضين : احدهما جعل مصلحة الفرد ثم العائلة ثم الاقليم محورا للمصلحة الكبرى في السياسة الداخلية ، والثاني جعل المصلحة الاجنبية والمبدأ الاجنبي محورا للمصلحة الكبرى في السياسة الخارجية . وبذلك فقدت المصلحة الفردية والعائلية والاقليمية لانها لن تتحقق الا بتحقيق المصلحة الكبرى للامة ، وفقدت مصلحة الامة لانها لن تتحقق الا اذا بدلت النظام الفاسد وجعلت مكانه النظام الاسلامي ، وانفصلت عن عجلة الاستعمار ؛ وكان مبدؤها مع مصالحها المحور الذي يجب ان تدور حوله السياسة . وباقامة السياسة العربية على هذا الاساس اوجدت عقبة كبرى تحول دون قيام الدولة الاسلامية ؛ ويحتاج اقتحامها الى جهود غير عادية ، واعمال ضخمة وكانت هذه العقبة هي التي يجب

ان يبدأ باقتحامها ، فتقام الدولة الاسلامية في البلاد العربية خطوه اولى
لامتدادها الى جميع بلاد الاسلام ، وقد بدأ العالم الاسلامي يتحسس الطريق
لاحتياز هذه العقبة فسرت بعد الحرب العالمية الثانية في العالم الاسلامي - ومنه
العالم العربي - موجة احساس قوية بان الذي ينقذ الاسلاميه - ومنها العرب -
هو الاسلام وحصار الحديث عن ضرورة وجود دولة اسلامية ، والعمل للحكم
الاسلامي يملأ الاسماع الا الاستعمار الكافر شمر بهذه الاحاسيس فاخذ يحدد
اقامة العراقيل في وجهها ، فشجع الجامعة العربية لتحويل الانظار عن الوحدة
تحت حكم الدولة الاسلامية ، وبالف في التضييل ، فأقام الجامعة العربية على
اساس يمنع جمع العرب ووحدتهم ، اذ جعل ميثاق الجامعة ينص على المحافظة
على استقلال كل دولة فيها ، وينص على عدم الزام قرار الجامعة لاي دولة
لاتوافق عليها ، وجعل شرط تنفيذ قراراتها ان يكون بالاجماع ، وبذلك
صرف الاذهان عن الدولة الاسلامية الى الجامعة العربية ، وصرف الجامعة
العربية عن التفكير بالاسلام ، بل بالوحدة العربية الى السقاسف والترحات ،
ثم شجع المؤتمرات الاسلامية لتكون الهيات الشعوب الاسلامية عن العمل
الحقيقي للدعوة الاسلامية لاستئناف الحياة الاسلامية في ظل الدولة الاسلامية
فكانت هذه المؤتمرات متنفساً للعواطف ، تتخذ القرارات وتنشرها بالصحف
ودور الاذاعة لجرد النشر ، دون ان ينفذ منها شيء ، بل دون يسعى لتنفيذ
شيء منها ، ثم شجع المؤلفين والمحاضرين لبيّنوا خطر وجود الدولة الاسلامية
وان الاسلام ليس فيه نظام حكم ، فصدّرت كتب ورسائل لبعض المسلمين
الجغرافيين الأجورين تحمل دعوة الاستعمار هذه ، حتى يضل المسلمون ، وحتى
يصرفهم عن دينهم ، وعن العمل لاستئناف الحياة حسب احكامه . وهكذا
داب الاستعمار - منذ ان قضي على الدولة الاسلامية الى الآن - يقيم العراقيل

التي تحول دون قيام الدولة الاسلامية ، ويركز جهوده للحيلولة دون ايجادها وهو بعد ان محاها من الوجود يعتمد في اساليبه على الدعوة لقيادته الفكرية وعلى الثقافة ، وعلى الاعمال السياسية بوجه خاص ، وعلى الوسائل التي تضمن تحويل الناس عن التفكير في الاسلام التفكير المنتج ، ولذلك كان لابد من ازالة هذه العرافيل بمحصر العمل للاسلام بالدعوة ، واتخاذ هذه الدعوة الطريق السياسي ابتداء ، حتي يصل الدعاة الى الحكم فيقيموا الدولة الاسلامية التي تنفذ الاسلام وتحكم بما انزل الله .



لزوم قيام دولة اسلامية

خطر
الحضارة
المادية

تحكم العالم اليوم دول تقوم على اساس مادي بحت ، وتطبق عليه انظمة منبثقة عن عقلية مادية ، لايراعى في تطبيقها اي وجه الروح . وتقوم هذه الدول بتمكين الحضارة المادية من ان تتحكم بالبشر . ولذلك وقع الناس في ازيمات روحية انتجت عندهم هذا الشقاء النفسي الذي يصطلون بنساره ، كما اوجدت هذا الفساد المهلك ، وهذه الشرور المنتشرة في كل مكان . لذلك كان لا بد لانقاذ العالم من دولة تقوم على اساس روحي ، تطبق عليه انظمة سماوية تقوم على امتنباط الاحكام والمعالجات منها عقلية تؤمن بالله ، وتراعى في تطبيق هذه الانظمة مزج المادة بالروح ، وتقوم هذه الدولة على تمكين الحضارة الروحية ، وجعلها هي التي تتحكم في الحياة جميعها . لا بد من قيام هذه الدولة السامية في مثلها الاعلى ، حتى تنقذ الانسانية من هذه الازيمات الروحية وتخلص البشر من هذا الفساد . وهذه الشرور . هذه الدولة هي الدولة الاسلامية ،

الدولة التي
تنقذ الانسانية

لانها وحدها التي تهيم السعادة لبني الانسان . وهذه الدولة لايقوم بها الا المسلمون . ولا تكون نقطة انطلاقها الا من العالم الاسلامي ، لانه لايزال اسلامياً في اجوائه ومشاعره ، ولايزال اهله مسلمين في عقائدهم ومعارفهم ، وبعض نواحي حياتهم . لذلك كان لا بد ان يوجد المسلمون الدولة الاسلامية في بلاد الاسلام ، لان العالم كله في حاجة الى ان يحكم بالاسلام . على ان المسلمين في حالة من التأخر والانحطاط ، وفي حالة من البعد عن تعاليم واحكام

حاجة العالم
لأن يحكم
لأبسلام

نصب الخليفة
فرض على
المسلمين

الاسلام ، توجب عليهم استئناف الحياة الاسلامية . وهذا يوجب قيام دولة الاسلام ، فهم خاضعون لنفوذ الكفر في بلادهم . وتطبق عليهم احكام الكفر وتنحكم فيهم الحضارة المادية . وديارهم حسب حكم الشرع ديار كفر ، وليست ديار اسلام ، اذ لك كان لزاما عليهم ان يقوموا بايجاد الدولة الاسلامية لتطبق عليهم احكام الاسلام ، لاسيما وان دينهم يوجب عليهم ان يوجدوا الدولة الاسلامية ، لان نصب رئيس الدولة (الخليفة) واجب على المسلمين . وفرض حتمي حسب الشرع والعقل ؛ لان ما هو واجب من اقامة الحدود ، وسد الثغور لا يتم الا به ، ولان الحكم بما انزل الله لا يكون ولا ينفذ الا بوجوده ، ولان جالب المنافع للامة ودفع المضار عنها لا يتأتى الا بوجوده . ولذلك كان حكم نصب الخليفة واجبا بالاجماع فقد اجمع الصحابة على تأخير دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام حتى يبيع خليفة لرئاسة الدولة . ويمكن ان يعلم بوضوح مبلغ الزوم الحتمي في اقامة الخليفة ، ومبلغ فهم الصحابة هذا الزوم ، مما فعله ابو بكر وعمر وابو عبيدة يوم وفاة الرسول فانهم لما سمعوا باجتماع سقيفة بني ساعدة ، تركوا رسول الله مسجى على فراش الموت ، حُرّفهم على الاسلام وعلى دولة الاسلام ، وذهبوا الى السقيفة ، حتى استطاعوا ان يسيطروا على الموقف ، وان يجعلوا الاجتماع ينتهي بقرار البيعة لابي بكر ثم حضر الناس في اليوم الثاني للمسجد ، وبايعوا ابا بكر البيعة العامة ، ثم قاموا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يمكن ادراك مبلغ ضرورة مبادعة رئيس الدولة مما فعله عمر بن الخطاب حين طع ، وكان مشرفا على الموت . فقد طلب اليه المسلمون ان يستخلف فأبى . فأخروا عليه فاستخلف ستة ، وجعل لهم ان ينتخبوا خليفة ، ولم يكتف بذلك ، بل حدد لهم موعداً نهائياً هو ثلاثة ايام ، ثم اوصى انه اذا لم يتفق على الخليفة بعد ثلاثة ايام ،

فليقتل المخالف ، نعم وكل بهم من يقتل المخالف ، مع انهم اهل الشورى ، ومع
انهم كبار الصحابة . اذ هم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن
العوام وطاحه بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص . واذا كان هؤلاء يقتل احدهم
اذا لم يتفق على انتخاب خليفة ، ويقتلون جميعاً اذا لم ينتخبوا خلال ثلاثة ايام
فلا ريب ان انتخاب رئيس الدولة يكون لازماً لزوماً حتمياً ، يأثم المسلمون
جميعاً ويقاثلون ، حتى تقوم دولة الاسلام ، وينتخب رئيس الدولة . ولذلك
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من مات وليس في عنقه بيعة ، فقد مات
ميتة جاهلية) والمراد هنا بيعة رئيس الدولة . والحاصل ان وجود الدولة
الاسلامية لازم للمسلم ، وبيعة الخليفة فرض على المسلمين ، يأثمون جميعاً
حتى يقيموا الدولة الاسلامية ، ويبايعوا رئيسها ، هذا فضلاً عما توجهه طبيعة
الحياة ، فان كل امة لا تستغني عن قوة تحمي قوانينها ، وتدبر شؤون افرادها
وهذه القوة هي الحاكم . لانه ضروري من ضروريات المجتمع الانساني لذلك
كان العقق والشرع يوجب على المسلمين ايجاد الدولة ، على ان المسلمين مكلفون
حسب الشرع تبليغ الاسلام (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وحمل الدعوة
الاسلامية لا يكون الا عن طريق الدولة ، لانها هي التي تملك القوة التي تحمي
هذه الدعوة ، وتزيل الحواجز المادية التي تقف سبيلها بالقوة المادية . لذلك
كان قيام الدولة الاسلامية من الزم الواجبات على المسلمين جميعاً .

صعوبات قيام الدولة الإسلامية

حقيقة الدولة
الإسلامية

ليس قيام الدولة الإسلامية سهلاً ميسوراً ، لان استئناف الحياة الإسلامية ليس بالأمر الهين . فهناك عراقيل شتى وضخمة تقوم في وجه قيام الدولة الإسلامية لابد من إزالتها ، وصعوبات كثيرة وكبيرة تقف في طريق استئناف الحياة الإسلامية لابد من التغلب عليها لان الأمر لا يتعلق بقيام دولة أي دولة ، ولا بقيام دولة تسمى إسلامية وتحكم بالقوانين الإسلامية المجردة ، وتنفذ النظام الإسلامي مجرداً ، بل الأمر يتعلق بقيام دولة إسلامية تطبق الإسلام كنظام منبثق عن العقيدة الإسلامية ، وتستأنف الحياة الإسلامية كاملة في الداخل ، وتحمل الدعوة الإسلامية الى الناس كافة هذه الدولة الإسلامية التي يجب ان تقوم أولاً على العقيدة الإسلامية المشبعة بالفكرة الإسلامية ، وعلى النفسية الإسلامية المكونة من الإسلام ثم تقوم على التشريعات والقوانين والنظم التي تنبثق من العقيدة الإسلامية ، وتقوم على اساس الفكرة الإسلامية . وذلك حتى تنبعث حوافز هذه الحياة من داخل النفس ، فتوجد البيئة الذهنية والنفسية والاجتماعية التي تكفل التشريعات والنظم والقوانين الإسلامية . لان التشريع والنظام والقانون لابد ان يعتمد على الايمان بالعقيدة المنبثقة عنها هذه النظم والتشريعات والقوانين ، حتى يتم الايمان بها ، والثقة بصلاحياتها للحياة . واذا لم يوجد هذا الايمان ، فقد فقد التشريع اسمه المعنوية التي تثبته ، وقام على القهر التشريعي والنظامي ،

واستعمال تنفيذه الا بقوة الجندي ، ، وسلطة الدولة ، وبالحديد والنار وهذا لا يضمن له البقاء الا واثماً يتمكن الناس من القدرة على التخلص منه . ولهذا لم يكن مجرد قيام دولة اسلامية كافياً لاستئناف الحياة الاسلامية ، بل لابد ان تكون هذه الدولة اسلامية في شعبها وحكامها وحياتها محققة استئناف الحياة الاسلامية تحقيقاً يمكنها من حمل رسالتها للعالم ، ويمكن غير المسلمين من مشاهدة عظمة الاسلام في دولته ، حتى يدخلوا في دين الله افواجا ، والصعوبات التي تقوم في وجه الدولة الاسلامية ، او في طريق استئناف الحياة الاسلامية كثيرة اهمها ما يأتي :

١ - كون المجتمع في العالم الاسلامي يحيا حياة غير اسلامية ، ويعيش وفق طراز من العيش يتناقض مع الاسلام ، وذلك لان جهاز الدولة والمجتمع ونظام الحكم الذي يقوم عليه هذا الجهاز ، وقواعد الحياة التي يقوم عليها هذا المجتمع بكل مقوماتها ، والاتجاه النفسي الذي يتجهه المسلمون ، والتكوين العقلي الذي يقوم عليه تفكيرهم - كل ذلك يقوم على اساس مفاهيم عن الحياة تناقض المفاهيم الاسلامية . فها لم تتغير هذه الاسس ، وتصحح هذه المفاهيم المغلوطة ، يكون من الصعب تغيير حياة المجتمع ، ومن الصعب تغيير جهاز الدولة ، وقواعد المجتمع ، والاتجاهات النفسية والعقلية التي تتحكم بالمسلمين .

٢ - بعد الشقة بين المسلمين والحكم الاسلامي ، ولا سيما في سياسة الحكم وسياسة المال ، يجعل تصور المسلمين للحياة الاسلامية ضعيفاً ، ويجعل تصور غير المؤمنين بالاسلام تصوراً عكسياً ، لا سيما وقد عاش المسلمون مدة يساء فيها تطبيق الاسلام عليهم من قبل الحكم ؛ كما عاشوا مدة ثلث قرن يحكمون من قبل عدوهم على نظام يناقض الاسلام في كل شيء ، وفي سياسة الحكم وسياسة المال بوجه خاص ، ولهذا كان لابد من ان يرتفع الناس عن الواقع

تناقض الحياة
الحاضرة في
البلاد
الاسلامية مع
الاسلام

ضعف تصور
المسلمين للحكم
الاسلامي

السيء الذي يعيشون فيه ، وان يتصوروا الحياة التي يجب ان يحبوها ، والتي يجب ان يغيروا واقعهم ويحولوه اليها . وكان لابد ان يتصوروا ان هذا التحول الى الحياة الاسلامية لابد ان يكون كاملاً غير مجزأ ، وان يكون انقلابياً (اي دفعة واحدة) لاتدريجياً بالتجزئة والترقيع ، حتى يقرب اليهم تصور واقع الحياة يوم كانت عز الاسلام ، ولاسيا واقع الحياة في عهد الراشدين .

٣ - وجود حكومات في البلاد الاسلامية - ومنها العربية - تقوم على اساس ديمقراطي ، وتطبق النظام الرأسمالي كله على الشعب ، وتربط بالدول الاجنبية ارتباطاً سياسياً ، وتقوم على الاقليمية والتجزئة . وهذا يجعل العمل لأستئناف الحياة الاسلامية صعباً ، لانه لايتأتى الا اذا كان شاملاً لآلئ الاسلام لايسمح جعل البلاد الاسلامية دولا ، بل يلزم جعلها دولة واحدة . وهذا يقتضي شمول الدعوة ، وشمول العمل ، وشمول التطبيق . وهو يتعرض لمقاومة هذه الحكومات للدعوة الاسلامية ، ولو كان رجالها من المسلمين ، ولهذا كان لابد من حل الدعوة الاسلامية في كل اقليم ، ولو ادى الى تحمل الصعوبات والمشقات التي تنشأ عن معارضة الحكومات في البلاد ، الاسلامية - ومنها العربية - .

قيام
حكومات
ديمقراطية
في البلاد
الاسلامية

٤ - وجود رأي عام عن الوطنية والقومية ، وقيام حركات سياسية على الاساس الوطني والقومي . وذلك ان استيلاء الاجنبي على بلاد الاسلام ، وتسليمه زمام الحكم فيها ، اثار في النفوس غريزة الدفاع عن النفس ، فنتجت عنها العاطفة الوطنية للدفاع عن الاراضي التي يعيش عليها ، واثار العصبية الجنسية للدفاع عن النفس وعن العائلة وعن القوم ، والعمل لجعل الحكم لهم فنشأت عن ذلك حركات سياسية بأسم الوطنية لطرد العدو من البلاد ، وبأسم القومية

خطر القومية
والوطنية

لجعل الحكم عليها لاهلها ، دون ان يكون لهذه الحركات اي تصور لنظام الحياة ؛ الا التصور الارتجالي ، بما ابعدهم عن المبدأ ، وابعدهم عن الاسلام بوصفه مبدأ بوجه خاص ولذلك كان لزاماً ان تحمل الدعوة الى الاسلام ، وان يبرز فيها بدهاة الدفاع عن الوطن ، وليكن بوصفه وطن الاسلام ، اي وطن العقيدة والمبدأ . وان يبرز فيها حكم المسلمين وعزتهم ، وسيادة الشرع عليهم ، لان « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) اذ لا يجوز للمسلم ان يستعمره عدوه الكافر ، او يحكمه مطلقاً وبسمل هذا اليوم احتياز العالم الاسلامي - ومنه العربي - لدور الانتداب والحماية ، وسيوره في طريق التخلص من نفوذ عدوه ، فصار من الممكن ان يتصور المسلمون انه يجب حصر الحركات السياسية في الحركات الاسلامية ، لانها الحركات المبدئية التي تنتج العزة والسعادة والهناء .

هـ - وجود الافكار الاجنبية وغزوها للعالم الاسلامي . وذلك ان العالم الاسلامي - وقد مر في العصر الهابط ، وكان ضحل التفكير ، عديم المعرفة ، ضعيف العقلية بسبب انحطاطه العام - قد غزي وهو على هذه الصورة بالافكار الاجنبية المناقضة لفكرته الاصلية ، والقائمة على اساس مغلوط ، وعلى فهم خاطيء للحياة ، ولما قبلها وما بعدها . فوجدت هذه الافكار تربة خصبة خالية من المقاومة ، فتمكنت منها ولذلك تشبعت العقلية الاسلامية - ومنها العربية - ولا سيما فئة المثقفين ، بهذه الافكار . فكونت فيها عقلية سياسية مشبعة بالتقليد ، بعيدة عن الابتكار ، غير مستعدة لقبول الفكرة السياسية الموجهة بالروح ، اي غير مستعدة لقبول الفكرة الاسلامية سياسياً وغير مدركة لحقيقة هذه الفكرة وعلى الاخص من الناحية السياسية . ولذلك

خطر الافكار
الاجنبية

كان لازماً ان تكون الدعوة الاسلامية الى الاسلام كاملاً ، وان يبين ما في الافكار الاخرى غير الاسلامية ، من زيف ، وما في نتائجها من اخطار ، وان تأخذ الدعوة طريقها السياسي اولا ، وان يبدأ بالوجه السياسي في الطريقة ، وان يسعى لتربية الشعب تربية سياسية على الاساس الاسلامي كله . وبهذا يمكن التغلب على هذه الصعوبة في المجتمع .

خطر البرامج التعليمية الاستعمارية

٦ - وجود البرامج التعليمية على الاساس الذي وضعه المستعمر ، والطريقة التي تطبق عليها هذه البرامج في المدارس والجامعات ، وتوجيهها لمن يتولى امور الحكم والادارة وسائر شؤون الحياة بعقلية خاصة ، تسير فيها وفق الخطة التي يدبرها المستعمر ، حتى كان الاستقلال المزيف كما نشاهده ، هو استبدال موظفين اجانب بموظفين من العرب والمسلمين ، يكون عملهم حراسة ما اقام المستعمر من حدود وقوانين ، وثقافة وسياسة ، وانظمة وحضارة ، والدفاع عنها كدفاعه هو او اشد . ولذلك لابد من تغيير اسس هذه البرامج ، حتى نتغلب على هذه الصعوبة . ولا نعني ببرامج التعليم البرامج العلمية والصناعية فان هذه عالمية لا تختص بها امة دون الامم وانما نعني البرامج الثقافية التي تتعلق بالمعارف التي تؤثر على وجهة النظر في الحياة ، فهذه هي التي جعلت برامج التعليم تقف صعوبة دون استئناف الحياة الاسلامية وهذه المعارف تشمل التاريخ والادب والفلسفة واللغات الاجنبية والتشريع ونتائج العلوم وذلك لان التاريخ هو التفسير الواقعي للحياة ، والادب هو التصوير الشعوري لها ، والفلسفة هي الفكر الاصلي الذي تبني عليه وجهة النظر في الحياة ، واللغات هي القوالب للعلوم والثقافات والتشريع هو المعالجات العملية لمشاكل الحياة والاداة التي يقوم عليها تنظيم علاقات الافراد والجماعات ، ونتائج العلوم هي التي تساعد على

الايان او الكفر ، وتعيين الطريق التي يسار فيها بهذه العلوم والنتائج التي تستعمل من اجلها ، وهذا كله وما شاكلة ادخله علينا الاجنبي ، وكوف بواسطته هذه العقلية ، التي لم تشعر بضرورة وجود الاسلام في حياتها ، والتي تحمل عند البعض روحاً عدائية للاسلام ، منكرة عليه صلاحية لمعالجة مشاكل الحياة ، ولذلك لا بد من الاصرار على جعل الثقافة الاسلامية وحدها ثقافتنا فنجعلها واجبة في جميع مراحل التعليم ، ولا نجعل في المدارس الابتدائية اي ثقافة غير اسلامية ، ولا نسمح في المدارس الثانوية باي وجود للثقافة الاجنبية الا اذا كانت لا تناقض وجهة نظر الاسلام ؛ ونكتفي بادخال الثقافة الاجنبية للاقسام العالمية ولذلك كان حتماً علينا حين نعمل للتغلب على صعوبة برامج التعليم ، ان نغير برامج التعليم وان نغير علوم التربية المناقضة للفكرة الاسلامية وان نجعل البرامج اسلامية كما نجعل الغاية الواضحة من التعليم ايجاد الشخصية الاسلامية .



كيف تقوم الدولة الاسلامية

ان قوة الفكرة الاسلامية مقرونة بطبقها كافية لاقامة دولة اسلامية ،
ولاستئناف الحياة الاسلامية ، اذا غرست هذه الفكرة في القلوب ، وتغلغلت
في النفوس ، وتجسدت في المسلمين ، فأصبحت اسلاماً حياً يعمل في الحياة .
الا انه بالرغم من ذلك ، وبالرغم من الايمان العميق بضرورة وجود الدولة
الاسلامية ، وبازوم استئناف الحياة الاسلامية ، فانه لا بد من ان تتم اعمال
عظيمة قبل قيام الدولة ، وان تبذل جهود جبارة لايجاد الحياة الاسلامية .
ولذلك لا يكفي مجرد الرغبة والتفاؤل ليجعل هذه الدولة قائمة . ولا مجرد
الحماس والامل ليحقق استئناف الحياة الاسلامية . ولذلك كانت من اوجب
الواجبات ان تقدر العوائق الضخمة التي تقف في وجه الاسلام حق التقدير ،
للتمكن من ازالتها ، وكان من الزم الاشياء ان ينبه المسلمون الى ثقل التبعة
التي تنتظر من ينهضون لهذه الغاية ، وان يلفت نظر المثقفين بوجه خاص الى
المسؤولية الكبرى لكل رأي يعطى في مثل هذا الامر الهام ، حتى يكون
القول والعمل سائراً في طريقه السوي بوعي وارادة وحزم واقدام ، ولا بد
ان يعلم ان السائرين في طريق استئناف الحياة الاسلامية انما ينحتون طريقهم
من الصخر الاصم ، ولكن معاوهم مرهقة ضخمة كفيلاً بتكسير صخره ،
وانهم يعالجون امراً دقيقاً . ولكن رفقهم كليل ، بحسن معالجته ، وانهم
يصطدمون بالاحداث الكبار ، ولكنهم سيتغلبون عليها ، ولا يجيدون عن

وجوب تقدير
العوائق التي
تقف في وجه
قيام الدولة
الاسلامية

طريقهم ، وانهم يؤمنون ايماناً لا رتاب فيه بالنصر المبين . والذي يسهل
 هذه الطريق على صعوبتها ، ويجعل الامل واقعاً ، والنصر والرجاء محققاً بالفوز
 هو ايمانهم بان اخر هذا الامر يصلح بما يصلح به اوله وان الطريق التي سار عليها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الاسلام هي التي يجب ان يسلكها
 المسلمون اليوم سلوكاً دقيقاً ، على ان يكون الاقتداء دقيقاً به ، والسير صحيحاً
 حسب خطواته ، حتى لا يتعثر السائر ، لان كل خطأ في القياس ، وكل حيد
 عن الطريق ، يسبب التعثر بالسير والعقم في العمل . ولهذا لم يكن قيام
 مؤتمرات للخلافة طريقاً لقيام الدولة الاسلامية ، ولا السعي لاتحاد دول تحكم
 شعوباً اسلامية وسيلة للدولة الاسلامية . ولا عقد مؤتمرات للشعوب الاسلامية
 محققاً استئناف حياة اسلامية - ليس ذلك ومثله هو الطريق ، وانما هو الهيات
 تنفس فيها العواطف الاسلامية النبيلة ، فتفرغ مخزون حماسها ، وتقعّد بعد
 ذلك عن العمل ، فضلاً عن انها تخالف طريق الاسلام ، وكذلك ليس الطريق
 اقامة مدارس اسلامية على اساس منهج غربي ، ولا بناء مستشفيات لمرضى
 المساكين ، ولا تعمير المساجد والذكابا - بل الطريق الوحيد لاستئناف حياة
 اسلامية ، ولاقامة دولة اسلامية ، هو حمل الدعوة الاسلامية . او حمل الدعوة
 لاستئناف حياة اسلامية ، وذلك يقتضي ان تتخذ البلاد الاسلامية - ومنها
 البلاد العربية - وحدة واحدة ، لانها امة واحدة ، اذ هي مجموعة انسانية
 تجمعها عقيدة واحدة ، ينبثق عنها نظام الحياة . وهذا هو الذي يجعلها امة واحدة
 وهي هذا الاعتبار تتحد بالاحساس والمشاعر والفكر ووجهة النظر في الحياة
 ولذلك كان حدوث اي عمل في اي قطر اسلامي يؤثر في باقي الاقطار . ويثير
 فيها المشاعر . فكان لابد ان تتخذ كافة البلاد الاسلامية بلداً واحداً وتحمل
 الدعوة لها جميعها ، حتى تؤثر في مجتمعاتها . وذلك لان المجتمع الواحد الذي

طريقة
 الرسول في
 الدعوة
 الاسلامية

اثر الاسلام في
المجتمع العربي

يشكل امة . يكون كالماء في القدر . فانك اذا وضعت تحته ناراً سخن الماء . ثم وصل الى درجة الغليان ، ثم تحول هذا الغليان الى بخار يدفع ، ويحدث الحركة والاندفاع ، وكذلك المجتمع توضع فيه المبادي الصحيحة . فتحدث حرارتها فيه سخونة ، ثم غليانا ، ثم يتحول هذا الغليان الى ما يدفع المجتمع الى الحركة والعمل ، ولهذا كان لابد من ان تبعث الدعوة الى العالم الاسلامي ليعمل لاستئناف الحياة الاسلامية بالكتب والرسائل والاتصالات وكافة وسائل الدعوة ، ولا سيما الاتصالات ، لانها انجح طرق الدعوة ، الا ان تبعث الدعوة بهذا الشكل المفتوح انما هو للوقود تحت المجتمع ، حتى يتحول هذا الجود الذي فيه الى حرارة . ولا يمكن ان يتحول الى غليان ثم الى حركة الا اذا كانت الدعوة العملية في توجيهها السياسي محصورة العمل في اقليم اوقاليم تتخذ نقطة ابتداء يبدأ منها العمل ، ثم تتخذ نقطة انطلاق تنطلق منها الدعوة الى باقي اجزاء العالم الاسلامي ، ثم يتخذ هذا الاقليم او غيره من الاقاليم الصالحة في مجتمعاتها وظروفها وامكانياتها ، نقطة ارتكاز تقوم فيها الدولة الاسلامية ، ويبدأ منها النمو في تكوين الدولة الاسلامية الكبرى ، التي تحمل رسالة الاسلام للعالم ، وهذا كما فعل صلى الله عليه وسلم ، فانه بلغ دعوته للناس كافة . وكانت خطوات التبليغ تسير في الطريق العملي . فقد دعا اهل مكة ودعا العرب جميعا في موسم الحج ، فكانت دعوته تنتشر في جميع انحاء الجزيرة وكانه كان يوقد تحت المجتمع العربي برمته وقوداً يبعث الحرارة في كافة العرب ، وكان الاسلام يدعى اليه العرب من قبل الرسل صلى الله عليه وسلم واصحابه في موسم الحج ، وفي دعوته القبائل كانت الدعوة تصلهم من هذا الاحتكاك الذي كان بين الرسول وبين قريش حيث كانت اصداء هذا التصادم تملأ اسماع العرب ، وتشير فيهم حب الاستطلاع والتساؤل ، الا انه مع

ارسال الدعوة الى العرب ، كان مجال الدعوة محصوراً في مكة ، ثم تحول الى المدينة حيث تكونت الدولة الاسلامية في الحجاز . وحينئذ كانت حرارة الدعوة ، وانتصار الرسول ، قد احدثا في العرب الغليان ، ثم الحركة فأمنوا جميعاً ، حتى شملت دولة الاسلام جميع جزيرة العرب وحملت رسالته للعالم . ولهذا كان لزاما علينا ان نتخذ الدعوة اول وسيلة لاقامة الدولة واستئناف الحياة الاسلامية ؛ وكان لزاما علينا ان نتخذ كافة البلاد الاسلامية مجتمعاً واحداً . وهدفاً للدعوة . الا انه يجب ان نحصر مجال الدعوة في اقليم او اقاليم نقوم فيها بتثقيف الناس بالاسلام ، وبتعليمهم اياه ، حتي يحيا فيهم ويحيوا به ومن اجله ، وتقوم فيها بايجاد الوعي العام به والرأي العام له ، حتي يحصل التجاوب بين الدعاة والمجتمع تجاوباً ، منتجاً فعلاً مؤثراً في تحويل الدعوة الى تفاعل وانتاج ، هذا التفاعل حركة كفاح تستهدف ايجاد الدولة الاسلامية المنبثقة عن الشعب في هذا الاقليم او تلك الاقاليم . وحينئذ تكون الدعوة قد سارت من فكرة في الذهن الى وجود في المجتمع ، ومن حركة شعبية الى دولة . فنكون قد اجتازت ادوارها . فانتقلت من نقطة ابتداء الى نقطة انطلاق ، ثم الى نقطة ارتساز تتمركز في الدولة المستكملة عناصر الدولة وقوة الدعوة وحينئذ يبدأ الدور العملي الذي يوجبه الشرع على هذه الدولة ويوجبه الشرع على المسلمين ، الذين يعيشون في اقاليم لا يشملها سلطان هذه الدولة ، اما واجب هذه الدولة فهو الحكم بما انزل الله حكماً كاملاً . ثم جعل توحيد باقي الاقاليم معها ، او توحيدها مع باقي الاقاليم . جزءاً من السياسة الداخلية ، . فتباشر في حمل الدعوة والدعاية لاستئناف الحياة الاسلامية في كافة الاقاليم الاسلامية ، ولا سيما الاقاليم المجاورة لها . ثم ترفع الحدود السياسية الوهمية التي خططها الاستعمار بينها . وجعل حكام البلاد التابعين لها

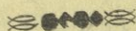
الطريق
المنتج
في الدعوة

واجب الدولة
الاسلامية

حراساً على هذه الحدود السياسية . ولذلك على هذه الدولة ان تلغي هذه الحدود حتى ولو لم يبلغها الاقليم المجاور . فتلغي تأشيرات المرور ، ومراكز ضرائب المكوس (الجمارك) ، وتفتح ابوابها لكل مواطن من سكان الاقاليم الاسلامية ، وتجعل له حقوق المواطن كمن يحمل تابعيتها ، لانه لا يحمل تابعة اجنبية ، وتمنع كل من يحمل تابعة اجنبية من ذلك ، وبهذا تجعل جميع الذين يسكنون في الاقاليم الاسلامية يشعرون بان هذه الدولة اسلامية ، ويرون بانفسهم تطبيق الاسلام وتنفيذه ، اما واجب المسلمين فهو ان ينقلوا دارهم التي لا يطبق فيها الاسلام ، والتي تعتبر دار كفر الى دار اسلام ، بالعمل على دمجها في الدولة الاسلامية ، بالدعوة والدعاية ، واذا لم يستطيعوا عليهم ان يفروا بدينهم من دار الكفر الى دار الاسلام التي يطبق فيها الاسلام وبهذا يصبح المجتمع الاسلامي في كافة اقاليمه في حالة غليان تدفعه الى الحركة الصحيحة التي بها يتحد المسلمون جميعهم في دولة واحدة ، وبذلك توجد الدولة الاسلامية الكبرى ، وبهذا تتكون الدولة الاسلامية التي تمثل قيادة فكرية عالمية مستقلة ، ويكون لها خطرهما ومركزها الذي يمكنها من حمل دعوتها ، ومن العمل على انقاذ العالم من الشر . واذا كانت الامة الاسلامية قديماً في بلاد لا تريد مساحتها عن جزيرة العرب ولا يزيد عدد سكانها عن عشرة ملايين ومع ذلك فانها حين اعتنقت الاسلام وحملت الدعوة شكلت قوة عالمية امام المعسكرين اللذين كانا قائمين حينئذ وضربتتهما معاً واستولت على بلادهم ونشرت الاسلام في اكثر اجزاء المعمورة في ذلك الوقت فما بالنا في الامة الاسلامية اليوم وهي اربع مائة مليون تقع في بلاد متصلة ببعضها تكون بلداً واحداً ، وهي من مراکش الى الهند وجاوه ، وهي تحتل بقعة من احسن بقاع الارض ثروة ومركزاً ، فانها ولا ريب تشكل جبهة اقوى من المعسكرين الحاليين في

واجب
المسلمين

كل شيء ، ولهذا كان واجب كل مسلم ان يعمل منذ الان لأيجاد الدولة
الاسلامية الكبرى التي تحمل رسالة الاسلام للعالم وان يبدأ عمله هذا بجمل
الدعوة الاسلامية ، دعوة لاستئناف حياة اسلامية في جميع المجتمع الاسلامي
حاضراً بحاله العملي في اقليته . او الاقاليم التي يراها اصلح ، لان تكون
نقطة ارتكاز ، حتى يبدأ العمل الجدي . ومثل هذه الغاية العظيمة التي يجب
ان يهدف اليها ، ومثل هذا الطريق العملية الواضحة التي يجب ان يسلك ،
جدير بالمسلم ان يتحمل في سبيله كل تضحية ، وان يبذل له كل جهد ، وان
يسير متوكلاً على الله ، غير طالب اي جزاء على ذلك سوى نوال رضوان
الله سبحانه وتعالى .



جهاز الدولة

يقوم جهاز الدولة على سبعة اركان وهي : مجلس الشورى ، ورئيس الدولة ، والهيئة التنفيذية ، والجهاز الاداري ، والولاية ، والقضاء ، والجيش .
ويقوم نظام الحكم على اساس جعل السيادة للشرع ، والسلطان للامة ، ومظهره في الدولة التي تنفذ الشرع ، ولا بد من بيان كل واحد من هذه الاشياء بياناً يمكن القارئ من ان يشاهد الدولة الاسلامية قائمة تنفذ الاسلام وتحمل دعوته ، ونجمل هذا البيان فيما يلي :

١ - مجلس الشورى

آ - مجلس الشورى هو الفئة التي تختارها الامة لتنوب عنها في التعبير عن رأيها في مراقبة من اناوبته عنها في الحكم . ويشبه ما اصطلاح على تسميته بمجلس النواب ، مع الفارق بينها في الصلاحية التشريعية وصلاحية الحكم .
ب - صلاحياته : لمجلس الشورى صلاحية سن القوانين ، باقرار الحكم الشرعي الذي يراه موافقاً لمصلحة الامة ، ومعالجاً لمشاكلها ، على ان يكون ذلك من اقوال الائمة والمجتهدين وليست له صلاحية سن القوانين من عنده دون استنباط شرعي باجتهاد صحيح . كتب عمر بن الخطاب لقاضيه شريح (اما بعد . اذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ، ولا يلقنك عنه الرجال فاذا جاءك امر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله فاقض به ، فان

جاءك امر ليس في كتاب الله ولم يكن من سنة رسول الله . فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به) وقال عليه الصلاة والسلام (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .

وهذا بخلاف مجلس النواب ، فان له صلاحية سن القوانين من عنده مباشرة ، لان اساس نظام الحكم في الاسلام ان السيادة للشرع . وان السلطة - التي هي الحكم - للامة . ولهذا لم يكن للامة الا اخذ الحكم الشرعي ، بخلاف الحكم الديمقراطي الذي منه مجلس النواب ، فانه لافرق فيه بين السلطة والسيادة ، فكلاهما تعتبر سلطة . وهي عند الديمقراطيين للشعب . هذا في التشريع . اما في الحكم فان رئيس الدولة لا يعرض الهيئة التنفيذية على مجلس الشورى لأخذ ثقته بها ، بل لرئيس الدولة الذي هو رئيس الحكومة ان يعين الهيئة التنفيذية والولاة دون عرضهم على مجلس الشورى لاعطائهم الثقة ، ولكن لمجلس الشورى الحق في سحب ثقته من الهيئة التنفيذية او احد اعضائها ومن الولاة وفي هذه الحالة يجب على رئيس الدولة ان يعزلهم دون سبب لانهم حكام وهم نائبون عن الامة في الحكم ، فلها حق نزع الثقة منهم لعزلهم وللمجلس الشورى ان يناقش الهيئة التنفيذية ، والولاة ، ورئيس الدولة مباشرة ، في كافة شؤون الحكم . وهذا بخلاف مجلس النواب ، فانه هو الذي يمنح الوزارة (الهيئة التنفيذية) ثقته ، حتى تكون في الحكم ، وله حجب الثقة عنها فتسقط وليس له حق سحب الثقة من الولاة والحكام .

ج - طريقة انتخابه : سلطان الحكم للامة وهي وحدها لها حق الحكم وطريقة التعبير عن رأيها في السلطان تكون بواسطة فريق منها ، يكون افراده ممثلين لها تمثيلا حقيقيا . وهذا الفريق تختاره الامة . وكان الخليفة يختارهم قديماً من اهل الحل والعقد . والطريقة التي يختار بها مجلس الشورى في

هذا العصر هي الانتخاب العام بالاقتراع السري ، وهو التعبير الصحيح عن رأي الامة لان البيعة - وهي الانتخاب - حق لامة المسلمين ، لافرق بين رجل وامرأة ، وحق لامة المواطنين ، لانه وكالة بالرأي عن الناس . ولكل مواطن الحق في ان يوكل عنه من يشاء لابداء رأيه . ولا ينال هذا الحق الا من كان يحمل التابعية : (الولاء للدولة والنظام) ومن لم يحمل التابعية لا يستحق هذا الحق ولو كان مسلماً .

د - اذا اختلف مجلس الشورى ورئيس الدولة في اي امر من الامور سواء اكان في سن الدستور او القوانين او الحكم ، فانه لا يوجب قول رئيس الدولة ، ولا قول مجلس الشورى ، بل يحال الامر الى محكمة المظالم لتعطي رأيا ، وهي التي تفصل . وحكمها نافذ على رئيس الدولة ، وعلى مجلس الشورى ، وذلك لان السيادة للشرع . وهو يمثل في القضاء . ومحكمة المظالم اعلى هيئة قضائية تمثل الشرع ، قال الله تعالى : « يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » ثم اتم هذه الآية بقوله : « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » والمراد هنا تنازع الامة مع ولي الامر . اي اطيعوا اولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شئ معهم فردوه حالا الى قضاء الله ورسوله ، ليعطي الحكم فيه على اولي الامر او عليكم .

هـ - ما انفك رسول الله صلى عليه وسلم عن استشارة اهل الرأي والبصيرة ، ومن شهد لهم بالعقل والفضل ، وابانوا عن قوة ايمان وثقات في بث دعوة الاسلام . وهم سبعة عن الانصار ، وسبعة عن المهاجرين ، منهم حمزة وجعفر وابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وابو ذر والمقداد وبلال ، وسموا النقباء ، لأنهم ضمنوا للرسول اسلام قومهم ولما سدت الخلافة الى ابي بكر كان يرجع الى اهل الرأي يستشيروهم في امور

الحكم والادارة والتشريع منهم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت . وكان يختار منهم من يرأس لجناً أخرى من غيرهم للقيام بأعمال خطيرة ، فقد جعل زيد بن ثابت رئيساً للجنة جمع القرآن . واطلق على الجماعة الذين انتخبوا الخليفة عثمان بن عفان بعد وفاة عمر بن الخطاب أنهم أهل الشورى .

٢ - رئيس الدولة :

أ - رئيس الدولة هو الذي ينوب عن الامة في السلطان ابي الحكم وفي تنفيذ احكام الشرع ، ولذلك كان رئيس الدولة مديراً لشؤون الدولة ، منفذاً لسلطة الامة وتشريعها . وليس هو رمزاً لها ولا مصدر سلطانها ، بل هو نائب عن الامة في السلطان ، ولذلك لا تعتبر رئاسته الا اذا كانت معطاة له من الامة ، ولا يعتبر رئيساً شرعياً الا اذا كانت الاسلام حياً فيه يعمل بموجبه ولا ينفذ أمره الا اذا كان ضمن النظام الاسلامي ، قال ابو بكر في خطبته التي خطبها حين ولي الخلافة (ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينوني وان صدفت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي حتى آخذ له حقه ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع احداكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته التي خطبها حين ولي الخلافة (ايها الناس) انه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وافي است بقاض ولكني منفذ وحين ولي ابو بكر رئاسة الدولة سموه خليفة المسلمين وحين ولي عمر الخلافة سموه امير المؤمنين ، و صار يطلق على رئيس الدولة الامام او الخليفة وليس

هذا الاطلاق ملزماً . فالتسمية ليست مقيدة باسم معين ، بل المهم ان يكون رئيس الدولة - مهما اطلق عليه من اسماء - نائباً عن الامة في السلطان مع بقاء السلطان للامة ، وان يكون منفذا لارادتها ، سائراً حسب النظام الاسلامي ، اي خاضعاً لسيادة الشرع والواجب على المسلمين انتخاب رئيس للدولة الاسلامية يكون مظهرأ لسلطانهم وتحقيقاً لسيادة الشرع .

ب - طريقة انتخابه : لقد ترك الاسلام طريقة اختيار رئيس الدولة للامة تعينها حسب ظروفها ، وبالطريقة التي تضمن مصلحتها ، وتعتبر عن رأيها . فيجوز ان ينتخب من جميع الامة بالانتخاب المباشر من كل فرد ، ويجوز ان ينتخب من مجلس الشوري ، وللامة ان تعين في الدستور الطريق الذي تختارها هذا الرئيس . وقد كانت طريقة انتخاب رئيس الدولة في العصر الاسلامي الاول هي البيعة ، فكان المسلمون يبايعون الخليفة ببيعة شرعية لسياسة الامة ، فالاسلام بتنفيذ احكامه ، وحمل الدعوة له ، والجهاد في سبيله والطريقة المتبعة في الوقت الحاضر هي الانتخاب بالاقتراع السري ، والبيعة هي الانتخاب . والطريقة التي اتبعت في انتخاب ابي بكر رضي الله عنه هي انه قد انتخبه من في سقيفة بني ساعدة ، بعد ان مد عمر يده فبايعه دون مشورة احد . ثم انتخبه عامة الناس في المسجد غير ان عمر قد اعتبر مبادرته لبيعة ابي بكر قبل الشوري فلتة حيث قال : ان مبايعة ابي بكر في السقيفة كانت فلتة وفي الله المسلمين شرها فلا تعيدوها فمن اعادها فاضربوا عنقه ، وهذا يدل على ان التشاور فيمن يجب ان يكون خليفة ينبغي ان يسبق الانتخاب ، ولا شك ان الشوري مستعترض عدة اشخاص هم المرشحون للخلافة ، وبعد المناقشة في امرهم ينحصر المرشحون في عدد منهم ويستبعد الآخرون . وهذا يكون به الشوري العلانية . وبعد ذلك ينتخب رئيس الدولة من بين هؤلاء المرشحين

بالافتراع السري من الامة ، حتى يتمكن كل واحد من القيام بأمر الله في مبايعة الخليفة لقوله عليه الصلاة والسلام (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية) ولذلك كان الاولى ان تسلك في انتخاب رئيس الدولة الطريقة الاتية : وهي ان يختار مجلس الشورى المرشحين لرئاسة الدولة ، ثم تنتخب الامة رئيس الدولة من هؤلاء المرشحين . وعلى الامة ان تسرع في انتخاب رئيس الدولة اذا مات او عزل ، او اصبح غير صالح لرئاسة الدولة ، وان يتم انتخابه في مدة لا تتجاوز ثلاثة ايام من يوم خلو مركز رئاسة الدولة وتقوم الهيئة التنفيذية الموجودة حينئذ بشؤون الحكم ريثما يتم الانتخاب .

ج - صفات رئيس الدولة : قال ابو الحسن الماوردي (واما اهل الامامة فالشروط المعبرة فيهم سبعة : احدها العدالة على شروطها الجامعة ، والثاني العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام ، والثالث سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدركها ، والرابع سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، والخامس الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح ، والسادس الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو ، والسابع النسب ، وان يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه) وما ادعاه الماوردي من الاجماع على الشرط السابع لم يصح فقد اختلف الناس في هذا الشرط لان النص وهو حديث : (الائمة من قريش) ضعيف مطعون في روايته ، ولان صفة النسب واشتراط النسب معارض للنصوص الكثيرة الصحيحة التي وردت بالغاء اعتبار الانساب وبالاكتفاء على الاعمال ، والنهي على من دعا الى عصية . كما ان الشروط الاخرى التي ذكرها الماوردي ليس لها سند من نص صحيح . والصحيح ان الرجل الذي تختاره الامة رئيساً لدولتها لا تشترط فيه الا الشروط الطبيعية التي ينبغي ان

تكون متوفرة فيمن يعهد اليه القيام باعباء الحكم فيشتروط فيه ان يكون رجلا من اهل الاسلام والعدالة والايمان ، بغض النظر عن جنسه واسرته لان الله تعالى يقول (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ويقول (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) فلم يشترط في اولي الامر الا ان يكونوا من المؤمنين . ولا يقيد اطلاق هذه الآية او يخصص عمومها حديث مطعون في صحته : وكيف اذاصح عن الرسول انه قال : اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه ما اقام فيكم كتاب الله .

د - صلاحيات رئيس الدولة : يتمتع رئيس الدولة بصلاحيات واسعة ، فهو الذي يرأس الدولة وهو الذي يتمتع بالسلطة ويقوم بالتنفيذ ، ويعين قاضيا للقضاة وهو الذي يتولى قيادة الجيش ويعين معاونيه في الحكم وهم الذين يشكلون الهيئة التنفيذية (الوزراء) ، وهو الذي يعزلهم ، وهو الذي يعين الولاة ويعزلهم ، وامره هو الذي يجعل الاحكام الشرعية قوانين سارية المفعول ملازمة للناس بالعمل بها ، وهو رئيس الدولة بجميع شؤونها ، وهو رئيس الهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء) الا ان هذه الصلاحيات على سعتها محدودة بالسير حسب الشرع وفي حدوده وهو المسؤول عن سياسة الدولة ، وتكون الهيئة التنفيذية والولاة وقاضي القضاة وقائد الجيش وامراء الويتة مسؤولين امامه وليس لمجلس الشورى حق نزع الثقة منه او عزله .

هـ - مدة الرئاسة للدولة : ليس في الاسلام دليل على تحديد مدة لرئاسة الدولة ، بل المعمول به هو ان بيعة المسلمين لرئيس الدولة تبقى في اعناقهم حتى يموتوا او يموت او يعزل (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية) وابو بكر وعمر ومن بعدهما من الخلفاء وبيعوا بيعة لم توفت بوقت فهي دائمة ؛ ولذلك لا تتحدد رئاسة الدولة بمدة معينة مطلقة ، اذ ليس في

الاسلام مدة محدودة لرئيس الدولة ، وانما تحدد رئاسته بالحد الذي يحل فيه بالشرع ، فما دام محافظا على الشرع قائما باحكامه حاملا لمبادئه ، مطبقا لنظمه يبقى رئيسا ، واذا اخل بذلك انتهت مدة رئاسته ، ووجب عزله حالاً .
 ووسيلة عزله الاولى هي محكمة المظالم ، لانها هي التي تفصل في امر مخالفة الشرع
 ٣- الهيئة التنفيذية : الامة واجبات لا بد من القيام بها . وحاجات يجب قضاؤها ، وتبعات يجب تقديرها وتحملها ، ورئيس الدولة هو الذي انابته الامة للقيام باعباء ذلك كله . غير انه لما كان رئيس الدولة لا يستطيع ان يضطلع وحده بهذه المسؤوليات ، كان لزاما عليه ان يعين معه معاونين من الرجال المساهمين العدول ، الصالحين للحكم ، يتحملون معه مسؤوليات الحكم والتنفيذ ، ويشاركونه بتحمل تبعات الدولة والسلطان . وهؤلاء معاونون هم الهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء) ، ورئيس الدولة هو رئيسها . ولذلك كان رئيس الدولة هو نفسه رئيس الحكومة . اي هو رئيس الدولة ورئيس الهيئة التنفيذية وليست للهيئة التنفيذية صفة الوزارة كما هي الحال في النظام الديمقراطي من حيث تخصيص كل واحد منهم بدائرة من الدوائر او قسم خاص من الاعمال بل لها صفة الحكم ومعاونة رئيس الدولة في السلطان وهي لا تباشر الامور الادارية ، بل تباشر الحكم وتتولى الاشراف على الادارة ، وتقوم بتنفيذ السياسة العليا التي تضعها للحكم وهي مفصلة عن الادارة وان كانت هي التي تعين مديري الدوائر وتتولى مجموع الجهار الاداري الخاضع لها ، وعملها الاصيل هو تطبيق الاسلام وتنفيذ احكامه في الداخل والسهر على مصالح الامة والعمل على رفاهيتها وسعادتها وحمل الدعوة الاسلامية للعالم . وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعين في تنفيذ الاحكام بآبي بكر وعمر ؛ وكان ابو بكر يستعين بآبي عبيدة وعمر بن الخطاب ؛ وكان عمر بن الخطاب يستعين بعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ، وكان عليه الصلاة والسلام متخذاً

حذيفة بن اليان كاتب سره ، وزيد بن ثابت ترجمانه بالفارسية والقبطية
والحبشية واليهودية .

٤ - الجهاز الاداري : لما كان نظام الحكم الاسلامي يجعل الادارة غير
الحكم لم يشغل الهيئة التنفيذية بدوائر الحكومة وبالموظفين . لانهم يشكلون
جزءاً صغيراً من عمل الدولة بل جعل الدوائر تعمل وحدها ، وجعلها جميعها في جملتها
تابعة للهيئة التنفيذية تتولاها كناية من نواحي الحكم وتشرف عليها اشرافاً ادارياً
فتعين الهيئة التنفيذية لكل مصلحة من مصالح الدولة مدير آيتولى ادارتها ، وكل واحد
منهم مسؤول عن الادارة التي يتولاها مسؤولية مباشرة . وهو الذي يتمتع
بصلاحيات رئاسة الدائرة وتوجيهها ، فيعين الموظفين ويرقيهم وينقلهم ويعزلهم
ويجري كل شيء اداري في المصلحة التي يتولى ادارتها طبق انظمة ادوية تمنع تسرب
الخلل الى الادارة الا ان هؤلاء المديرين يكونون تابعين للهيئة التنفيذية ؛ لانها هي
التي ترسم لهم السياسة العليا التي ينفذونها وتحاسبهم على الادارة . وسياسة الادارة
تتلخص في كلمتين : هما البساطة في النظام ، والاسراع في انجاز الاعمال ويتولاها
من فيه المقدرة والكفاية عليها ، بغض النظر عن طائفته وجنسه . ونوعه ، فيتولاها
الرجال والنساء والمسلمون وغير المسلمين ، ماداموا يتمتعون بحقوق المواطن وفيهم
الكفاية لتولي امورها .

ولا بد للادارة في الدولة من دواوين خاصة تقضى فيها مصالح الناس
وتبني الدولة مكاتب الادارة في مكان واحد ، حتى لا تتفرق دواوين الدولة
وحتى تسهل على الناس المراجعة لقضاء مصالحهم ويجب ان تتخذ في كل ادارة
غرف لاستراحة المراجعين ، ومكتب استعلامات لمساعدة الجمهور على المراجعة
وان تتخذ فيها السجلات والاضابير لتسجيل الاعمال وترتيبها وقد كان الجامع هو
المكان لدواوين الحكومة ثم امر عمر ببناء بيوت لمكاتب الادارة في مكان واحد
ودون الدواوين واتخذ السجلات والاضابير وفي ايام عبد الملك بن مروان تقدمت
الادارة ، واتخذ في كل ادارة غرفة للاستراحة .

٥ - الولاية : يقتضي الحكم تقسيم البلاد التي تحكمها الدولة الى وحدات من حيث مساحة الارض وما فيها من سكان ، وما تحتاجه من اعمال ، وتسمى هذه الوحدات ولايات . وتنقسم كل واحدة من هذه الولايات الى وحدات تسمى عمالات . ويسمى كل من يشرف على ولاية والياً . وكل من يشرف على عمالة عاملاً ، وهذا التقسيم يمليه مصلحة الدولة والامة . ويجري تعيين الولاية من قبل رئيس الدولة ، لان الوالي حاكم . وهو بمقام عضو الهيئة التنفيذية ، وله صلاحية الحكم في الولاية التي يتولى عليها . ولذلك لابد ان يكون رجلاً مسلماً عدلاً تتوفر فيه صفات الحاكم . اي ان يكون رجلاً من اهل العدالة والايمان . وهو الذي يشرف على امور الحكم كلها في ولايته ، ويشرف على جميع دوائر الحكومة . وتكون خاضعة له من حيث الاشراف والتسيير والحكم ، وتابعة لمدير الدائرة من حيث التعيين والنقل والترقية والتأديب والعزل ماعدا المالية فانها تكون تابعة للهيئة التنفيذية ، وماعدا القضاء وماعدا الجيش والشرطة ، حتى لا تكون جميع عناصر الحكم بيده ، فلا تتحرك في نفسه احساس السيادة فتغريه بالاستقلال والانفصال ، فانه يكون في القضاء تابعاً لقاضي القضاء ، وفي الادارة لباقي الدوائر والوالي صلاحية استخدام الشرطة في تنفيذ اوامره في ولايته وتنفيذ الشرطة امره .

ويقوم نظام الادارة في الولايات كما في دوائر الدولة على النظام المركزي ، فتوسع صلاحيات الولاية وكل الموظفين المسؤولين في الدولة ، كما توسع صلاحيات الادارة ، حتى يكون الاسراع في انجاز الاعمال وفرض المشكلات محققاً . فلا تضيق مصالح الناس بالتطويل والتعطيل . وللواني مناقشة رئيس الدولة فيما يصدر اليه من اوامر وانظمة وتعليمات . لانه ادرى

بشؤون ولايته ، ولان الادارة لامركزية ، ولكن عليه الطاعة اذا لم يؤخذ
بوجهة نظره . ويكون لكل وال مجلس من اهل الرأي ينتخبه اهل ولايته
وتكون لهذا المجلس صلاحية مشاركة الرأي في الشؤون الادارية . وعلى
الوالي ان يأخذ برأى هذا المجلس في كل ما يقرره مما هو من صلاحيته . ويكون
الوالي هو رئيس مجلس الولاية ويتخذ الوالي ديوان ولايته بعيداً عن دار
الحكومة في معسكر الشرطة .

٦ - القضاء : القضاء هو الحكم بين الناس حسب الشريعة الاسلامية ،
سواء اكان فصلاً في النزاع القائم بين الناس ، او منعاً لما يضر حق الجماعة ،
او رفعاً للنزاع الواقع بين الناس والدولة او احد افرادها ، او فصلاً في
معنى نص من نصوص التشريع والقضاء واحد لا يتجزأ . ولا يوجد في
الاسلام قاض شرعي وآخر نظامي ، فذلك من مستحدثات الكفر حين بسط
حكمه ونفوذه على بلاد الاسلام ، بل يوجد قاض فقط ، يوكل اليه امر
الحكم بما انزل الله . ولكن (وظيفة) القاضي لها ثلاث جهات : احداها
فض المنازعات بوجهه عام في جميع شؤون الحياة . سواء اكانت هذه
المنازعات معاملات او عقوبات او احوال شخصية ، وثانيها النظر فيما يتعلق
بالنظام العام مما يستدعي الفصل فيه السرعة والشدة لمنع ما يضر حق الجماعة
في المجتمع . وهو ما يطلق عليه قاضي الحسبة او قاضي السوق ، وهو المحتسب
وهو قاض له صلاحية القضاء وثالثها الفصل في النزاع القائم بين الناس
والدولة او احد افرادها فيما هو من اعمالهم سواء في الحكم او الادارة او
التشريع او المال ولا يخرج القضاء عن هذه الانواع الثلاثة . فبعين لكل
جهة قاض ويعين القضاة من قبل قاضي القضاة ، وذلك ان رئيس الدولة يعين قاضياً

للقضاة . ويشترط فيه ان يكون رجلاً عدلاً مسلماً من اهل الفقه وتكون له صلاحية تعيين القضاة وترقيتهم ونقلهم وتأديبهم وعزلهم ، وهذا بخلاف شؤون الادارة في المحاكم . فان الصلاحية في امورها ، وفي تعيين موظفيها ونقلهم وغير ذلك هي لمدير الدائرة التي تتولى ادارة شؤون المحاكم ، وبهذا يضمن استقلال القضاء ونزاهته . وقد كان القضاة يعينون من قبل رئيس الدولة الى ان جاء هرون الرشيد فاتخذ نائباً عنه ليتولى القضاء ، اطلق عليه اسم قاضي القضاة . واول من ولي هذا العمل الامام ابو يوسف صاحب ابى حنيفة . وجهات القضاء الثلاث هي :

١ - القضاة وهم الذين يتولون الفصل في الخصومات والمنازعات بين الناس وفي المعاملات والعقوبات والاحوال الشخصية ويشترط فيهم ان يكونوا مسلمين عدولاً من اهل الفقه .

ب - المحتسب (قاضي الخافات) والمراد به القاضي الذي ينظر في المسائل التي تضر حق الجماعة ، وتحتاج الى سرعة الفصل ، والشدة على المظني عليهم ، والتنفيذ العاجل . ويشترط فيه ان يكون مسلماً عدلاً ومن اهل الفقه ، وتتناول صلاحية المحتسب مايلي :

١ - الاشراف على نظام الاسواق ، والحيلولة دون بروز الحوانيت بما يعرقل المرور ، والكشف على الموازين والمكاييل ، والتفتيش على الفنادق والمطاعم والجوارين وبائعي الخضار وما شابه ذلك .

٢ - المحافظة على حرمة المرور في الطرقات ، وحفظ حرمة السير ومنع رؤساء المراكب البرية والبحرية والجوية على اختلاف انواعها ، من ان يحملا اكثر مما يجب حمله من السلع والناس .

٣ - منع المنكر والمحافظة على الآداب العامة ومنع معلمي المدارس من ضرب التلاميذ ضرباً مبرحاً .

ويكون للمحتسب نواب يطوفون بالاسواق ويفتشون ، ويقدمون
القضايا له لينظرها ويفصلها فصلاً مستعجلاً . ويلزم رجال الشرطة بتنفيذ اوامر
المحتسب في الحال .

ج - قضاة المظالم : ويشترط فيهم ان يكونوا رجالاً مسلمين عدولاً ، من
اهل الفقه والاجتهاد ، ويتولون اعلى محكمة في الدولة وهم خير القضاة علماً
وفهماً وتقوى ويتولون الفصل في القضايا التي لا تكون داخلية في الجهتين
السابقتين ، والتي تشكل ظلامات للناس لا يملك قضاة الجهتين السابقتين رفعها
وتنظر في القضايا الآتية :

١ - القضايا التي يقيمها الافراد او الجماعات ضد رئيس الدولة او الهيئة
التنفيذية ، او اعضاء مجلس الشورى ، او الولاة ، او اي موظف من موظفي
الدولة اذا كانت هذه القضايا تتعلق باعمالهم في الدولة . اما اذا كانت تتعلق
باشخاصهم بوصفهم الشخصي ، فتقام امام المحاكم القضائية الاخرى مهما
كان نوعها .

٢ - مخالفة رئيس الدولة للشرع او اهماله لأموال الامة وعجزه عن القيام
بشؤون المسلمين ولها صلاحية الحكم بعزله ، وتسمع هذه القضايا من اي واحد
من المواطنين .

٣ - النظر في رواتب الموظفين واجور العمال واصحاب الاعمال .

٤ - القضايا التي تنقل من عند القاضي والمحتسب لظروف محلية يخشى منها
على الامن العام .

٥ - الفصل في معنى نص من نصوص التشريع في الدستور وفي موافقة الدستور
نفسه للشرع وفي دستورية القوانين فيما بعد (اي بعد ان يكون الدستور نفسه موافقاً
للشرع) . اذ لها صلاحية الغائه ، او الغاء اي مادة منه اذا كانت مخالفة للشرع

لكن اذا كان موافقاً للشرع ، وتبنت الدولة مواده لاقتضاء المصلحة ، فان محكمة المظالم - والحالة هذه كسائر المحاكم ، تنقيد بالاحكام الشرعية التي تختارها الدولة وتتبناها لان القاعدة الشرعية : (ان امر الامام ينفذ ظاهراً وباطناً) .

وتتألف محكمة المظالم من عدة قضاة يعين عددهم حسب الحاجة ، والذي يعينهم هو قاضي القضاة كباقي القضاة الا انه هل لقاضي القضاة ورئيس الدولة صلاحية ترقية وتأديب وعزل قضاة محكمة المظالم ام لا؟ الظاهر بما كان يجري عليه العمل ان للخليفة او لقاضي القضاة عزلهم وان كان لا يوجد نص يجعل لهم حق هذا العزل . لكن الذي يبدو من التدقيق ان لا يكون لرئيس الدولة هذه الصلاحية ، وكذلك لا تكون لقاضي القضاة .

وذلك انه لما كانت لمحكمة المظالم صلاحية عزل رئيس الدولة ، كان لا بد ان لا تكون لرئيس الدولة صلاحية عزلها ، لئلا تؤدي هذه الصلاحية الى عزلها في حالة تحققه عزله من قبلها . ولما كان عزلها في هذه الحالة حراماً ؛ كانت الوسيلة الى ذلك (وهي اعطاؤه حق عزلها) حراماً من باب سد الذرائع ، الذي يقضي باعطاء الوسيلة حكم الغاية ، ويجعل الوسيلة الى الحرام حراماً ، والوسيلة الى الواجب واجبه . لان الاصل في هذا الباب هو النظر في مآلات الافعال وما تنتهي في جملتها اليه . فانها وان كانت مآلاتها تنجس نحو المفاسد ، كانت محرمة بما يتناسب مع تحريم المفاسد ولما كان اعطاء رئيس الدولة صلاحية عزل محكمة المظالم يؤدي الى مفسدة كان ذلك بمنوعا ولهذا فلا صلاحية لرئيس الدولة في عزل محكمة المظالم ، ولا احد اعضائها ، وتكون صلاحية عزل احد اعضائها لمحكمة المظالم نفسها ، تقررده حسب الشرع في حكم شرعي كما تعزل رئيس الدولة .

٧ - الجيش : تعتمد الدولة اعتماداً مادياً على الجيش حتى تحمي البلاد من القلاقل الداخلية والاعتداء الخارجي ، لان القوة لا تدفع الا بالقوة . وكل مسلم يعتبر جندياً مهماً للقتال في كل وقت . لان قتال الاعداء جهاد ، وهو عبادة من العبادات ، وفرض من فروض الاسلام ، الا ان هذا الجيش قسمان : قسم دائم ، وقسم احتياطي . اما القسم الدائم ، فهم الذين يخصصون للجنودية ، ويعطون رواتب على تعطيلهم عن العمل ، وتفرغهم للشؤون العسكرية . وقسم احتياطي ، وهو جميع المسلمين ، لان التجنيد اجباري على كل من بلغ الخامسة عشرة من عمره ، يدرب على الجهاد حتى يتقنه ، ثم يسرح حتى تحتاجه الدولة ويتولى امر الجيش رئيس الدولة مباشرة ، لانه هو القائد الاعلى للجيش ، وهو الذي يعين قائداً عاماً نائباً عنه . وهو الذي يعين لكل لواء اميراً ، ويعقد له الراية ويكون الجيش كله واحداً يوضع في معسكرات خاصة . الا انه يجعل في كل ولاية قسم من الجيش ويجعل في العاصمة قسم وعلى الحدود قسم والقسم الآخر في المعسكرات . وتجري الحركات العسكرية والمناورات الحربية حسب الحاجة . وتلحق بالجيش قوة الشرطة ، وقوة الحدود ، وسائر القوى المسلحة ، لانها كلها جيش ، ولان القوة المسلحة لا بد ان تكون قوة واحدة . ويجعل لكل لواء راية خاصة وتجعل للجيش كله راية الدولة ويسن ان تجعل راية الدولة كراية النبي صلى الله عليه وسلم ، التي كانت تسمى العقاب ، وهي قطعة مصنوعة من الصوف الاسود مكتوب عليها :

(لا اله الا الله محمد رسول الله)

انتهى

صفحة الخطأ والصواب

حصلت بعض الأخطاء المطبعية وسقطت بعض الجمل وصوبت هنا
فأنلفت اليها انظار القارئ .

ص	س	خطأ	صواب
٢	٢	أجهزت	أجهز
٣	١٦	وكرامتهم كان	وكرامتهم ان كان
٣	٢٠	من خلف بكتنا يديهم من	من خلف ليتناولوا بكتنا يديهم
		ليتناولوا	من سمومه
١٠	٢٠	مكرهم	مكرهم
١٦	١١	المشركين	المشركين
٢١	٧	وادي رابع	وادي رابع
٢٣	٥	سمير	سمو
٢٨	٢١	البقوه	البقرة
٣١	٥	الممثل	تخذف
٣٢	١٦	ونسي	ونسي
٤٠	٦	تلخيص	تخليص
٤٥	٢١	ومياتهم	وقومياتهم
٤٨	٢	ادركت	دكت
٥١	١٣	بالأسلام يبين	بالأسلام وهاهو القرآن الكريم يبين

ص	س	خطأ	صواب
٥٦	١٠	والقيام فوق	والقيام بها فوق
٥٩	١٣	ويحفظهم الى	ويحفظهم اياه ويخضعهم الى
٦١	٢	فاحتيج	فاحتيج
٧٥	١	العباسي البحث	العباسي كثر البحث
٨٧	١٦	معا	معا
٩٩	٦	اعتقادهم	اعتمادهم
١٠١	١٨	١٩٢٠	١٨٢٠
١١٠	٧	العهد	العداء
١١٢	٢١	المادر	المارد
١٣٠	١٩	الغرس	القدس
١٥٩	٩	العالمية	العالية
١٦٠	١٥	مرهقة	مرهقة
١٧٠	١٢	فالأسلام	بالأسلام

.....

٤٠ ٩ على ايدي المؤمنين وعليه ان يناضل ويكافح حتى يحقق
 حكم الأسلام وعلى كل قطر اسلامي ان يكافح ويناضل في سبيل تخليص
 باقي الاقاليم .

٩٣ ١٨ مما ادى الى الأنقلاب العام في الحياة وبما ساعد على وجود
 الأنقلاب الصناعي العظيم بخلاف الحال في العالم الإسلامي .

الفهرس

٢	مقدمة للاستاذ داود حمدان
٧	ظهور الاسلام
٩	كيفية ظهور الاسلام
١٢	سير الدعوة الاسلامية في مكة
١٦	سير الاعمال في المدينة
١٩	بناء الدولة الاسلامية
٢٧	اساس الدولة الاسلامية
٣١	مهمة الدولة الاسلامية
٣٧	مؤهلات القيادة في الاسلام
٤١	الدولة وتنفيذ النظام الاسلامي
٤٦	سر الفتوحات الاسلامية
٥٤	تركيز الفتوحات الاسلامية
٥٩	الدعوة الاسلامية والثقافة
٦٢	المسلمون والثقافة
٦٥	الثقافة والعلوم
٩٧	الثقافة والعلوم في العصر العباسي
٦٨	الحديث

٦٩	التفسير
٧٠	التشريع (الفقه)
٧٢	علوم اللغة العربية
٧٤	السيرة والتاريخ
٧٥	علم الكلام (التوحيد)
٧٦	الثقافة الاسلامية في ادوارها المختلفة
٩٠	الطاقة الاسلامية
٩٨	الغزو التبشيري
١٠٩	العداء الصليبي
١١٤	آثار الغزو التبشيري
١٢٢	الغزو السياسي للعالم الاسلامي
١٢٧	القضاء على الدولة الاسلامية
١٤٠	الحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية
١٥١	لزوم قيام دولة اسلامية
١٥٤	صعوبات قيام الدولة الاسلامية
١٦٠	كيف تقوم الدولة الاسلامية
١٦٦	جهاز الدولة
١٨١	صفحة الخطأ والصواب



DATE DUE

[illegible]

JK
297.617
N115dA

c.2

التمن